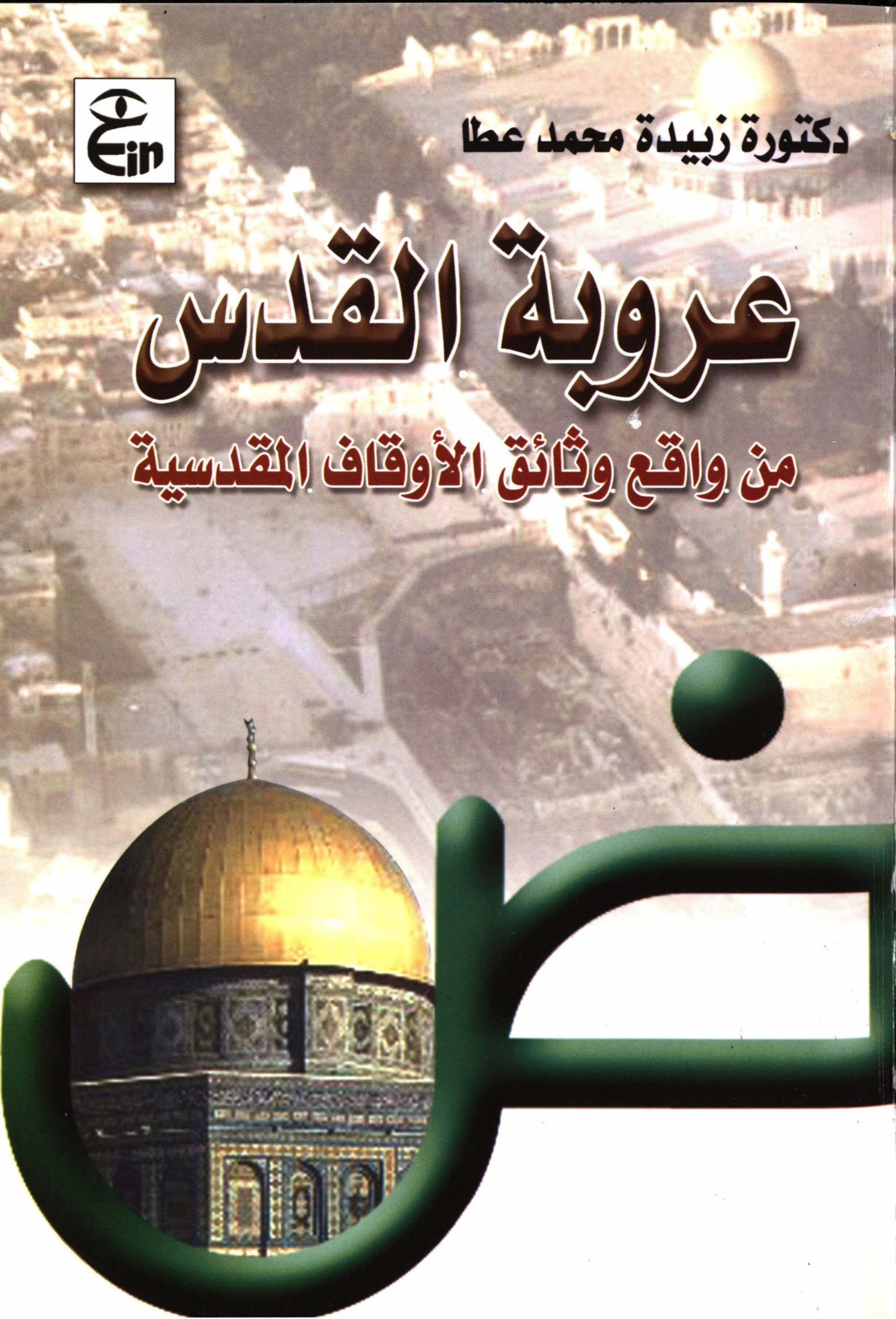
دكتورة زبيدة محمد عطا

عروبة القدس

من واقع وثائق الأوقاف المقدسية



عروبة القدس

من واقع وثائق الأوقاف المقدسية

د. زبيدة محمد عطا

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م

عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المستشارون

د . أحمـد إبراهيم الهـوارى

د . شـوقى عبد القوى حبيب

د . قاسـم عبده قاسـم

المدير التنفيذى :

شـريف قـاسـم

مدير الانتاج :

جـمـال عـابـد

تصميم الغلاف : محمد أبوطالب

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

الناشـر: عين للدراسـات والبحـوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES
5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693
E-mail : dar_Ein@hotmail.com
book ein @ yahoo.com

المرقع الالكترونى web site: WWW.Dar -Ein.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يواجه القارئ العربى العديد من الدراسات سواء ما هو صادر عن المؤسسات العلمية الإسرائيلية أو من كتّاب يهود أمريكيين أو أوروبيين تحاول أن توصل فكرة محدودة وبإلحاح دائم مستمر فحواها أن القدس لم تكن يومًا عربية ، وكأن آلاف السنين من التواجد العربى الإسلامى فى القدس لم تترك أثرًا على أرضها ولم تشكل ثقلاً وتواجداً إنسانيًا أو فكريًا أو ثقافيًا ، بالإضافة لما يملكه هؤلاء من وسائل إعلامية ، وخاصة أن عدداً كبيرًا من هؤلاء الكتاب اليهود ينتسبون إلى جنسيات مختلفة ويملكون ناصية النشر باللغات الأجنبية .

فالحقيقة تسطع وسط ضباب الادعاء . وليس أدل على ذلك الادعاء من مجموعة الدراسات التى صدرت فى تل أبيب وترجمت إلى العربية لتصل إلى القارئ العربى بعنوان القدس دراسات فى تاريخ مدينة عن دار تسفى ١٩٩٠ والتى أشرف على إصدارها آمنون كوهين والتى تحوى أسماء شهيرة فى مجال الدراسات التاريخية كشلومو جوايتين ويهوشواع برافر وحواء لاتريس يافة . ومجموعة تبلغ حوالى ثمانية عشر كاتبًا تدور كتاباتها فى إطار التأكيد على نفى التواجد العربى . فقد كتبت حواء لاتريس « لقد كانت القدس رغم شبهات الإسلام مدينة لم يقطنها من المسلمين إلا أعداد قليلة نسبيًا حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ، وعادت لتلفت انتباه رجال الدين والسياسة العرب فقط منذ العشرينات من هذا القرن لمكانتها الفريدة» ويهوشواع برافر يذكر فى مقاله .. « أنه منذ أن خرجنا منه لم يقبل أى أمة أو لغة ، ويحاول الجميع استيطانه إلا أنهم لا يقدرون على ذلك » وهو ما أكده موسى جيل فى كتاباته .

ومن هنا جاءت فكرة الدراسة فالقدس لم تكن عبرانية طوال تاريخها بل سكنها اليهود لفترة محدودة . من داود إلى العصرين الأشورى والبابلى ولم يتم لهم تملكه وفقًا للتوراة إلا فى عصر شاؤول وداود وسليمان ثم انقسمت بعد ذلك .

المؤامرة اليهودية تحاول محو ذاكرة التاريخ وإغفال فترة استيطان أصلية ضربت جذورها فى عمق الأرض لشعوب سكنت فلسطين قبل غزو العبرانيين. كما تجاهلت الوجود العربى المستمر فى القدس واعتبرتها مدينة يهودية فى حين أنهم احتلوا أرض سكانها اليبوسيين.

وكانت إقامة اليهود واستعمارهم لفترة محددة تبعها سبى وتفرق ، وحرموا على يد الرومان من دخول المدينة . وذكرت المصادر أن البطريرك صفرنيوس اشترط على المسلمين عدم دخول اليهود إلى المدينة، ورغم ذلك فقد أشارت بعض المصادر إلى أن عمر بن الخطاب سمح لسبعين أسرة يهودية بالدخول إلى بيت المقدس بل أن بعض المصادر العبرية ككتاب نستاروت للحاخام شمعون باريوحاى اعتبر العرب مخلصين ، ولقد ظلت أعداد اليهود محدودة طوال الفترات التاريخية .

ومع الفتح الإسلامى استوطنها عدد من الصحابة كعبادة بن الصامت. وفى وثيقة وقف تعود لعام ١٢٠٤هـ / ١٧٨٨م إشارة إلى زاوية الشيخ الصامت ، وأول وقف فى الإسلام كان لتميم الدارى أحد عرب لخم . واهتم الأمويون بالمدينة. وخلال عهد عبد الملك بن مروان أنشأ مسجد قبة الصخرة ٧٢ هـ / ٦٩١م واندمجت المدينة فى محيطها الإسلامى كما حرص الخلفاء العباسيون على زيارتها ، ومنها كان يبدأ موكب الحج المغربى ، ولقد حرص الفاطميون على السيطرة على بيت المقدس وضمها إلى دولتهم لما لها من مكانة دينية ، وقال عنها الاصطخرى الذى توفى ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م « فلسطين أزكى بلاد الشام » .

ولقد ظلت القدس فى أيدى الفاطميين إلى قدوم الأتراك السلاجقة الذين استولوا عليها ثم استعادها الفاطميون ٤٩١هـ / ١٠٩٨م .

ثم جاء الصليبيون واغتصبوها إلى أن قامت حركة الجهاد الإسلامى التى تزعمها الزنكيون ثم صلاح الدين الأيوبى الذى استعاد بيت المقدس وحررها من الصليبيين ، وعادت لطابعها العربى الإسلامى ودخلها صلاح الدين مع آلاف من الفقهاء ، وجاءها المسلمون مع كل حدب وصوب وعاد إليها من تركها زمن الصليبيين ، وإن ظلت محل صراع بين المسلمين والصليبيين. بسبب اتفاقية يافا بين فردريك الثانى والسلطان الكامل الأيوبى إلى أن استعادها نهائيًا الصالح أيوب .

واستقرت أمورها مع المماليك وازدهرت المدارس التى أقامها صلاح الدين الأيوبى وأمراؤه وقادته وأضاف إليها المماليك الكثير ، وظهرت عائلات عربية فلسطينية تولى أبناؤها المناصب الدينية والإدارية واستمر الأمر كذلك فى العصر العثمانى .

ومن هنا كانت أهمية وثائق الأوقاف المقدسية فهى دليل مادى على تواجد عربى إسلامى مكثف يؤكد أن هذه الأرض لمدة أربعة عشرة قرنًا تملكها أهلها من العرب المسلمين . فالوثائق

تؤكد أن الأرض ظلت عربية بما حوته من ملكيات للأرض وما عليها من منشآت . فلو نظرنا لأوقاف المغاربة فى حارتهم وزاويتهم لوجدنا أن لهم تواجداً على أرض القدس منذ العصر الفاطمى حيث ذكرهم ناصر خسرو. وأوقف عليهم صلاح الدين وابنه الأفضل زاوية. كذلك أوقفت عليهم أوقافٌ عديدة وظلت حارتهم قائمة عند باب البراق إلى أن أزالها اليهود فى ١٩٦٧م . والأوقاف التى أوقفها صلاح الدين كالمدارس والخانقاه والبيمارستان ، وما أوقفه أمراء الأيوبيين وقادتهم وعلماء الفترة من منشآت علمية ودينية يؤكد التواجد الإسلامى على المستوى الدينى والثقافى والاجتماعى والاقتصادى . فالوقفيات كانت على مزارع وقرى وأغراس وبساتين وعلى منازل وقاعات وطواحين وأفران وحمامات وخانات وأسواق ودكاكين ، فهى تعكس نشاطاً اقتصادياً ، ومصالح فئات عديدة من حرفيين وتجار وعلماء ورجال الدين . ونظام الوقف أدى إلى عدم تفتيت الملكية وإلى معرفة أصول الأسر المقدسية التى توارثت تلك الأوقاف عبر العصور . فالوقف يعطينا صورة تفصيلية عن الأماكن والأسماء ويتيح لنا تتبع الملكية عبر الفترات الزمنية ، فكثير من الأوقاف استمر عبر العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية؛ بل إن بعضها امتد من العصر الإسلامى الأول كوقف عبادة بن الصامت وتميم الدارى. ولقد تعرضت الأوقاف ونظامها للضعف فى القرن التاسع عشر نتيجة لازدياد نفوذ الجاليات الأجنبية وتدخلها فى شئون القدس لصالح مواطنيها فتنازل العثمانيون عن أرض المدرسة الصلاحية للرهبان البيض الفرنسيين ، كما أن حمام خاصكى سلطان زوجة السلطان سليمان القانونى الذى كان ضمن وقفها فى القدس انتقل لطائفة الأرمن الكاثوليك حيث بنوا ديراً وكنيسة عليه ، بالإضافة إلى اضطراب الإدارة المحلية وفقدان الأمن وتعدى بعض الأعيان على الأوقاف ودخلها كما أثرت الفتن الداخلية كحركة ظاهر العمر فى تدهور الأوقاف واستيلاء عدد من ولاة وموظفى الإدارة العثمانية على ما يخص دخل الأوقاف رغم فرمانات السلاطين العثمانيين كما ورد فى عدد من الوثائق .

وفى خلال هذه الفترة جرت محاولات من اليهود بهدف السعى لوضع قدم لهم فى القدس وما أثاروه من مشاكل مثل مشكلة حائط البراق حيث حاولوا فى عهد محمد على التدخل عن طريق طلب تبليط الأرض أمام البراق والداخلة فى وقف المغاربة ورفض محمد على الموافقة لهم. وأعادوا الكرة بعد وعد بلفور وقيام الاحتلال الإنجليزى فقاموا بإثارتها ثانية وتم التحكيم الدولى لصالح العرب إلى أن استولى عليها اليهود فى ١٩٦٧م وأزالوا حارة المغاربة واستولوا على أوقاف القدس واغتصبوها بلا وجه حق .

ولذلك كان هدف الدراسة التأكيد على التواجد العربى وإظهار جذوره التى ضربت فى تلك الأرض عبر قرون وحقوق أصحابها فيها وأن وجود العرب لم يكن هامشياً . فالوثيقة توضح الأعداد التقريبية المتواجدة للعناصر الإسلامية وغير الإسلامية وأعداد اليهود والمسيحيين من واقع الأرض وملكيتها ومن واقع كشوف التعداد العثمانى لحصر الضرائب ، وكذلك معرفة الأنشطة المختلفة لهذا المجتمع .

ولقد اعتمدت على مجموعة من الوثائق تأتى فى مقدمتها مجموعة وثائق مقدسية تاريخية للدكتور كامل جميل العسيلى وهى فى ثلاثة أجزاء يتضمن الأول ٦٠ وثيقة والثانى ١٠٤ وثيقة والثالث ١٥٦ وثيقة اعتمد فى جمعها على سجلات المحكمة الشرعية بالقدس ووثائق الحرم الشريف المكتشفة سنتى ١٩٧٤ - ١٩٧٦ ثم أوراق ومخطوطات بعض العائلات المقدسية ووثائق أصلية ووثائق عن مخطوطات لبعض الكتاب .

وأقدم وثائقها تعود للعصر الأيوبى ترجع لسنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م وهى وقفية صلاح الدين على الخانقاه الصلاحية وأحدثها ١٣٣٠هـ / ١٩١١م وهى إجازة لعضوية الطريقة الصوفية القادرية والمجلد الثانى تنقسم وثائقه إلى قسمين الأول وثائق العصر المملوكى ويبلغ عددها إحدى وستين وثيقة ووثائق العصر العثمانى ويبلغ عددها ثلاثًا وأربعين وثيقة والمجلد الثالث أقدم وثائقه تعود لعام ٦٠٩ هـ / ١٢١٢م وهى نقش المعظم عيسى الأيوبى وأحدثها استسلام القدس للقوات البريطانية ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧م وأكثر وثائقه عثمانية وتتوزع على القرون الخمسة التى كان العثمانيون يحكمون فيها القدس ١١١ وثيقة منها من سجلات المحكمة الشرعية فى القدس ٣٤ وثيقة من مخطوط أعلام الإسلام فى موطن الأنبياء فلسطين للمؤرخ عبد الله مخلص ٥ وثائق للباحث اسطفان حنا اسطفان من مقالات ، ٤ وثائق أصلية ووثيقتان للدكتور توفيق كنعان. ولقد وضع لها تعليقات مختصرة لتفيد من يستعملها بعد ذلك ، والمجموعة تحوى وثائق منوعة رسمية وقانونية وبعضها يتعلق بمدارس وربط زوايا وأوقافها وبعضها يتعلق بالطوائف غير الإسلامية وبعضها بوظائف ومراسيم ولاة وبعضها يتعلق بالإرث وحصره فهى مجموعة شاملة متميزة لا غني للباحث في تاريخ القدس عن الرجوع إليها

والمجموعة الثانية هى المجموعة الصادرة عن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول ومنظمة المؤتمر الإسلامى بعنوان « أوقاف وأملاك المسلمين فى فلسطين

فى ألوية غزة ، والقدس الشريف ، صفد ، نابلس ، عجلون حسب الدفتر ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية المدونة فى القرن العاشر الهجرى» تحقيق وتقديم محمد إيشرلى محمد داود التميمى. وكما ذكر د. أكمل الدين إحسان فى مقدمته للكتاب أن الوثائق تلقى الضوء على كثير من الحقائق الأساسية الخاصة بحقوق المسلمين فى تلك البلاد وتقدم شواهد لا تنكر على أملاكهم وأوقافهم وتسوق الأدلة القاطعة على الجانب الإنسانى لنظام الوقف الإسلامى ، ولقد انضمت فلسطين إلى أراض الدولة العثمانية فى عام ٩٢٠ هـ / ١٥١٧م فى عهد السلطان سليم الأول.

ولقد جرت العادة فى الدولة العثمانية، خاصة فى دور التقدم والازدهار ، علي تسجيل المناطق التابعة للدولة بشكل منتظم . وبعض تلك التسجيلات تسجيلات شاملة تعنى بمناطق الإسكان والسكان وتحتوى على معلومات وإحصائيات خاصة بالحياة الاقتصادية . وكان يتم تدوين هذه المعلومات من قبل كتاب الولاة الذين كان يطلق على كل منهم اسم محرر ممالك وكان المسئولون فى كل ولاية يسهلون مهمة كاتب الولاية وكان يتم تصنيف الأراضى إلى خاص ، زعامت ، تيمار ، أوقاف أملاك على التوالى : والمقصود بالخاص خاص شاهى أو بادشاه أن يكون محصولها للسلطان ، وخاص حاكم الولاية أو خاص ميرميران ، أو خاص حاكم السنجق أو أمير اللواء والإقطاعات العسكرية قسمان : كبيرهما زعامت وصغيرهما يدعى تيمار ، وهذه العملية تشابه إحصائيات السكان التى تجرى فى أيامنا وإن كان يترتب عليها تحديد السكان المكلفين بدفع أنواع معينة من الضرائب ، وإنها كانت تنظم كل ثلاثين سنة لحصر المرضى والموتى .

وهناك عدة دفاتر تحرير . والدفتر الذى قاموا بتحقيق وثائقه يحمل رقم ٥٢٢ وهو ٦٠ صحيفة وأحدث وقفية فيه تحمل تاريخ ٩٥٢هـ / ١٥٤٦م ، وفيه ٢٣٣ وقفية وتتضمن وثيقة كل وقفية اسم الواقف وشروط الوقف وتاريخ إقامة أو تأكيد الوقف ومصادر الوقف ، وورد فى الدفتر تاريخ تأسيس كثير من الأوقاف مأخوذاً من النصوص الأصلية للوقفيات وفى بعض حالات ورد ذكر تاريخها نقلاً عن حجج القضاة ، صور الوقفيات – تاريخ المحضر – ودفاتر سجلات الأوقاف ، وفى بعض الأحيان يذكر تاريخ اشتراء الملك ثم يذكر تاريخ وقفه ؛ وهذا يستكمل ما حققه كامل العسيلى وإن كانت بعض الوقفيات مكررة كوقف صلاح الدين عن المدرسة والخانقاه وإن كان العسيلى به تفاصيل أكثر .

ثم ما حققه الدكتور عبد اللطيف إبراهيم كوثيقة وقف السلطان قايتباى دراسة وتحليل المدرسة بالقدس والجامع بغزة وما نشره من مقال بعنوان من وثائق التاريخ العربى فى مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم العدد الثاني سنة ١٩٧١ وما عرض له الدكتور أسد رستم من وثائق وخاصة فيما يتعلق بالبراق من وثائق المحفوظات الملكية المصرية « محمد على بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها المجلد الرابع ١٢٥٥ - ١٢٥٦ هـ / ١٨٣٩ - ١٨٤١م بيروت ١٩٤٣م» ، وكتاب الأصول العربية لتاريخ سوريا وكتاب عارف باشا عارف عن القدس بالإضافة إلى ما ورد فى مصادر إسلامية أشارت إلى أوقاف القدس ومنشآتها الدينية والعلمية وما أوقف عليها مثل مجير الدين الحنبلى وكتابه " الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" جزءان .

وشمس الدين السيوطى وكتابه "إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى" وما كتبه الرحالة اليهود كعوبدايا وميشيلوم وما كتبه مؤرخون كالمقريزى وابن تغرى بردى وابن عبد الظاهر كذلك فإنى رجعت لما كتبه موسى جيل فى كتابه Mise Gil : Pious Foundation الذى تكلم عن المنشآت الخيرية اليهودية وإن ندرت الإشارة إلى أوقاف يهودية .

فالهدف من الدراسة تأكيد عروبة هذه الأرض وأن الجذور العربية لأبنائها استمرت لمدة أربعة عشرة قرنًا والتواجد الإسلامى العربى لم يكن طارئًا أو هامشيًا كما حاول أن يؤكده المؤرخون اليهود بل هو أصيل أصالة أرض فلسطين .

والله الموفق

زبيدة محمد عطا

تمهيد

تمثل الأوقاف أهمية خاصة في تاريخ القدس فهى تثبت عروبة الأراضى وتؤكد التواجد العربى الإسلامى ، وأحقية السكان العرب فى أراضيهم التى توارثوها عبر أجيال عديدة ، وعاشت عليها سلالات وأسر عربية ارتبطت بأراضيها وتملكوا الضياع والقرى والمساكن والطواحين ، ونمت جنوررهم فى الأرض واستطالت وتفرعت أغصانها إلى أن جاءت الدولة الصهيونية واغتصبت نبات الأرض واقتلعت الجذور العربية .

فإذا كان اليهود يدعون بأحقيتهم فى أراضى القدس استناداً للفترة المحدودة التى كانت لهم مملكة هناك ، فإن التواجد العربى فى فلسطين يعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد ، فقد ورد إليها من قلب الجزيرة قبائل العموريين والكنعانيين ومعهم اليبوسيون ، وإلى عهد (يوشع بن نون) ١٤٥ ق.م. كانت فلسطين خارج دائرة العبرانيين ، وتحالف أمراء فلسطين ضد العبرانيين ، « يوشع ١٠/٣-٤ » فأرسل (أدونى صادق) ملك أورشليم إلى (هوهام) ملك حبرون (الخليل) و (فرآم الثالث) ملك يرموت ، و (يافع) ملك لخيش وملك عجلون » ، فالأرض لم تكن لهم منذ قدوم إبراهيم إلى عهد يوشع بن نون وكانت فلسطين من المدن التى قاومت الغزو ، تصفها التوراة بأنها مدينة اليبوسيين « سفر يوشع ١٥/٦٢) . « أما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم إلى هذا اليوم » .

« سفر القضاة ١٩/١١-١٤ » يوضح هوية الذى استوطن وعاش على تلك الأرض « فيما هم عند يبوس ، والنهار قد انحدر جداً ، قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها ، فقال له سيده ، لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بنى إسرائيل هنا » ولقد ظلت القدس فلسطينية فى أيدى اليبوسيين إلي السنة الثامنة من حكم داود .

ولقد بدأ داود بالاستيلاء علي جبل صهيون ، وكانت فيه قلعة أمامية لليبوسيين يدافعون فيها عن القدس ، وكانوا يسمون جبل صهيون (المدينة الفوقانية) وبالنسبة لهضبة الحرم كانوا يسمونها (المدينة التحتانية) ، واستولى داود على المدينة الفوقانية صهيون وجعلها قاعدة لحكمه . وفى العصر الحديث استغل المتعصبون اسم صهيون وجعلوه اسماً لحركتهم

ليكون له تأثيره على البسطاء ، ولقد ضايق (داود) اليبوسيين وجعلهم يرحلون ، ولم يبق إلا سطح القمة وهو الصخرة ، واشتراه من أحد اليبوسيين وبنى مذبحًا(١) .

والدكتور ظاظا فى كتابه (القدس) يذكر نقطة مهمة وهى أن التلمود ذكر أن الصخرة التى يقدسونها ترتفع عن مستوى سطح الأرض ثلاثة أصابع (٢). وكذلك فى كتاب موسى بن ميمون (يوم غفران) . وبينما الصخرة الموجودة حاليًا ترتفع عن مستوي سطح الأرض بنحو متر كامل ومحيطها يقارب عشرة أمتار (٣).

القدس لم تكن يهودية طوال تاريخها القديم ، فقد سكنها اليهود لفترة محددة من داود إلي العصرين الآشورى والبابلى ، ولم تكن لهم مملكة وفقًا للتوراة إلا فى عهد شاؤول وداود وسليمان ثم انقسمت من بعده . ومع ذلك فالجانب الصهيونى ومؤرخوه يحاولون أن يمحوا من ذاكرة التاريخ فترة الاستيطان الأصلية لشعوب سكنت فلسطين قبل غزو العبرانيين ، وفترة تالية بعد طردهم ، ويعتبرها مدينة يهودية فى حين إن إقامتهم واستعمارهم لها وطردهم سكانها من كنعانيين ويبوسيين كان لفترة محدودة تبعها سبى وتفرق .

والدراسات التى كتبها أساتذة يهود والتى تحاول تأصيل التواجد اليهودى فى فترة التاريخ القديم وربطها بالوطن القومى متجاهلة التواجد الكنعانى والذى تحمل لغتهم العبرية سماته الكنعانية .

بل إن هناك تأكيدًا اتخذ سمة الإلحاح والإصرار على محو الفترة العربية الإسلامية من تاريخ القدس ومحاولة طمس واقع ضرب جذوره عبر قرون فى أرض فلسطين . ووسيلة التزييف العلمى أجادها بعض من كتب من مؤرخيهم منذ سعوا لمحو الفترة العربية الإسلامية التى امتدت من الفتح الإسلامى ٢١هـ / ٦٤١م إلى الآن أربعة عشرة قرنًا من التواجد الإسلامى بالقدس ناهيك عن التواجد العربى فى القدس فى فترة التاريخ القديم ، والتوراة أشارت إلي تواجد عربي ، فسفر أيوب فى التوراة قيل أنه سفر عربى ، كما أشار "جواد على" إلى تمكن عربى من حكم اليهود وتأسيس أسرة حاكمة ، وذلك الرجل هو انتيباتور Anti-pator الأدومى (نسبة إلى أدوم) وهم سكان جبل سعير وفى أيام سترابون كان العرب فى جملة سكان المدينة .

قد اعتبر اليهود أن وجودهم على أرض فلسطين فترة من الزمان يمكن أن يعطيهم الحق ، وزعموا أنهم شعب اضطهدته شعوب الأرض ويسعى إلى العودة فى حين أن الأربعة عشر قرنًا

من التواجد العربى الإسلامى محيت من ذاكرة التاريخ اليهودى ومؤرخيه . وليس أدل على ذلك من المقالات التى وردت فى كتاب (القدس دراسات فى تاريخ مدينة القدس) تحرير أمنون كوهين وكلها تمحورت حول التأكيد على أن التواجد العربى الإسلامى على أرض القدس كان محدوداً وأنه كان هامشياً فلم يستقر العرب فيها منذ الفتح الإسلامى إلى العصر الحديث فهى لم تمثل لهم موطنًا دائمًا على حد زعمه .

ونجد انعكاس هذا التصور فى مقال للكاتب يهوشواع برافز « القدس ، كما انعكست فى المفاهيم الدينية المسيحية واليهودية فى مستهل القرون الوسطى » واعتمد فى مادته على استشهادات تحوى فى نسيجها كراهية واضحة للإسلام والمسيحية على حد سواء ، فأحد اقتباساته من الرابى إفرايم من بون « قلب الله تعالى أيدوم (المسيحيين) كما قلب سدوم وقلب إسماعيل «المسلمون» كما قلب عمورا » .

واقتباس آخر من موسى بن ميمون فنذكر أنه أنهى كتابه (تفسير التوارة) ففسر هذه الآية من سفر الأحبار ٢٦ – ٣٤ (واجعل الأرض بلقعًا فينذهل لها أعداؤكم الذين يسكنونها) بقوله أنه لبشرى سارة لدى جميع الجاليات إن بلادنا لا تقبل أعداءنا ، وفى ذلك برهان كبير ووعد لنا لأنك لن تجد مكانًا فى الدنيا ، بلداً طيباً ورحباً مستوطنًا منذ الأزل خرب مثله ، لأنه منذ أن خرجنا منه لم يقبل أية أمة أو لغة ويحاول الجميع استيطانه إلا أنهم لا يقدرون على ذلك » (٤).

ويعلق (يهوشواع برافر) إن رمبان « موسى بن ميمون » فى موضوع الأرض الموعودة يذكر « كانت خرابات الديار المقدسة نتيجة حروب استمرت قرنين من الزمان بين النصرانية والإسلام » وهى التى جعلته يصل إلى النتيجة وهى (إن الأرض الوعودة هى حقيقة وملموسة وأهلها من لحم ودم ، وإذا ما بذلوا مجهوداً فسيجلعونها تزدهر وسيقومون ببنائها) .

ولقد تجاهل (يهوشواع برافر) أن صلاح الدين بعد استعادة القدس أعاد تعميرها وأعاد ازدهارها كمركز إسلامى عربي زاهر بالعلم والثقافة والنشاط الاقتصادى ، ونفس الأمر أكده جوايتين (إن استغلال الفاتحين العرب للسكان المحليين بدأ يعطى نتائجه ، ولقد أصاب الركود الاقتصادى فلسطين أيضًا الأمر الذى ظهرت علاماته زمن الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ – ١٩٤هـ / ٧٨٦ – ٨٠٩م) فهرب الناس من الزراعة والأرض التى كانت متوفرة فى جميع أنحاء الإمبراطورية وزاد الطين بله الطاعون الذى تفشى وقضى على عائلات كاملة أيام

حكم الرشيد ، وفى فترة أخرى فى مستهل حكم الخليفة المأمون (٨١٣ – ٨٣٣) تفشى الجوع فى البلاد وأصابها الجراد حتى أن غالبية سكان القدس المسلمين رحلوا عنها ، وقد استغل البطريرك (توما) هذا الوضع لترميم قبة كنيسة ، ولقد نجا بدهائه من هذه المخالفة الخطيرة .

ويكمل أنه فى عهد المعتصم بالله العباسى (٢١٨ – ٢٢٨ هـ / ٨٣٣ – ٨٤٢هـ) انفجر تمرد كبير للفلاحين والبلاد وأن مؤرخى التاريخ الإسلامى تجاهلوا ذلك » (٥).

وما كتب الهدف منه التأكيد على أن التواجد الإسلامى فى القدس منذ البداية وعبر العصور كان هامشيًا؛ بل حاولوا إظهار أن الحكم الإسلامى تعنت تجاه الأهالي وكأنهم كيانان منفصلان متجاهلين عملية الاندماج وانتشار الإسلام وكون الغالبية أصبحت من المسلمين ، بالإضافة إلي تواجد عربى سابق ، متناسين أيضًا إن الدولة الأموية وضعت جنورها فى أرض الشام وجعلت دمشق عاصمة لدولتها وتدفقت القوات العربية والعلماء واستوطنوها ، فالتأكيد على أن الإسلام قد انحصر فى جيش الفتح فقط ، وأنه لم يكن هناك عملية استيطان ادعاء غير حقيقى .

بل حاول إنكار حقائق ذكرت على لسان رحالة غربيين فحين يذكر القصة التى كتبها السائح (برنارد) الذى أبدى دهشته من الأمن والسلام المستتبين بطرق فلسطين والبلاد المجاورة ، فيذكر أن هذه الأخبار نادرة لا يمكننا أن نستخلص منها نتائج يمكن تعميمها ويحاول تأكيد دعواه أنه فى معجم البلدان ذكر اسم البصرة ١٧٠ مرة ودمشق ١٠٠ مرة وحلب ٨٤ مرة أما القدس فذكرت مرة واحدة (٦).

نفس نغمة التعصب تعود لتتردد فى مقال (حواء لاتسريس يافه) فى مقالها بعنوان "قدسية القدس فى الإسلام "، فهى تحاول التأكيد بكل الوسائل أن مدينة القدس ظلت مهملة من الجانب الإسلامى طوال تاريخها وإنه لم يقطنها المسلمون إلا أعداد قليلة نسبيًا حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ، « وعادت لتلفت انتباه رجال الدين والسياسة العرب فقط منذ العشرينيات من هذا القرن نتيجة لمكانتها الفريدة (بما فيها حائط المبكى) فى نظر اليهود. فمنذ ذلك الوقت نظمت لجان مختلفة لحماية البراق من خطر اليهود ، ولقد برز من بين هؤلاء المحامين عن البراق المفتى الحاج (أمين الحسينى) الذى حاول أن يثير من جديد قدسية الحرم المقدسى والبراق فى قلوب المسلمين وبعد حرب حزيران ١٩٦٧م اشتدت هذه الحركة وأخذ غالبية رجال الدين يتباكون على سقوط القدس فى أيدى الكفار ويرددون مرة أخرى ،

كما حدث بعد الحملات الصليبية فضائل القدس وحرمتها فى الدين الإسلامى وأن جامعة الأزهر فى القاهرة ، وهى الجامعة الدينية الإسلامية الكبرى نشطت فى بث منشورات كثيرة بهذا الصدد » (٧).

وهكذا نرى مدى التزييف الذى يدعونه حين يشيعون بأن العرب لم يشعروا بأهمية القدس إلا منذ عام ١٩٦٧م متجاهلين كل هذا التراث والتاريخ الدينى والثقافى والاستيطانى العربى الإسلامى ، بل إن (موشيه معوز) جعل سكان القدس فى القرن التاسع عشر غالبيتهم يهود فيذكر أن تعداد ١٨٣١م كان عدد سكانها ١٥ ألف منهم ٧ آلاف يهودى و٥ آلاف مسلم والباقى من النصارى ، وفى عام ١٨٦٠م عددهم ٢٠,٠٠٠ غالبيتهم من اليهود وفى ١٨٨٠م عدد الأهالى ٣٠,٠٠٠ غالبيتهم من اليهود ، ويناقض (موشيه معوز) نفسه حين يقول « إن فترة حكم محمد على فى القرن التاسع عشر حدثت تغيرات على يد محمد على وإبراهيم باشا وعلا شأن السكان غير المسلمين بشكل واضح وطرأ تحسين على وضعهم السياسى والاقتصادى بخاصة النصارى ، ومن الجدير بالذكر أنه من بين الأقليتين غير الإسلاميتين فى المدينة جنى النصارى فائدة كبرى من السلطة المصرية » فهناك اعتراف بأن المسيحيين واليهود كانوا أقلية وليست أغلبية ، وأن وضع اليهود لم يتحسن بنفس المدى الذى تحسن وضع المسيحيين على الرغم من الحقوق التى حصلوا عليها (٨).

فهى محاولة لنفى التواجد العربى على أرض القدس قديمًا وحديثًا ، وإذا كانت غالبية القدس كما يدعون يهودًا ويملكون الأرض فأين كان العرب؟ ، وإذا لم يكونوا متواجدين تلك القرون على هذه الأرض فكيف نشأ الصراع العربى اليهودى؟ ، وإذا كان اليهود فعلاً ملاك تلك الأرض ومواطنيها فهل ظهر العرب فجأة فى ١٩٦٧م على هذه الأرض؟ .

يهوشواع بن أربيه فى مقاله القدس فى القرن التاسع عشر يذكر تأخر المدينة فى هذا القرن وأرجع هذا إلى عاملين يقول العامل « الأول ذكرناه مسبقًا من أن المدينة منذ نهاية الفترة الصليبية وحتى القرن التاسع عشر ما عدا بعض الفترات الدينية ولم يبذل أى جهود لتطويرها ، ويرى أن الحضارة الإسلامية لا تهتم بالناحية الشكلية وإنما تهتم بالقيم الدينية التقليدية » (٩). والدليل الصادر فى إسرائيل بعنوان « أورشليم Jerusalem » والذى شارك فى تحريره حوالى عشرين باحثًا يهوديًا واعتمد على مادة علمية من دائرة المعارف اليهودية ويوزع على نطاق واسع يتضمن ما يلى « إن المدينة ظلت من حيث التفوق العدى مدينة غير

إسلامية ، ويضيف إن المؤرخ المقدسى قد أشار إلى أنه من الصعب العيش فيها ، وأن غالبية من يأتى إليها من الحجاج المسيحيين واليهود والمسلمين يأتى لبعض الوقت ثم ينصرفوا إلى بلادهم ، فالنغمة التى تكرر أصداؤها فى كتاباتهم هى نفى التواجد الإسلامى أو المواطنة الإسلامية للمدينة ، ورغم أن الكتاب يتضمن أن أعداد اليهود فى القدس فى العصر العثمانى في فترة (١٥٢٥ - ١٥٣٣م/٩٣٢ - ٩٤٠هـ) والفترة من (١٥٣٩ - ١٥٥٣م/٩٤٦-٩٦١هـ) إن عدد اليهود فى القدس كانت بين ألف وألف وخمسمائة فرد فقط (١٠)، وإذا كانت أعداد اليهود زادت مع نهاية القرن التاسع عشر . فالسؤال ما هو دور الإدارة العثمانية فى هذا أو من أين جاءت هذه الأعداد ؟ وما دور الاحتلال الإنجليزى ؟ .

هذا يقودنا للرد بالوثيقة والدليل القاطع على مدى التواجد العربى الإسلامى على أرض القدس وامتلاكهم تلك الأراضى وما عليها من زرع ومساكن توارثتها عائلات عربية وإسلامية، وازدانت بالمدارس والمساجد وخانقوات الصوفية ونشاط اقتصادى عبر أربعة عشر قرنًا من التواجد العربى الإسلامى. وخير دليل على ذلك مجموعة وثائق الوقف الخاصة بالقدس والمناطق المجاورة لها والداخلة فى دائرتها ، هذه الوثائق تؤكد بما لا يرقى إليه أى شك أن هذه الأرض كانت عربية ارتبطت بها حياة أهلها. وهذه الوثائق الخاصة بالأوقاف تبدأ من عهد الرسول ﷺ بوقف أبى الدرداء وتميم وتمتد عبر العصور الإسلامية المختلفة من أموية وعباسية وفاطمية وأيوبية ومملوكية وعثمانية. ولقد استمرت بعض تلك الأوقاف من الفترة الإسلامية الأولى إلى أن تم الاستيلاء عليها من قبل إسرائيل فى العصر الحديث . وإن كان بعضها للأسف تنازل عنه بعض حكام العثمانيين للجاليات الأجنبية فى الفترة التى زاد فيها نفوذ الجاليات الأوروبية فى القرنين الثامن والتاسع عشر ، لكن الغالبية تم اغتصابها بعد ١٩٤٨م ، وهى تثبت أن الأرض كانت ملكًا للعرب حافظت على مساحتها عبر قرون فهناك ثبت شرعى بأسماء القرى والضياع والبساتين بل المنازل والطواحين والحوانيت التى امتلكها العرب، وتوضح الوثائق جذور الأسر العربية وأسماء السلالات العربية عبر قرون فترددت أسماء أبنائها جيلاً بعد جيل وبعض تلك الأوقاف كان على قبور الأنبياء الذين كانوا لهم مكانتهم فى الديانات الثلاث .

ولقد حرصت كل الدول الإسلامية الحاكمة على احترام تلك الأوقاف وزيادتها وبعضها كان للإنفاق على زوار المكان بلا تفريق بين الديانات ، وهذا ما أكده رحالة اليهود أنفسهم ، وبعض

تلك الأوقاف كانت زوايا الصوفية والمدارس التى انتشرت فى القدس ، وهو ما يثبت أن الحياة العلمية والدينية ظلت قائمة ، كما ثبت أن المدينة كانت عالمية يأتيها المسلمون من المغرب والهند وإيران للإقامة ثم يصبحون جزءاً من نسيجها وتكوينها ، فهى مدينة حية وغنية بالسكان ، وإذا كانت تراجعت أعدادها فى فترة من الفترات نتيجة وباء أو اضطراب فإنها تعود للازدهار، ولو أخذنا مثالاً زاوية وحارة المغاربة التى وجدت فى القدس فترة طويلة من الزمان فقد أشار الرحالة بوجود أعداد كبيرة من المغاربة فى فترة الفاطميين ثم وجدت زمن الأيوبيين، واستمرت عبر عصر المماليك والعثمانيين ، وأثناء حكم محمد على سعى اليهود لرصف ممر عبر حارة المغاربة المواجهة للبراق (١١)، ولقد رفض محمد على طلبهم رغم تدخل الجاليات الأجنبية إلى أن أزيل الحى على يد الحكومة الإسرائيلية بعد ١٩٦٧م.

فهنا تواجد بشرى وثقافى واقتصادى ، فتلك الضياع والقرى الموقوفة كانت مجالاً لعمل كثير من الأفراد ومصدر حياة لهم ومصدر انتعاش اقتصادى للمدينة .

ورغم اختلاف وضع القدس الإدارى عبر الدول الحاكمة من الفترة الفاطمية إلي السيطرة السلجوقية ثم حدوث فترة انقطاع وهى فترة الغزو الصليبى من (٤٩٢ - ٥٨٣هـ / ١٠٩٨ - ١١٨٧م) وانتهت بتحريرها على يد صلاح الدين الذى حرص منذ دخوله إلى القدس على إعادة الطابع الإسلامى العربى إليها ، حيث حضر ومعه عشرة آلاف فقيه استوطن بعضهم القدس ، بالإضافة إلى إناس وفدوا إليها من جميع أنحاء العالم الإسلامى حضروا إلى الإقامة فيها واستقروا بها ، وساهمت الأوقاف التى أقامها صلاح الدين سواء على الأماكن الدينية والمدارس والخانقوات ، وما أوقفه على عدد من قواده كالهكارية أو عدد من الأفراد ذوى المكانة الدينية أو العلمية لديه أو ما قام به قواده وأمراء البيت الأيوبى من إيقاف الأوقاف على المساجد والمنشآت العامة وعلى أبنائهم وذرياتهم .

ولقد تسبب تواجد الصليبيين فى بيت المقدس لمائة عام فى ضياع أصول بعض وثائق الأوقاف فى الفترة السابقة ، فأغلب الوثائق تعود للعصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية ، رغم ذلك فإننا نستدل من عدد الوثائق أن بعض الأوقاف تعود بأصولها للفترة الإسلامية الأولى ، وأنها استعادت وضعها وما يخصها من أوقاف كوقف أبى الدرداء ، وأبو تميم وعبادة بن الصامت فهنا استمرارية لتملك الأرض لقرون عديدة .

وإذا كان صلح يافا بين السلطان الكامل الأيوبى وفريدريك الثانى ٥٩٠هـ / ١١٩٣م قد أعطى الصليبيين بيت المقدس ، ولكن وفقًا للاتفاق تركها مدينة غير محصنة ولا مسورة ، وتركت الأماكن الإسلامية فى أيدى المسلمين فلم يسع الصليبيون للإقامة فيها ، واستعادها الناصر داود ثم استعادها الملك الصالح نهائيًا فى سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٤م(١٢).

ورغم فترة القلاقل تلك ظل طابعها إسلاميًا. والدليل على ذلك تواصل وثائق الوقفيات خلال هذه الفترة وعدم انقطاعها ، وفى عهد المماليك كثرت الوقفيات سواء على الأماكن الدينية أو على الأفراد ، وزادت حركة الاستيطان ، ولو أحصينا القرى والضياع التى تدخل فى دائرة الأوقاف لوجدنا أنها تشمل مساحة كبيرة من أرض القدس والمناطق المجاورة لها ويقدرها السجل التركى بربع أراضى القدس وما جاورها ، ولقد أضاف العثمانيون أوقافًا جديدة كوقف خاصكى سلطان وزوجها السلطان مراد الذى شمل جهات وقف عديدة .

ولكن بتغير الموقف السياسى وظهور التدخل الأجنبى المتمثل فى القنصليات الأجنبية التى وجدت فى القدس والذى أدى تدخل قناصلها الأجانب لصالح اليهود وصالح جالياتها للاستيلاء على عدد من أراضى الأوقاف تحول وقف جزء من خاصكى ترك ، الحمام الذى أقامته والمعروف بحمام السلطان إلى طائفة الأرمن الكاثوليك ، وهو الآن بطريركية الأرمن .

وفى مقال عوديد بيرى بعنوان " التغيرات السياسية وأبعادها على الأوقاف فى القدس فى أواخر القرن الثامن عشر" يربط بين الأوقاف والظروف السياسية ، فيربط ين حركة ضاهر العمر وعلى بك الكبير ومحمد أبو الدهب ثم بعد ذلك ظهور أحمد باشا الجزار، وتأثير ذلك على الأوقاف فى الفترة ١١٨٧ - ١٢١٤هـ والتى سجلت فى المحكمة الشرعية وتأثير الاضطرابات التى تعرضت لها القدس سواء على يد الحكام المحليين أو ما تعرضت له من الخارج كغزو نابليون بونابرت والذى أدى إلى امتلاء المدينة بالأهالي من يافا وغزة والرملة والمناطق المحيطة بها ، والملاحظ أن نسبة وقف الأملاك تقل مع الخطر وتزيد مع الاطمئنان للأوضاع (١٣)، حيث أن عدم الاستقرار يؤدى إلى الاعتداء على الأوقاف. فقد أشار عبد الله أفندى الحسينى نقيب الأشراف فى القدس فى أحدى وثائق الوقف إلى فقده أملاكه أثناء احتلال ضاهر العمر ليافا وهى بيارة على مشارف مدينة يافا موقوفة لصالحه وصالح أحفاده فحين احتل ضاهر العمر يافا اجتثت الأشجار وأقام مكانها سورًا (١٤).

ولقد تعزز مركز القدس من الناحيتين الإدارية والحكومية بالتدريج منذ النصف الثانى للقرن التاسع عشر وهكذا توسع سنجق القدس مع ضم قضاء نابلس وغزة إليه .

حصل على مركز إياله وكان يلى القدس عادة باشوات أتراك نوى رتبة ميرميران .

أما بالنسبة لأوقاف المسيحيين فهناك أوقاف على الطوائف المسيحية الأربع الأساسية فى القدس وهى الروم - الكاثوليك - الأرمن - القبط .

وهناك وثيقة تحمل عنوان " مذكرة حول بيوت الرب فى القدس " بعدد المبانى المسيحية فى الأيام الأخيرة لشارلمان وعدد مواطنيها والقاطنين فيها ومصروفات كنيسة القدس . وقد أقام شارلمان مبانى كثيرة فى القدس فى عام ٢٥٧هـ / ٨٧٠م وذكر الراهب برنهارد عدداً من مبانيه منها أديرة للرجال والنساء وفندق للحجاج ، ومكتبة كما وقف سوقًا وقطعة من الأرض فى وادى ، (يهوشفاط) قدرون . ولقد ذكر رهبان يونان وسريان وكرج وأرمن - وعرب ولاتين(١٥). وهناك عدد من الأوقاف المسيحية تعود إلى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى وعددها ثلاثة عشر وقفًا مسيحيًا ولم تشمل أى منها على أكثر من دار واحدة ، أما اليهود فلم يوقفوا إلا أملاكًا محدودة ، ووثائق الأوقاف تشير إلى أوقاف محدودة ، وموسى جيل فى كتابه عن المؤسسات اليهودية الخيرية فى العصور الوسطى لا يشير إلى أوقاف فى القدس (١٦)، وأغلب ما ذكر فى أوراق الجنيزة عن الأوقاف مجرد رمز دينى لا تستند إلى وثيقة إنما ذكرت للبركة .

الفصل الأول

الوقف من الفتح الإسلامى للقدس

إلى نهاية الدولة الفاطمية

الوقف فى الإسلام :

الوقف ظاهرة اجتماعية واقتصادية وإن كان فى أصله يعود للوازع الدينى ويرجعه البعض إلى حديث الرسول ﷺ حيث قال « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** » وفسر العلماء الصدقة الجارية بأنها الوقف (١٧) .

الوقف فى اللغة معناه الحبس والمنع مطلقًا سواء كان ماديًا أو معنويًا ، وفى أصل وصفه الشرعى هو صدقة جارية أى مستمرة ، المراد منها استدامة الثواب والقرب من الله ، عن طريق الإنفاق فى وجوه البر والخيرات على اختلاف أنواعها وتعدد مجالاتها (١٨).

أما فى الاصطلاح الفقهى فقد عرف بعض الفقهاء الوقف بأنه « حبس العين على حكم ملك الله تعالى ، والتصدق بالمنفعة حالاً أو مالاً » وعرفه بعضهم الآخر بأنه « حبس مال يمكن الانتفاع به ، مع بقاء عينه ، فقط فى التصرف في رقبته ، على مصرف مباح » أو هو تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة ، واختار الشيخ محمد أبو زهرة ما قاله ابن حجر فى (فتح البارى) ووصفه بأنه أجمع تعريف لمعانى الوقف وهو أنه « قطع التصرف فى رقبة العين التى يدوم الانتفاع بها وصرف المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداء وانتهاء » .

أول ما عرف عن النبى ﷺ قوله لعمر بن الخطاب عندما أراد التقرب إلى الله بأرض له «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بثمرها (لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث)» فأصل الوقف لا يباع سواء كان أطيانًا أم عقارات سكنية أم حوانيت وغيرها ، وانتشرت الأوقاف فى شتى بقاع عالم الإسلام حتى أضحى الوقف ظاهرة اجتماعية واقتصادية وثقافية لعبت دورًا بارزًا فى حركة المجتمعات الإسلامية (١٩).

وظهر تقسيم عرفى للوقف سرعان ما تحول إلى تقسيم قانونى أو رسمى حكومى يميز بين ثلاثة أنواع : أولها : الوقف الخيرى وقصد به ما كان ريعه مخصصًا ابتداء ، أو آل حسب شرط الواقف للصرف على جهة من الجهات الخيرية التى لا تنقطع كالفقراء والمساجد

والمستشفيات. فمنذ البداية لجأ القادرون إلى إقامة المؤسسات المتنوعة ، وكانت لتعليم الأيتام ومدارس لتعليم الكبار ومساجد لإقامة الشعائر الدينية وخانقوات لذكر الله وبيمارستانات لعلاج المرضى وسبيل لتوفير ماء الشرب ، ويقيمون على كل مؤسسة وقفًا للإنفاق عليها من ريعه لضمان بقائها واستمرارها فى أداء رسالتها ، وبذلك عدت الأوقاف الدعامة الكبرى للنهوض بالمجتمع ورعاية أفراده ، وتوفير الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية والدينية ، بحيث أن هذه الرعاية لم تكن مسئولية الدولة وحدها بقدر ما كانت مسئولية كل قادر من أفراد المجتمع ، وفى نفس الوقت أدت إلى الارتباط بالأرض والحفاظ على الملكية (٢٠).

ثانيها : الوقف الأهلى ويقصد به ما كان ريعه مصروفًا على الواقف نفسه ثم على أولاده أو بعض أقاربه من بعده ، ثم على ذريتهم من بعدهم ، وهكذا إلى حين انقراضهم كلهم أو بعضهم ثم يؤول لجهة خيرية ، وهذه نجدها فى كثير من أوقاف القدس .

وثالثها : هو الوقف المشترك الذى يجمع بين النوعين السابقين فيكون منه حصة خيرية وأخرى أهلية ، وغير هذه التقسيمات تقسيم غير معروف فى فقه الوقف ، إنما هو تقسيم عرفى تثبته الحكومات الحديثة لتسهيل سيطرتها على الأوقاف (٢١).

الوقف فى أصله قائم على فكرة الصدقة الجارية التى حض عليها الرسول ﷺ وهو أيضًا معاملة من المعاملات الشرعية التى تتجلى فيها الرؤية الإسلامية لمسألة الملكية بأوضح ما يكون، تلك الرؤية القائمة على أساس أن الأصل فى الأشياء جميعها أنها ملك الله تعالى ، وليس لغيره فيها ملك حقيقى . أما ملكية الأفراد فهى ملكية مجازية أو ملكية استخلاف ، وليست ملكية مؤبدة ، كما أنها ليست مفهومًا ماديًا احتكاريًا ، وإنما هى مفهوم تضامنى اجتماعى ، والوقف هو أحد التجليات العملية لهذا المفهوم ، هذا إلى جانب ما يمكن أن تستنتجه هو أن فكرة الحرية بمعناها الواسع فكرة أصيلة وكامنة فى البنية المعرفية لنظام الوقف نفسه ، فزوال الملك بالوقف فيه تحرير لنفس الواقف من أسر شهوة التملك (٢٢). وفى ضوء هذا المفهوم وباطراد ممارسته في الواقع الاجتماعى ، وزيادة أصوله الاقتصادية ، وكثرة مؤسساته الخيرية على اختلاف أنواعها ، أصبح له دور بارز فى توفير الكثير من الخدمات بطريقة تتسم بالتلقائية واللامركزية وصار يمثل قوة اقتصادية مادية إلى جانب قوته الرمزية (المعنوية) ، التى يمكن أن تغرى أى سلطة بالاستيلاء عليها وتوظيفها لخدمة أغراضها ، ودعم

مركزها وخاصة فى الفترات التي يضطرب فيها الاستقرار السياسى وينتشر الفساد ويختل الأمن ، ويتحقق نظام الوقف ومؤسساته التى ارتبطت بها مصالح كثيرة من احتمال اعتداء الطامعين ، ومن جور السلطات الحاكمة ، ويبذل الفقهاء جهوداً مضنية لتأسيس استقلالية نظام الوقف الذى يحافظ علي حرمته ويحقق له الاستمرار والاستقرار . وكمثال لذلك حين أراد الظاهر بيبرس الرجوع فى أحد أوقافه فى القدس فرفض الفقهاء .

ولقد ارتبط كل وقف بحجة شرعية توضح أركان ذلك الوقف والغرض منه وحجمه وكيفية الاستفادة من ريعه ، ونوعية المستفيدين من الوقف وعددهم والموظفين والخدم القائمين على رعاية شئون المؤسسة والوقف ، وغير ذلك من الجوانب . ولقد جعل الفقهاء شروط الواقف حرمه فقالوا : (إن شرط الواقف كنص الشرع) على أن تكون محققة لمصلحة شرعية ، أو موافقة لمقاصد العامة للشريعة ، وقد قرر الفقهاء أن الولاية العامة على الأوقاف من اختصاص القضاء وحده دون غيره من سلطات الدولة ، وأنها تشمل ولاية النظر الحسبى ، كما تشمل ولاية الفصل فى المنازعات الخاصة بالأوقاف . والأول يشمل شئون النظارة على الأوقاف وإجراء التصرفات المختلفة .

وبالنسبة لما تم اغتصابه منه أو طمس معالمه لاندثار حجته « كما حدث فى الفترة التى استولى الصليبيون فيها على مدينة القدس وما حولها » كان من الممكن كلما أتيحت الفرصة إرجاعه إلى أصله وإجرائه على الخيرات والمنافع العامة سواء كان الغاصب شخصاً عادياً ، كما حدث فى بعض أوقاف القدس فى عصر المماليك وأعيدت إلى الوقفية الأولى وشروطها أو السلطات أو الحكومات كوقف (عبادة بن الصامت) من المؤكد أنه أوقف فى الفترة الإسلامية الأولى ثم عاد إلى أصحابه بعد خروج الصليبيين ، والشرع لا يجيز إدماج الذمة المالية للوقف فى ذمة بيت المال حيث اعتاد بعض السلاطين دمجه بأموالهم الخاصة (٢٤).

وأول الأوقاف فى الإسلام كان فى السنة الثالثة للهجرة ، وكانت عبارة عن سبعة حوائط كانت ملكاً لمخيرق اليهودى من بنى النضير ، آمن بالرسول ﷺ يوم أحد وأوصى أنه إذا قتل فأمواله للرسول ﷺ نصفها صدقة ، ويشير الخصاف فى كتابه (أحكام الأوقاف) إلى أن ثمره ظل إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز وأن المسلمين قد حبسوا بعده على أولادهم وأولاد أولادهم (٢٥).

ويرى البعض أن صدقات الرسول ﷺ الموقوفة كانت من أموال بنى النضير ، كذلك أشار الحصاف إلى أن أبا بكر الصديق حبس رباعًا له كانت بمكة وتركها فلا يعلم أنها ورثت عنه ، ولكن كان يسكنها من حضر من ولده وولد ولده وسلالته بمكة ، وكذلك كان عمر بن الخطاب قد أخبر الرسول ﷺ على الأرض التى أصابها فقال له « إن شئت حبست أصلها وتصدقت بثمرها » فجعلها عمر صدقة لا تباع ولا توهب تصدق بها على الفقراء والمساكين وابن السبيل، وأوصى بجزء إلى حفصة رضى الله عنها ابنته وزوجة الرسول ﷺ وإلى الأكابر من آل عمر .

كذلك أوقف عثمان بن عفان فتصدق بماله الذى بخيبر على ابنه (ابان بن عثمان) صدقة بته بتله لا يشترى أصله أبداً ولا يوهب ولا يورث ، كذلك فإن على بن أبى طالب أوقف ما أقطعه له عمر بن الخطاب حصن له عيون ونخيل وزرع بطريق حاج مصر لينفق منه على الفقراء والمساكين وعلى أبنائه (٢٧).

وكذلك أوقف عدد من الصحابة كالزبير ومعاذ بن جبل وخالد بن الوليد وصفية بنت حيى رضى الله عنها زوجة الرسول ﷺ وسعد بن أبى وقاص .

فالوقف كان معروفًا فى الإسلام وإذا تناولنا أوقاف القدس فهى تعود للفترة الأولى للفتح الإسلامى بل هناك وقف سبق تلك الفتوح ، وهو الوقف الذى منحه الرسول ﷺ لصاحبه (تميم الدارى) .

وهناك ملاحظات وسمات عامة من واقع مجموعات الوقف الوثائقية ومنها المجموعة التى أصدرها د. كامل العسيلى وهى مجموعة وثائق مقدسية(٢٨) والمجموعة الصادرة من منظمة المؤتمر الإسلامى بعنوان أوقاف وأملاك المسلمين فى فلسطين فى ألوية غزة والقدس الشريف ، صفد، نابلس ، عجلون حسب الدفتر رقم ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية المدونة فى القرن العاشر الهجرى والصادرة عن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول عام ١٩٨٢م(٢٩) عدد من الوثائق مكررة فى المصدرين ويعود الفضل إلى هذين المصدرين لدقتهما فى نشر الوثائق وحجج الأوقاف الخاصة بالقدس فى إيضاح أصول الوقف ، وبالإضافة إلى المصادر الإسلامية التى استكملت الصورة ، مثل ما كتبه ناصر خسرو عن أوقاف الفاطميين وعلى الأماكن الدينية والبيمارستان فى القدس فالمصدر يستكمل الصورة إلى جانب الوثيقة ، والملاحظة الهامة أن الوثائق فى مجموعها تدور حول الفترة الأيوبية والمملوكية والعثمانية ، فكما ذكر فى مقدمة الوثائق المنشورة فى استانبول أن الوثيقة التى تم

تحقيقها دونت فى أواسط القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى عقب الفتح العثمانى لفلسطين والتى حفظت حتى اليوم فى ما يعرف بالأرشيف العثمانى فى استانبول وهذه الوثيقة هى عبارة عن دفتر تحرير الطابور رقم ٥٢٢ وهى تلقى الضوء على الكثير من الحقائق الأساسية الخاصة بحقوق المسلمين فى تلك البلاد ، وتقدم شواهد لا تنكر على أملاكهم وأوقافهم وتسوق الأدلة القاطعة على الجانب الإنسانى لنظام الأوقاف الإسلامى ورعايته لجميع أفراد المجتمع وللناس كافة بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم أو أديانهم ، فنجد أن خدمات الأوقاف كان يستفيد منها اليهود والنصارى بل أجرت أراضى أوقاف إسلامية كمقابر لليهود بالإضافة إلى ما ذكره الرحالة عن الأوقاف الإسلامية وكيف لم يفرق المسلمون فى التعامل بين الأديان (٣٠).

أولاً : يشير الدفتر العثمانى لأمر هام مؤداه أن وضع القدس الإدارى اختلف وفقًا للفترة والدولة الحاكمة .

وفى أحد دفاتر التحرير المدونة فى عام ٩٣٤ هـ / ١٥٢٧م . بعد دخول القدس تحت الإدارة العثمانية بعشر سنوات كانت فلسطين مكونة من ألوية ثلاثة هى : لواء القدس وغزة ولواء نابلس وصفد ولواء السلط وعجلون ضمن ولاية الشام .

أما فى التحرير الذى أجرى فى خلال ١٥٦٨ - ١٥٧٤م فنرى أن فلسطين تقسم إلى خمسة ألوية هى : ألوية الصفد والقدس وغزة ونابلس وعجلون ، وفى تصنيف كامل كبه چى رقم ٢٦٢ ترى السلط وعجلون معًا ، وأن هذه الألوية تتبع ولاية الشام إداريًا ، وفى رسالة عين على المكتوبة فى مطلع القرن السابع عشر نجد أن ألوية للقدس وغزة وصفد ونابلس وعجلون ولجون تابعة لفلسطين التى تتبع بدورها ولاية الشام .

ونرى أن الدفتر رقم ٥٢٢ الذى يقسم فلسطين إلى خمسة ألوية مجمعة فى أن واحد مما يدلنا على أن العثمانيين كانوا يعتبرون هذا الجزء من بلاد الشام وحدة واحدة .

وكان يتم تدوين المعلومات من خلال كاتب الولاية الذين كان يطلقه على كل منهم اسم محرر الممالك وكان المسئولون فى كل ولاية يسهلون مهمة كاتب الولاية ، وأثناء التسجيل كان يتم تصنيف الأراضى إلى خاص ، زعامة ، تيمار (٣٢)، أوقاف وأملاك على التوالى ، وكان يجرى تحديد المعافين من الضرائب مثل الأئمة والخطباء والمؤذنين والقساوسة والحاخامات من رجال الدين غير المسلمين، والدفتر يشمل لواء غزة ولواء القدس ولواء صفد ، نابلس ، عجلون.

ثانيًا : الفترة الأولى تقل فيها المصادر الخاصة بالأوقاف وهى تمتد من الفتح إلى الدولة الفاطمية والاعتماد فيها على المصادر التاريخية أكثر من الاعتماد على الوثائق ومن المؤكد أن فى فترة الحروب الصليبية دمرت العديد من الأوقاف وإن كان هناك أوقاف استمرت أو عادت لوضعها بعد خروج الصليبيين (٣٣).

ثالثًا : الأوقاف الدينية المقدسية تنقسم إلى : أوقاف على الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة ثم أوقاف على المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة وعلى قبور الأنبياء فى القدس ، وخاصة فى الخليل قبر الخليل إبراهيم عليه السلام ولوط ويعقوب وإسحق عليه السلام وهى إما أوقاف مباشرة خصصت لتلك الأماكن بأن يوقف الواقف على نفسه وعلى أبنائه وذريته من بعده وفى حالة انقراضهم على تلك الأماكن .

كذلك كانت هناك أوقاف على المساجد وعلى مقابر الأولياء وبعض الأمراء والأثرياء والعلماء أوقفوا على قبورهم وقراءة القرآن لهم ، وأحيانًا يلحق بها كتاتيب لتعليم الصبيان والفقراء بالإضافة إلى خانقاوات الصوفية التى جرى إيقاف الأوقاف عليهم خلال العصور الفاطمية والأيوبية والمملوكية والعثمانية ، وكأوقاف الحرمين كان الإيقاف مباشرة على المسجد أو الخانقاه أو المقبرة وأحيانًا بعد انقضاء السلالة .

رابعًا : جرى إيقاف الأوقاف على فئات معينة كزاوية المغاربة والتواجد المغربى يرجع بأصوله للفترة الفاطمية ، وجرى الإيقاف عليها فى العصر الأيوبى وظلت الزاوية والحارة الملاصقة للبراق إلى حرب ٦٧ ، كذلك هناك زاوية الهنود ووقف الهكارية الأكراد الذى أوقفه صلاح الدين على أحد قواده .

خامسًا : تعددت جنسيات الواقفين فهناك أوقاف عربية للصحابة ، ثم أوقاف للحكام الفاطميين ثم أوقاف أوقفها صلاح الدين وأوقاف على أكراد وتركمان وأتراك ومواطنين من القدس وتعددت الفئات الوظيفية من سلاطين وأمراء أيوبيين وأمراء مماليك لقادة عسكريين أتراك لعلماء وقضاة وفقهاء وتجار وملاك ومزارعين .

الأوقاف على الأشخاص شملت الأشخاص وذريتهم إلى انقراضهم ، والبعض أوقفها على أخوته وأقاربه وعلى عتقاء له ، وأحيانًا على العاملين بالوقف من ناظر وقراء قرآن وكذلك البعض أوقفها على سلالة أبنائه الذكور دون الإناث .

وبعض الأوقاف كانت على سيدات ، وبعض الأوقاف أوقفها نساء وهناك نساء عملن كنظار لأوقاف وقراء قرآن .

سادسًا : شملت الأوقاف أنواع مختلفة من الأملاك فهناك قرى وضياع ومزارع متنوعة الثمار من فاكهة ونخيل وزيتون وكروم .

وهناك أرض فضاء - ومنازل وحوانيت وحمامات وطواحين وخانات وأقبية وقاعات وبرك وأفران ومعاصر ومخازن ومصبغة ومصبنة وسوق وحوش ، وبعضها كأوقاف السلاطين كالناصر صلاح الدين ، والظاهر بيبرس ، ومحمد بن السلطان الغورى وخاصكى سلطان شمل عدة أنواع من الملكيات وبعض أوقاف الأفراد اقتصر على طاحون أو طابق فى منزل .

سابعًا : هناك أسر تردد اسمها فى أوقاف عديدة وعبر فترات زمنية مختلفة كالهكارية الذين تعددت أوقافهم(٣٤) ، وأسرة الدوندارى والعلمى والحسينى مما يؤدى إلى تتبع أصول الأسر المقدسية والتى استمر تواجدها إلى الآن واشتهرت أسماء أبنائها من العلماء والفقهاء وكبار الإداريين .

بعض الأوقاف استمرت طوال عصور مختلفة ولكن فى فترة الضعف التى أصابت الدولة العثمانية أو نتيجة لازدياد النفوذ الأجنبى متمثلاً فى الجاليات الأجنبية وقناصلها ثم مصادرتها لصالح تلك الجاليات كمدرسة الناصر صلاح الدين ووقف خاصكى سلطان .

ثامنًا : بعض الأوقاف كانت على مساجد ومدارس تخص بعض أمراء الأيوبيين ثم سلاطين المماليك وأمرائهم فى مصر ، ولكن أملاك الوقفية على أرض القدس . وبعض الأمراء الأيوبيين والأمراء المماليك استوطن الشام وعاشت سلالته فيها ، وأوقف الأوقاف ، كذلك استوطنها العديد من الجنسيات من الشعوب الإسلامية واستقروا فيها أجيالاً وكونوا أسرًا حملت أسماءهم وأصبحوا جزءًا أساسيًا من نسيج تلك البلاد .

ولقد أدت الأوقاف إلى ازدهار الحياة العلمية وظهور هذا العدد من أسماء العلماء والفقهاء والصوفية ، كذلك عكست صور النشاط الاقتصادى الكبير بما أوردته عن المعاصر والمطاحن والخانات والمزارع ونتاجها ونسبة الدخل منها وأسماء التجار والحرف .

كذلك عكست مدى الاهتمام على المستوى العام بالمؤسسات الدينية ، ومساهمة أفراد المجتمع فى المنشآت العامة والأنشطة الإنسانية كالبيمارستانات (٣٥)، والاهتمام بالمسجونين

والإنفاق على الأسبلة وصهاريج المياه وإصلاحها ، والإنفاق على الفقراء فى المدن وكسوتهم وإطعامهم فهى تحل محل عدد من الوزارات الآن كالشئون الاجتماعية والمحليات .

تاسعًا: ورد فى مصطلح الأوقاف تعبير الحكر وهو يعطى حق استغلال الأراضى أو المبانى لمدد طويلة قد تصل إلي ثلاثين سنة ويرى البعض أن هذا النظام يؤدى إلى انتقاص قيمة الأرض المحكرة وما عليها من مبانى فتباع بأبخس الأثمان (٣٦).

والخلو : هو حق انتفاع بالوقف ملكه دافع الدراهم مقابل المال الذى لأجل عمارته عن الوقف ، ويكون لصاحب الخلو حق فى العقار وخلوه ويكون تحت يده مقابل المال الذى دفعه لمتولى الوقف لأجل عمارة الوقف ، ولصاحب الخلو أن يتصرف بالعقار ما دام يدفع أجر المسئول ، والخلو يورث لصاحبه بشرط إذن المتولى وهو من أسباب تناسخ أوصال الوقف .

وردت بعض المصطلحات خاصة بإيرادات الأوقاف فى العصر العثمانى ، وهى إيرادات ضرائب عرفية كانت تفرض على أمور بعينها تحصل وتدخل إيراداتها فى داخل الوقفية – وردت محصول قبان رسم معز – خاص شاهى – رسم بادهوا – رسم عروس – مال صيفى وقطن – رسم نحل ، عادت نوت .

عاشرًا : هناك العديد من الوظائف التى ارتبطت بالأوقاف وبمراجعة الوثائق نجد أن أسماء تلك الوظائف تكررت أكثر من مرة مثل : مدرس – نصف ناظر – ونصف شيخ – جابى – متولى – قارئ قرآن – ناظر وقف – قارئ ما تيسر – مدرس مدرسة – مشارف نائب ناظر – إمام مُشد – مفتش شاد داوين – ناظر وشيخ بلا تعيين – بواب – فقيه مدرسة – كاتب وقف – جابى – مدرس – شيخ بلا مدرسة بلا تعيين – معيد – محدث – كاتب وقف – معمار – فراش – صيدلجى – قارئ جزء – شيخ مؤذن – مشاعلى وبعضهم يجمع بين عدة وظائف (ناظر وشيخ وفراش) نفطجى – معلم أولاد – شعال مكتب – عامل مدرس – إمام مدرسة – شيخ مدرسة – جابى وقف – قارئ شيخ – فقيه – ناظر مدرسة – قيم مدرسة – معلم أولاد – شيخ قارئ حديث – معتمد – متصرف فى وظيفة بالوقف – مفرق – معمار زاوية – شيخ القراء – خادم مكتب متولى أوقاف المصريين – كاتب ميراث – جهة عمالة – حافظ أجزاء – سقا مدرسة – ناظر كنيسة القيامة .

وثائق مقدسية تذكر أن ربع أراضى القدس فى العصر العثمانى أوقاف ولكن ما ورد فيها محدود وليس هو كل وثائق الوقف لهذه الفترة فإذا طابقناها على الدليل التركى ، بالإضافة

إلى المصادر الإسلامية نجد أنها يمكن أن تصل إلى نصف أراضى القدس وأكنافها ، وهى تثبت عروبة الأرض .

أما وثائق الأوقاف الخاصة بالطوائف الدينية الأخرى فقد كانت محدودة .

ومن واقع الوثائق نجد مجتمعًا إسلاميًا لمدة أربعة عشر قرنًا يموج بالحياة يعيش أفراده فى تجانس تعددت جنسياته الإسلامية ثم اندمجت لتصبح نسيجًا واحدًا ، انتشرت فيه المدارس والمساجد التى تؤكد الترابط الإنسانى وحب الخير .

فالوثائق تشير إلى أمراء وعلماء وقضاة وتجار ومزارعين عاشوا وارتبطت حياتهم وأعمالهم وثقافتهم بهذه الأرض ، والدراسة تحوى قوائم القرى والمزارع التى كانت تتبع الأوقاف .

فى العصر العثمانى كانت تأتى صرة تتضمن مبالغ مالية للإنفاق على المؤسسات الدينية الموقوفة ، وتعرف بالصرة الرومية ، ووردت صرة باسم الصرة المصرية مضافة إلى الصرة الرومية ويبدو أنها أموال تأتى من بعض مياسير مصر إلى الشام ، والدراسة ستوضح مدى حجم انتشار الأراضى الموقوفة التى تملكها مسلمون عاشوا على أرضها وما مارسوه من أنشطة من واقع الوثيقة . ولقد قسمتها إلى وثائق تتعلق بالأماكن الدينية والعلمية ، ووثائق لجنسيات مختلفة ووثائق خاصة بأعمال عامة وحجم الوقفيات المرتبطة بكل مؤسسة من المؤسسات الدينية ، ونوعية الواقفين فهى تؤكد تنوع فئات الواقفين ، وعمليات التواصل خلال قرون تثبت ارتباطهم بالأرض ، وأنهم لم يكونوا عابرين مع ذكر الأسرات المقدسية من واقع الوثائق ، كذلك عرضت للوثائق الخاصة بالطوائف غير الإسلامية ومقارنتها بأعداد المسلمين والأعداد الحقيقية للتواجد الإسلامى .

نستطيع أن نقسم الفترة الزمنية فى التعامل مع وثائق الوقف من الناحية التاريخية إلى فترتين أساسيتين : الأولى : من الفتح الإسلامى إلى استعادة صلاح الدين القدس ، وهذه الفترة تتميز بقلة الوثائق الوقفية نتيجة الاحتلال الصليبى واستيلائه على جميع الأراضى والمنشآت الإسلامية آنذاك .

والفترة الثانية : هى فترة غنية بالوثائق واستمرت خلال عصر الأيوبيين والمماليك والعثمانيين ، فصلاح الدين دخل القدس ومعه عشرة آلاف من رجال الدين ، بالإضافة إلى جنده وأمرائه وأقاربه ، وعودة من هاجر خارجها من قبل بسبب الصليبيين ، وبإقامته للمدارس

والمساجد والخانقوات ، ونظراً لما للقدس من قيمة دينية توافد عليها آلاف من المسلمين من مغاربة وفرس وهنود وتركمان وأكراد وأوقف الأوقاف على المنشآت ولم يؤثر صلح الرملة بين الكامل وفريدريك الثانى ٥٩٠هـ / ١١٩٣م كثيراً إذ ظلت القدس مدينة مفتوحة غير محصنة لم يسع الصليبيون لسكناها ، واستعادها الصالح إسماعيل ، وعادت إلي طبيعتها الإسلامية على يد الصالح نجم الدين أيوب ، بدليل أن مؤسسات صلاح الدين وابنه الأفضل والهكارية وقادته ظلت ممتدة فى عصور المماليك والعثمانيين .

وقبل العرض للتواجد الإسلامى وأوقاف الفترة الأولى يجب إعطاء وصفًا لمدينة القدس الإسلامية ، ونوعيات السكان عند الفتح ، وعملية انتشار الإسلام واكتسابها الطابع الإسلامى.

القدس :

هى هضبة غير مستوية تماماً يتراوح ارتفاعها بين ٢١٣٠ / ٢٤٦٩ قدماً ، جوها قارى صحراوى إلى حد كبير ويندر بها الثلج ومقرها شتوى متوسط ورطوبتها متوسطة ، وتحيط بها عيون كثيرة تتفاوت فى غزارة الماء وصلاحيته للشرب ، وكانت المدينة إلى عهد ليس ببعيد تعتمد أساساً على تجميع مياه الأمطار فى صهاريج وآبار وأعلى مرتفعاتها يوجد على حافاتها الشرقية أو الجنوبية الغربية والشمالية ، ولذلك اعتبرت منذ القدم موقعاً استراتيجياً قوياً واشتهرت بأنها لا تظهر عند الزحف عليها من بعيد ، وأهم جبالها جبل الزيتون وهو المواجه لأسوار الحرم من الجهة الشرقية ، يفصله عنه وادى عميق سريع الانحدار وهو وادى قدرون وامتدادهما من الجنوب إلى الشمال (٣٨)، فى أسفل هذا الجبل توجد حديقة المعصرة جيسمانى التى اكتسبت ذكريات قدسية لدى المسيحيين من صلاة يسوع وهو فى النزع الأخير(٣٩)، وجبل بطن الهواء وهو امتداد جبل الزيتون والزاوية الجنوبية الشرقية للقدس يفصله عنها وادى سلوان الذى ينفصل فى هذه النقطة ، وجبل صهيون فى الجزء الغربى للقدس القديمة ، وكانت عليه قلعة اليوبوسيين التى أخذها داود عليه السلام منهم ثم جعلها قاعدة حكمه ، وكان يفصل جبل صهيون عن هضبة القدس جبل أقل ارتفاعاً يمتد على شكل هلال إلى الشمال الشرقى من صهيون ، وكما يرى بين الجبلين وادى ضيق كان يسمى حسب قول المؤرخ اليهودى يوسيفوس فى القرن الأول الميلادى (وادى الجبانة) وكان يمتد من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى حيث يتصل بوادى سلوان الذى يتصل بدوره بوادى قدرون شرقاً ثم أصبح هذا الجبل يسمى جبل موريا أو جبل بيت القدس .

جبل بيت القدس (أو الحرم حيث المسجد الأقصى) تذكره التوراة « التكوين ٢٢/٢» فى قصة الذبيح الذى أمر الله إبراهيم أن يقدمه قربانًا ، وجبل رأس المشارف وهو امتداد لجبل الزيتون من الشمال الشرقى إلى الشمال يفصل بينهما منخفض يسمى عقبة الصوان . ومدت أسوار المدينة إلى ما وراء هذا الجبل الآخر حيث أصبح حيًا من أحياء القدس الذى كان يسمى المدينة الجديدة .

جبل الزيتون وامتداده جنوبًا وشمالاً لانفصاله التام عن القدس بالمنخفضات والوديان الشرقية ، نستطيع أن نقول أن المدينة كانت تقوم بهذا الشكل على مرتفعين اثنين هما هضبة الحرم وقبالتها فى الجنوب الشرقى جبل صهيون .

ويذكر مؤلف كتاب « اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى » أن الصخرة التى توجد فى الحرم الشريف ببيت المقدس هى عبارة عن صخرة غير منتظمة الشكل يبلغ طولها ١٨ مترًا من الشمال إلى الجنوب وعرضها ١٣ مترًا من الشرق إلى الغرب ، وأقصى ارتفاع لها عن أرض البناء متر ونصف متر ، وصدر حجر الصخرة ملبس بالرخام الملون على ارتفاع ذراعين ، وبحجر الصخرة من الجانب الشمالى للغرب توجد قطعة حجر صغيرة محمولة على ستة أعمدة صغار ، قيل أنه أثر قدم النبى ﷺ وفى مواجهة حجر القدم توجد مرآة من السبعة معادن محمولة على ثلاثة أعمدة وتحت الصخرة المقدسة توجد مغارة يقع مدخلها فى مواجهة محراب إمام الصخرة(٤٠)، وينزل إلى المغارة بأربعة عشرة درجة ويبلغ طول المغارة من الشرق إلى الغرب عشرة أذرع وعرضها سبعة ونصف من القبلة وإلي الشمال ، ومن المغارة ممرات على اليمين واليسار أمام المحارب الأيمن صفة تسمى مقام الخضر وبالركن الشمالى من المغارة صفة فى الصخرة يسمونها مقام إبراهيم .

ويذكر الدكتور (ظاظا) أن ادعاء اليهود علي أنها الصخرة التى ذكرها التلمود غير حقيقى ، فتلك الصخرة التى يقدسها اليهود ترتفع عن مستوى سطح الأرض ثلاثة أصابع. التلمود « يومًا / ٨٥ - ٤ » ، نفس الأمر ذكره موسى بن ميمون فى كتابه (طقوس يوم الغفران) ، فى حين أن الصخرة الموجودة حاليًا ترتفع عن مستوى بقية المغارة وعمقها أكثر من متر ونصف وتبدو الصخرة فوقها كأنها معلقة بين السماء والأرض وبين الصخرة وقاع المغارة دعامة من الخشب ، وذكر باحث ألمانى أنها ليست صخرة وأنها ربما أحد ركائز المنبح الخاص بالقرابين ، وأما الصخرة الأخرى فيقول د/ ظاظا - أن الله أعلم ماذا صنع بها كل

من غزى القدس من بختنصر وانطيوخوس وابفانوس وتيتوس وفسبسيان ، وهدريان ممن دمروا أورشليم مرارًا وتكرارًا (٤١)، ودائرة المعارف العبرية قالت إن دفن الموتى داخل أسوار القدس كان لا وجود له إطلاقًا ، وعند دخول الجيوش الإسلامية فى عهد عمر بن الخطاب القدس بقيادة أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد أراد عمر بن الخطاب أن يؤمن الحامية العربية مكانًا تعسكر فيه فى القدس فوجد سفح صهيون وقد صار قذرًا (وادى القمامة) فقصد إلى هضبة موريا وبنى مسجداً بجانب الصخر الشريفة التى كان قد أسرى بها النبى ﷺ فصلى عندها ودعا المكان باسم المسجد الأقصى ، وقبل مغادرته القدس أقام عمر بن الخطاب (يزيد بن معاوية) على أمرها على أن يأتمر بأوامر أبى عبيدة بن الجراح (٤٢). وانتدب للصلاة من بعده سلامة بن قيصر الذى كان يقيم فى نفس المكان الذى كان يقوم عليه قصر هيرديوس فى عهد الدولة الرومانية ، ويصف حاج من أقباط مصر القدس كما رآها سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م فيقول كان للقدس سور يتخلله ٨٤ برجًا وله ست أبواب منها ثلاث مداخل رئيسية يدخلون منها ويخرجون أحدها فى غرب المدينة والثاني شرقها والثالث فى الشمال .

ورغم أن هيلينة أم الإمبراطور قسطنطين بنت كنائس فى بيت المقدس ، كان موضع الصخرة وحولها خراب فتركوها على حالها بل ردموا على الصخرة التراب حتى صار فوقها مزبلة ، وبنى مسجد فى المنطقة التى كانت مليئة بالتراب بجوار الصخرة التى قيل إن الرسول ﷺ قد صعد عندها عندما عرج به إلى السموات فى الإسراء والمعراج .

وتاريخ بناء مسجد قبة الصخرة يرجع إلى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان الذى استشار المسلمين فى بنائها ، ورصد لبنائها خراج مصر سبع سنين ، وعهد بإدارة العمل إلى اثنين من رجاله المخلصين هما رجاء بن حياة بن جود الكندى ، ويزيد بن سلام من مواليه وهو من القدس ، ولقد شرع البناؤون فى البناء ٦٦هـ / ٦٨٥م وفرغوا منه ٧٢هـ / ٦٩١م ولقد بقى اسم عبد الملك بن مروان فى شريط من الكتابة الكوفية ، بأعلى المثمن الداخلى بالجص المذهب على أرضيه زرقاء من الفسيفساء الزجاجية ويشير إلى تاريخ الإنشاء سنة اثنين وسبعين(٤٣).

ولقد أثر فى بنائها الزلزال الذى حدث سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م كما تولى إصلاحها وترميمها وفقًا للكتابة المكتوبة على النقش الخليفة عبد الله المأمون ٢١٦هـ / ٨٣١م ، وقد حدث أن العمال الذين قاموا بالترميم يومئذ أرادوا أن يتملقوا المأمون باستبدال اسمه باسم منشئها عبد الملك بن مروان ، ولكن نسوا محو التاريخ الحقيقى (٤٤).

ولقد أقام الفاطميون كثير من العمائر فى القدس ، كما وسعوا المسجد الأقصى ولقد رمم الحاكم بأمر الله المسجد أثر زلزال ٤٠٧هـ / ١٠١٦م واستمر العمل فى الترميم بعهد الظاهر لإعزاز دين الله ٤١٣هـ / ١٠٢٢م وعندما احتل الصليبيون بيت المقدس ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة وبنوا فوق الصخرة مذبحًا وأطلقوا عليه Templum Domni أى هيكل السيد العظيم ، وأضافوا الحاجز المصنوع من الحديد المخرم وكسوها رخامًا وهو الذى يفصل الصخرة عن البناء لأن قسس الصليبيون كانوا يقطعون من الصخرة ليحملوها إلى بلادهم .

وبعد استعادة صلاح الدين لبيت المقدس قام بإزالة معالم الكنيسة ورفع المذبح وأزال الرخام ورمم نقوشها ، ولقد اتبعه ملوك بنى أيوب فى ذلك ، وأضاف ابنه العزيز عثمان الحاجز الخشبى الذى يحيط بها (٤٥).

وكذلك اهتم بها سلاطين المماليك ، وأوقفوا عليها الأوقاف واعتنوا بترميمها هى والمسجد الأقصى ، ولقد سجل فى نقوش أسفل القبة أسماء سلاطين المماليك الذين قاموا بترميم الصخرة ، الظاهر بيبرس والعادل كتبغا والناصر محمد بن قلاوون والظاهر برقوق والأشرف برسباى سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م ، وجقمق ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م والأشرف قايتباى ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م كذلك اهتم بها سلاطين الدولة العثمانية ومن هؤلاء السلطان سليمان القانونى ٩٤٩هـ / ١٥٢٢م ، والسلطان محمود والسلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز ، والسلطان عبد المجيد الثانى ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م ، كما قام المجلس الإسلامى بترميم قبة الصخرة ١٩٣٨م.

أما عن أبواب القدس فقد أمر السلطان سليمان القانونى ١٥٢هـ / ١٥٥٦م بإعادة بنائها وهى – باب الخليل – وهو الذى يسمى باب يافا وكان يسمى قديمًا باب إبراهيم ، وباب النبى (داود) عليه السلام –واسمه باب صهيون وهو على جبل صهيون ملاصق بقبور ملوك آل داود ، باب المغاربة ويعود للفترة الفاطمية ويسمى الباب الصغير لصغر حجمه ، ومن الأثريين من يزعم أنه باب القمامة القديمة ويذكر د/ ظاظا أن باب القمامة كان إلى الجنوب أكثر من أسفل الجبل ومن هذا الباب تخرج جنازات الموتى من على جبل الزيتون (٤٦).

باب السباع شرقًا والعرب يسمونه (ساباط) ، وباب الزاهرة شمالاً وهو باب هيرودس ، وباب العمود فى الشمال الغربى ، ويسمونه باب دمشق واليهود يسمونه باب شكيم ونابلس والباب الجديد غربى باب العمود كذلك فإن لمدينة الخليل إبراهيم أهمية لما بها من قبور الأنبياء

إبراهيم وإسحق ويعقوب وزوجاتهم ، ويذكر (ناصر خسرو) أن فى وسط المسجد يوجد مشهدين أمام القبلة الأيمن به قبر إبراهيم الخليل عليه السلام وهو مشهد كبير من داخله ولا يستطيع الطواف حوله ، ولكن له أربع نوافذ ينظر منها الزائرون وهم يطوفون حول المشهد الكبير ، وقد كسيت أرضه وجدرانه ببسط من الديباج ، والقبر من الحجر ، ارتفاعه ثلاث أذرع وعلق به كثير من القناديل والمصابيح الفضية .

كذلك وصفه (ابن بطوطة) الذى زاره فى عصر المماليك . فيذكر المسجد « قبة مسجد ويشيع العامة أنها من بناء سليمان ، وفى داخل المسجد الغار المكرم المقدس فيه قبر إبراهيم وإسحق ويعقوب ويقابلها قبور ثلاث من قبور زوجاتهم ، وعن يمين المنبر يوجد جدار القبلة ، وموضع يهبط على درج رخام محكم العمل إلي مسلك ضيق وكان مسدوداً فى عصر ابن بطوطة » (٤٧).

ولقد أشار المؤرخون المسلمون والرحالة اليهود إلى مكانة تلك القبور فوصفها (مشيلوم وعوبدايا) ووصفوا كيف كان يفرق الطعام من أوقاف المسلمين على أبناء جميع الطوائف دون النظر إلي دينهم (٤٨).

ولقد ذكر صاحب كتاب (المسفر للقلوب) عن صحة قبر إبراهيم وإسحق ويعقوب وأسند الحديث إلى أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال « لما أسرى بى إلى بيت المقدس مر بى جبريل على قبر إبراهيم فقال انزل فصلى ركعتين ، فإن هنا قبر أبيك إبراهيم ثم مر بى على بيت لحم، وقال انزل فصلى ركعتين فإن هنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتى بى إلى الصخرة وذكر بقية الحديث » وبداخل هذا المسجد أيضًا قبر يوسف وشرقى حرم الخليل تربة لوط ، وهى على تل مرتفع يشرف منه على غور الشام وعلى قبره أبنية ، وذكر الرحالة ابن بطوطة أنه مر فى طريقه للقدس بتربة يونس ، وأشار إلى أن عسقلان قبور العديد من الأنبياء .

الفتح الإسلامى للقدس والتواجد العربى :

حينما فتحت القوات العربية الإسلامية القدس لم يكن العرب غرباء عن هذه الأرض ، فقد كانت هناك العديد من القبائل العربية التى استوطنت فلسطين وعاشت على أرض القدس ، ومع الفتح توافدت أعداد أخرى لا من جيوش الفتح فقط ، بل من هجرة قبائل عربية استقرت هناك وخاصة بعد قيام الدولة الأموية ، واتخاذ دمشق عاصمة لهم ، ومع انتشار الإسلام ،

ودخول أعداد كبيرة من السكان الأصليين فيه بالإضافة إلى القبائل العربية التى عاشت قبل الإسلام وما تبعه فى انتشار المساجد والمنشآت الدينية . فالقدس كان لها طبيعة خاصة فالعرب لم يكنوا جنسًا وافداً بل كان هناك تواجد سابق وكان السكان فى الفترة الإسلامية نسيجًا من مسلمين ومسيحيين وأقلية يهودية لا تنكر ، وإذا أردنا الحديث من التوزيع الديموجرافى والأرضى التى أوقفها المسلمون ، يجدر بنا أولاً معرفة نوعيات السكان .

العرب :

لقد عرفت القدس استيطانًا عربيًا في فترة ما قبل الإسلام ، فبعض القبائل اعتنقت المسيحية وهى الديانة السائدة آنذاك .

ومن القبائل التى استوطنت المنطقة قبيلة (جذام) من ولد غريب بن زيد بن كهلان ومن بطونهم غطفان وأقصى وبنو الضبيب وبنو بعجة وبنو نفاثة ، وكانت قبيلة جذام من سبأ القحطانية أقرب القبائل الشامية إلى الإسلام فى حياة النبى ﷺ، ولقد رحلت جذام من سبأ إلى بلاد الشام قبل الإسلام وانتشرت فى ربوعه وخاصة فى فلسطين ، فكانت منازلهم حول تبوك وأيلة وأذرح ما بين عمان ومعان وكان من جذام فخذ نزل مما يلى طبرية إلى اللجون البامون بالقرب من حيفا ، ومنهم قوم استقروا فى بيت حبرين وبيت زمارا ، أما الأساورة وهم بطون من الحميدين من جذام ، فقد سكنوا الموضع الذى يحمل اسمهم المعروف بتل الأساور بقرب من حيفا (٤٩)، ونزل بنو زيد الجذاميون فى الوادى الذى يحمل اسمهم بالقرب من رام الله وهم من بنى جذام ، ونزل بنو مهدى فى بعض نواحى البلقاء ، وبنو صخر كانت أماكنهم بالكرك ومن بطونهم بنو فيض الذين كانوا يقطنون بيت المقدس ومن بطون جذام التى نزلت فلسطين قبل الإسلام بنو نفاثة من حرام ، وكانوا يقيمون حول العقبة إلى منبع البحر كان أكثرهم معاشًا جذام يأتيهم من التجارة المارة بين جزيرة العرب والشام ، حيث يقومون بإرشاد القوافل والطرق ويتقاضون عن ذلك أجراً ، وبنو جذام حاربوا المسلمين فى مؤتة واليرموك ثم عاونوهم بصدق وإخلاص فى بقية معارك الفتح (٥٠).

ويعتبر أهم من سكن فلسطين من جذام آل زنباع من حرام ، وهُم ينتسبون إلى زنباع ابن روح تلك الأسرة التى كانت لها مكانة بارزة فى بلاد الشام فى عهد بنى أمية ، وكان زنباع الجذامى يعشر القوافل للحارث بن أبى شمر الغسانى قبل الإسلام (٥١)، وكانت قبائل جذام أكثر القبائل العربية إسلامًا فى العهد النبوى ، فاعتنق الكثير منهم الإسلام ، ووفد بعض

أشرافهم على النبى ﷺ ومنهم زنباع بن روح الذى أعلن إسلامه سنة ٧ هجرية ورحب به الرسول ﷺ قائلاً « مرحبًا بقوم شعيب وأصهار موسى » ومن أشهر قبائل جذام الذين أسلموا وأقاموا بالشام من الجذاميين أنيف بن ملة من بنى ضبيب وسكن الرملة (٥٢).

وكان ممن أسر من جذام على يد (زين بن حارثة) فلما أسلموا أطلقهم النبى ﷺ، وقبيلة أخرى هى بنو لخم من قبائل كهلان القحطانية التى سكنت الشام قبل الإسلام بوقت طويل ، وانتشروا فى ربوعه فى حوران والجولان والخليل وجبالها وصفورية وحول بحيرة لوط ، وفيما بين تبوك إلى زعز ودانت لخم بالنصرانية كغيرها من القبائل الشامية ، وأغلب القبائل كانت إما مسيحية أو ظلت على وثنيتها ، وعدد منهم دخل فى خدمة الروم ، وبعض بطون تلك القبائل هى التى دخلت الإسلام فى البادية ، ولم تعتنقه إلا بعد فتح الشام .

وقد حكيت الأساطير حول هذه القبيلة ، فقيل إنها هى التى أخرجت يوسف بن يعقوب من الجب ، وأحد أفراد أو بطون هذه القبيلة هو الذى حصل على أول وقف فى الشام من النبى ﷺ وهو تميم الدارى الذى ظل وقفه يتوارث عبر أجيال ، وتميم ينسب إلى أحد بطون القبيلة وكان تميم مسيحيًا يعيش فى الشام بين قبيلته لخم فى جوار الخليل بالقرب من بيت حبرين وبيت عينون بفلسطين .

ومن القبائل قبيلة طيئ من القبائل السامية الأكثر قربًا من الإسلام فى العهد النبوى (٥٣)، بعد جذام ولخم ، وفى الوقت الذى كان فيه الإسلام ينتشر بين هذه القبائل الثلاث فى حياة النبى ﷺ وكانت غسان وتغلب وكلب من أشد القبائل الشامية ولاءً لمسيحيتها وللروم (٥٤). يتبعها فى ذلك بقية القبائل من بلى وبهراء وتنوخ وسائر بطون قضاعة القحطانية التى كانت تسكن الشام قبل الإسلام وعلى أية حال فإن القبائل العربية فى بلاد الشام فى مجموعها لم تدخل الإسلام فى زمرة واحدة إلا بعد أن تغلب المسلمين على الروم ، وإخضاع الشام لسيطرتهم فدخلوا فيما جاء به بنو عمومتهم ، وأسلموا وحسن إسلامهم ، وظهر فيهم العلماء والفقهاء والقادة .

وبنو طيئ قبيلة من كهلان من القحطانية وهم بنو جلهمة وهم بطون كثيرة ومعظم بنو طيئ الذين سكنوا الشام كانوا فى فلسطين دون غيرها . ومنهم بنى ثعل وكانت جماعة منهم فى عبسان بالقرب من غزة (٥٥).

ومنهم بنو جرم كانوا فى غزة والداروم مما يلى الساحل إلى جبل الخليل ، وبنو لام سكنوا فلسطين ونسبت إليهم البلدة التى أقامها هشام بن عبد الملك على البحر إلى جنوب حيفا .

وفى سنة ١٠هـ قدم على النبى ﷺ وفد طىء وبرئاسته (زيد الخيل) وعرض النبى ﷺ عليهم الإسلام فأسلموا وسماه النبى ﷺ زيد الخير وقطع له فيئًا وأرضًا معه ، وكتب له بذلك ولكنه توفى فى الطريق وهو راجع لقومه ، وأسلم عدى بن حاتم الطائى وتبعه كثير من الناس ، وكانوا خير عون فى معارك الفتح ، وعملوا لهم عيونًا وأدلاء فى الفتح .

وكان ينزل بوسط بلاد الشام وجنوبها قبل أن يفتحها المسلمون طائفة من القبائل العربية كلهم من القبائل القحطانية اليمنية التى نزحت إليها من بلاد العرب . ومن أهم هذه القبائل على الإطلاق (قضاعة) بفرعها كلب وبهراء وجهينة وبلى وسليح وتغلب وتنوخ وشهد ثم قبائل غسان من الأزد ، القحطانية من نسل مالك بن كهلان ، وجذام ولخم وطيئ وعامله وكنده ، ومن ثم فإن سكان وسط الشام وجنوبه حين الفتح كانوا من العرب اليمانية .

ومن القبائل القحطانية بنى جرم وتفرع عنهم كثير من البطون مثل بنو غانم والعبادلة والأحامدة وعقبة بن جزام وبنو قدامة وبنو عوف . ولقد سكن كثير من هذه القبائل مدينة القدس مثل بنو غانم الذين سكنوا المنطقة الى تعرف بوادى الطواحين من جهة الشرق ، ولهم بها حارة تسمى الغوانمه وهى مجاورة للمسجد الأقصى من جهة الغرب (٥٦).

ولقد دخلت عدد من القبائل بعد الفتح الإسلامى ، ولعبت دورًا هامًا فى أحداث الفتح ، وكان العنصر اليمانى هو الغالب على قبائل الشام فى هذا الوقت ، فإن القبائل اليمانية بالجزيرة العربية كانت أسرع لإجابة الخليفة أبى بكر فى الغزو وبعد الفتح الإسلامى بدأت هجرة من شبه الجزيرة العربية ومن مركز الدولة فى الحجاز لمواصلة الفتوحات والإقامة فى الأمصار الجديدة فانتقل مركز الثقل فى الدولة من القلب إلى الأطراف .

ولقد تحول مركز الثقل فى الدولة للشام لقيام الدولة الأموية ولقد بدأت حركة استيطان للقبائل العربية التى سكنت الشام .

كهلان القحطانية منها لخم ديارها متفرقة بيت الرملة ومصر ، وطيئ جاؤا بعد سيل العرم، ولما وصلوا إلى الشام نزلوا جنوبى فلسطين حتى ملئوا الجبل والسهل والوادى ، وعامله من القبائل العربية الكبيرة التى سكنت الشام من قبل الإسلام واشتركت مع الروم فى حرب

المسلمين قبل أن يسلموا ، وعامله كانت تسكن اليمن وخرجت منه مع من خرج من بنى قحطان وسكنت بلاد الشام فى منطقة جبل عامله التى عرفت باسمهم حتى الآن وهى مشرفة على طبرية إلى نحو البحر .

وكانت القبائل الوافدة إلى بلاد الشام سواء القيسية أو اليمنية تستمر على نسق واحد فى اتخاذ مواطن استيطانها فكانوا تارة يقصدون الحواضر والبوادى وأحيانًا ينزلون المنازل التى جلا عنها أهلها فى مختلف المدن ويخالطون من بقى من أهل البلاد الأصليين وتارة أخرى ينزلون فى منازل خاصة بهم بعيداً عن المدن والقرى فكان استيطانهم بين هذا أو ذاك (٥٧). وكانت أعداد القبائل العربية التى نزلت الشام إبان الفتح تزيد تزايداً سريعًا بالتوالد ودوام الهجرة ، ولقد قدر عدد مهاجرى العرب الذين نزلوا إلى الشام عند فتحها بما يزيد على مائة ألف وبلغ عدد المسجلين بديوان العطاء فى دمشق وحدها فى الصدد الأول خمسة وأربعين ألفًا، ولا تمثل هذه الأرقام القبائل الوافدة إلى الشام وحدها وإنما تمثل أيضًا من انضم إليهم من العرب الذين كانوا ينزلون هذه البلاد قبل الفتح (٥٨)، ثم انضموا إلى جيوش المسلمين ، وقد أمكن تحديد مواطن القبائل العربية بالشام بصورة مجملة فى عهد الراشدين والأمويين ، واستناداً إلى المصادر التاريخية .

ويقال أن العرب الذين كانوا فى الشام فى نهاية القرن الأول الهجرى بلغوا نحو ربع مليون شخص كان معظمهم من الجند والموظفين والبدو ، ولاسيما من القبائل العربية التى كانت تسكن تلك البقاع قبل الإسلام .

وكان العنصر الغالب على قبائل الشام فى العصر الأموى هو العنصر اليمنى إلى جانب زمرة من قيس وقريش وسائر الأمصار وكل جندى كان ينسب إلى المكان الذى مكث فيه لا إلى القبائل ، وفى البداية مضى عليهم زمن قبل أن يظهر التأثر بالبيئة الجديدة التى سكنوها مختلطين بالسكان الأصليين ، وقد ظهر هذا التأثير أوضح ما يكون تدريجيًا فى سلوكهم وحياتهم الاجتماعية ومظاهر معيشتهم ، فانتقلوا من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة .

هذا التواجد العربى على النطاق الواسع سواء قبائل أصلية أو وافدة ، بالإضافة إلى من دخل الإسلام من أهل البلاد الأصلية ، إلى تواجد مسيحى فهناك مسيحيون أرثوذكس وهم غالبية آنذاك من أهل البلاد ، وأقباط وافدون من مصر ، وقلة كاثوليكية بالإضافة إلى الأحباش الذين اعتنقوا المسيحية .

أما اليـهود فكانوا ممنوعين من دخول بيت المقدس ، ولقد قال (أبا إيبان) أنه مع بداية الفترة المسيحية كانت أعداد اليهود قليلة ومحدودة بالنسبة لأى فترة أخرى ، وأكد أنه خلال قرون كان اليـهود أقلية فى أي مكان بما فيها أرض إسـرائيل ، وأنهم منعوا من دخول بيت المقدس لمدة خمسمائة عام (٥٩)، وإن عدد اليهود لا يزيد عن خمسة آلاف فى أى بلد ، ومنذ عهد هادريان كانت أورشليم أرضًا ممنوعة على اليهود ، ويزورونها مرة واحدة فى السنة يوم ٩ أغسطس يسمح لهم بزيارة حطام المعبد والبكاء وللبقاء فترة أطول يجب رشوة الجند .

ثم أصبحت المدينة مدينة رومانية تحمل اسم الياكابتولينا ، واتخذت الطابع المسيحى . ومع ظهور الإسلام سمح لهم بزيارة المدينة وإن كان مارك كوهين يذكر أنه لم يسمح لهم بالتواجد طوال عهد الخلفاء الراشدين ، ولكن سمح لهم بذلك فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، والذى أعاد بناء قبة الصخرة ، وإن كانت هناك مصادر أشارت إلى أن عمر بن الخطاب سمح بإقامة ٧٠ عائلة يهودية رغم أن (سفرنيوس) بطريرك القدس طلب عدم السماح لليهود بدخول بيت المقدس (٦٠).

وعامة فإن الفترة الأولى فى تاريخ يهود الإسلام أو القرون الأولى يسودها الغموض بالنسبة لوضعهم نتيجة لقلة المصادر ، وهناك إشارة فى بعض المصادر العربية لتواجد يهودى بسيط فى عدد من الأماكن فى فلسطين ، فابن خردانبة يذكر « من بيت المقدس إلى البحيرة النتنة (البحر الميت) يخرج منه ملح يصلح للصباغة وأشار لإقامة اليهود من السامرة فى الرملة وفى نابلس» (٦١). ويذكر جدع جلادى أن الحاخام شمعون باريوحاى صاحب كتاب نستاروت السابق ذكره عاش فى العصر الأموى فى فلسطين ، والنص أورده جدع جلادى كما يلى (أن الله قد أقام دولة إسماعيل « أى الإسلام » لمساعدتكم ضد القوم الظالمين) ، يضيف المصدر أن باريوحاى يؤكد أن الإيمان بالله فى الديانتين الإسلامية واليهودية ، وأن من ضمن السبعين شعبًا الذين خلقوا بإذن الله تعالى وضع الله اسمه فى شعبين بنو إسرائيل وبنو إسماعيل ، وأن كلا الاسمين ينتهيان بآل ، ومعناها بالعبرية إله ، ومن الواضح أن القصة غير موضوعية ، وغير حقيقية وصفها الحاخام تقربًا للمسلمين الذين نعلم بتسامحهم هو وبنى جنسه من اليهود ويشير الحاخام (يهوداى) (عندما جاء بنو إسماعيل والمسلمين ، تركوا اليهو يدرسون التوراة) وهذه الروايات تؤكد أنه لم يكن هناك تواجد حقيقى لليهود فى الفترة السابقة للإسلام ، وحتى تواجدهم فى الفترة الإسلامية كان محدودًا – أما التواجد الإسلامى

فى القدس فكان سابقًا للإسلام وتاليًا له وانتشر الإسلام تدريجيًا مع الهجرة العربية الإسلامية بين القبائل العربية والتى استمرت عبر فترات زمنية متتالية ودائمة ، فالقدس وما تحمله من أهمية ومن موقع متميز ، أصبحت مركزًا ثقافيًا ودينيًا وخاصة خلال عهد الدولة الأموية الذى شهد بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وعناية الخلفاء الأمويين حتى قيل أن الخليفة سليمان بن عبد الملك ترك فى دمشق أخاه الأصغر وحضر إلى القدس وقيل أنه سعى إلى أن يجعلها عاصمة للخلافة ثم عدل من ذلك .

ولقد جاء إلى القدس عدد كبير من الصحابة والتابعين بالإضافة إلى جند الفتح الذين استوطنوها .

وأول الأوقاف الإسلامية يعود لفترة قبل فتح الشام هو وقف تميم الدارى الذى ظل وقفه يتوارث عبر الأجيال ، وتميم من قبيلة لخم وينسب إلى أحد بطون القبيلة وكان تميم قبل إسلامه مسيحيًا يعيش فى الشام بين قبيلته لخم بالقرب من بيت حبرين وبيت عينون بفلسطين، ولقد وفد الداريون من لخم على الرسول ﷺ مرتين ، مرة قبل الهجرة ومرة بعدها وفى المرة الأولى سألوا النبى ﷺ أن يقطعهم أرضًا كانوا يسكنون فيها الشام لخصبها وغناها إذا غزا الشام وفتح الله عليه ، لشعورهم بأن الإسلام سينتشر وسيفتح الله على يديه بلاد الشام فأرادوا أن يحتاطوا خوفًا من أن تؤخذ منهم بعد أن عاشوا فيها فترة طويلة ، فكتب له الرسول ﷺ كتابًا نصه « - هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله للداريين إذ أعطاهم الأرض ووهب لهم بيت عينون وحبرين والمرطوم وبيت إبراهيم ومن فيهم إلى الأبد ، شهد وكتب شراحبيل بن حسنة ، وشهد العباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس » ولقد عاد الوفد فى ٩٠هـ / ٧٠٨م وهو عام الوفود ، وفد الداريين بن حبيب بن نمارة بن لخم (٦٢). وعلى رأسهم تميم بن أوس ومعه أخوه نعيم بن أوس وبربر بن هانى ومجموعة من الداريين، وأهدى تميم للنبى ﷺ فرسًا أعطاه الرسول لعمر . وسأله أن يجدد كتابه السابق فكتب ما يلى (هذا كتاب محمد رسول الله لتميم بن أوس الدارى أن له قرية حبرون وبيت عينون) قريتهما كليهما وسهلهما وجبلهما وماءهما وحرثهما وأنباطهما وبقرهما ولعقبه من بعده ، لا يحاقه فيها أحد . ولا يلجمها عليهم أحد ولا يظلم ومن أخذ منهم شيئًا فإنه عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، كتبه على بن أبى طالب (٦٣). وكان أبو رقية تميم الدارى اللخمى قد أقام بالمدينة بعد المرة الثانية إلى جوار النبى ﷺ وغزا معه ، وروى عنه وظل مقيمًا بها بعد وفاته حتى

مقتل عثمان بن عفان فرحل إلى الشام ، ونزل فلسطين حيث قومه وعشيرته من لخم ، وظل بها حتى مات سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠م ودفن فى بيت جبرين وقبره بها معروف ويزار ، وكان تميم الدارى مشهوراً بالورع والعبادة وزار بيت المقدس بعد فتحها .

ولما ولى أبو بكر الصديق الخلافة وخرجت الجيوش لفتح الشام فحفظ عهد رسول الله ﷺ للداريين من لخم بالشام وكتب لهم ما نصه « هذا كتاب من أبى بكر أمين رسول الله ﷺ الذى استخلف فى الأرض بعده كتابه للداريين أن لا يفسد عليهم سيدهم وليدهم من قرية حبرون وعينون فمن كان يسمع ويطيع الله فلا يفسد منهما شيئًا وليقيم عمودى الناس عليهما وليمنعها من المفسدين ثم كتب إلى أبى عبيدة بن الجراح أمير العسكر بالشام يوصيه على احترام كتاب النبى ﷺ للداريين وتنفيذ ما جاء به « سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد فى قرى الداريين ، وإن أهلها قد جلوا عنها وأراد الداريون أن يزرعوها فليزرعوها ، وإذا رجع إليها أهلها فهى لهم وأحق لهم والسلام عليكم » (٦٤).

ويشير صلاح الصفدى سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م أن الفقيه القاضى أبو بكر العربى المعافرى فى كتاب القبس يروى أنه كان عند أولاد تميم الدارى بحبرون فرأى كتاب النبى فى قطعة من أديم وقد رأى هذا الكتاب ابن فضل الله العمرى الذى زار مدينة الخليل سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م أى بعد الصفدى فيقول بعثت وراء الصاحب ناصر الدين أبى عبد الله محمد بن الحنبلى التميم الدارى ، وهو بقية هذا البيت الجليل والمنهى إليه النظر على وقف الدارى الذى وهبه محمد ﷺ فى بلد إبراهيم الخليل والتمسنا منه إحضار الكتاب الشريف النبوى المكتب لهم بهذه النبطة والمشرف لهم به على سائر البرية ، فأجاب الملتمس وجاء به فى خرقة سوداء من ملحم قطن وحرير .

ولقد جاء إلى بيت المقدس عدد كبير من الصحابة والتابعين بالإضافة إلى جند الفتح الذى استوطنوها . ومن أول من دخل من أعيان الصحابة عمر بن الخطاب الذى زارها أربع مرات مرتين سنة ست عشرة ومرتين فى سنة سبعة عشرة ، وقبيلة بنى عمر : يقال لها العمريون ، وهم بطن من عدى بن كعب بن قريش من العدنانية ، وهم بنو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقد تفرع عنها فرقة بواد بن زيد وهو من أعمال الرملة ، وكذلك وجدت بينهم فرقة بمدينة بيت المقدس نفسها والتى لها حى فى الجزء الشمالى من المدينة بالقرب من باب الأسباط (٦٥).

وظل اسمهم يتردد إلى القرن الخامس عشر الميلادى ، ويشار إلى وجودهم أيضًا فى عدة قرى تابعة لبيت المقدس فى القرن السادس عشر ، وكذلك هناك مسجد الحيات وهو الذى كان به طلسم الحياة وهو بقرب كنيسة قمامة وهو مسجد عظيم من المساجد العمرية منسوب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

وقيل أن أبو عبيدة بن الجراح كان يريد الصلاة بها ، ولكنه توفى على بعد أربعة أميال من بيت المقدس وله مقام قبره الطاهر فى قرية يقال لها عمتا تحت جبل عجلون بزاوية دير علا من الغور الغربى .

وعبادة بن الصامت سكن بيت المقدس ووجهه عمر إلى الشام قاصدًا ومعلمًا فأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين (٦٦)، ولقد اختلف على مكان قبره فابن عبد البر يرى أن قبره ببيت المقدس ، ورأى آخر يرى أنه دفن بالرملة وذكر على لسان ابنه عبادة بن الوليد بن عبادة بن أبيه مات بالرملة وكانت وفاته فى سنة ٣٤ هـ / ٦٥٤م.

وذكر البعض أن قبره لا يعرف ببيت المقدس ولا الرملة ، واندثر لاستيلاء الفرنج وهذا ما سنناقشه بخصوص قبور الصحابة والأولياء التى أوقفت عليها الأوقاف فى الفترة الأولى ، واندثر بعضها بسبب الغزو الغربى ، وإن كان بعضها استعاد أملاكه وأوقافه بعد خروجهم .

وشداد بن الأوس مات سنة ٤٨ هـ أو ٥٨ هـ وهو ابن خمسة وسبعين (٦٧)، وقبره ظاهر فى بيت المقدس بالقرب من باب الرحمة عند سور المسجد الأقصى .

وكذلك أبو ريحانة واسمه شمعون القرطبى من بنى قريظة وإن كان البعض يرجعه إلى بنى النضير، ويقال إنه مولى للرسول ﷺ ومات قبل وفاة الرسول ﷺ وسكن بيت المقدس .

وتميم بن أوس وأخوه نعمي وغزا مع الرسول ثم اتجه إلى الشام بعد مقتل عثمان بن عفان، وكان أميرًا على بيت المقدس مات سنة أربعين ويقال أن قبره بقرية من قرى الشام يقال لها اللهوه .

وذكر الحافظ أبو بكر الواسطى أنه كان فى بيت المقدس العديد من الحفاظ والصحابة والتابعين ومات بها عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وأبو أبى بن أم خزام وأبو ريحانة وسلامة ابن قيصر وفيروز الديلمى ، وأبو محمد التمارى الأنصارى ، وكان واليًا لمعاوية على بيت المقدس ، وقيل أن قبورهم بها وكان لبعضهم نسل وأولاد منهم عبادة وشداد وسلام

وفيروز ، ومنهم من لم يعقب نسلاً كأبو ريحانة وذوا الأصابع وأبو محمد ، ولقد سكن بها بعض أهل الصفة ، « وهم من المهاجرين الذين كانوا يجلسون فى مؤخرة مسجد الرسول ﷺ بالمدينة » ، فى بيت المقدس فوائل بن الأسقع سكن البصرة ثم دمشق ثم تحول إلى بيت المقدس ، كذلك صفية بنت حيى أم المؤمنين رضى الله عنها ذهبت لبيت المقدس وصلت فيه وصعدت فى طور زيتا . وكعب الأحبار بن مانع الحميرى كان يهودياً وأسلم فى خلافة أبى بكر، وخالد بن معوان الكلاعنى فقيه كبير روى عن معاوية وابن عمر وعبد الله بن عمرو ، وترجم له الأئمة فى كتبهم ، ويقال إنه هو الذى فقه عامة التابعين بالشام ، واجتمع بأبى هريرة وأبى الدرداء وتوفى عن سبع وسبعين .

وقبيصة بنت نويب وعبد الله بن مجريز قرشى مكى نزل بيت المقدس (٦٨)، وهانى بن كلثوم، وكان من العباد الزهاد وعرضت عليه إمرة فلسطين فامتنع وكان يقصدون الصلاة من الرملة إلى بيت المقدس .

ومن النساء أم الدرداء وكانت معها نساء يتعبدن وكانت تجالس المساكين ببيت المقدس وأعانها عبد الملك بن مروان على دخول مسجد الصخرة ، فى مكان النساء ، وهناك أبو عبد الله العوام مؤذن بيت المقدس ، ولقد زارها عدد من كبار الفقهاء كسفيان الثورى وسكنها أبو محمد عبد الله الأنصارى ، وكانت عملية الاستيطان تلك مستمرة وكان يتبعها إقامة المنشآت الدينية التى مارسوا فيها أنشطتهم الدينية والتثقيفية ومن المؤكد أنهم أوقفوا عليها لتستمر فى أداء مهمتها .

وهناك أسماء لأوقاف واضح أن جذورها تعود للفترة الإسلامية الأولى ، وعرفت فى فترة متأخرة ، فوثيقة ذكرت دار شهاب الدين بن بدر الهائم ثم عرفت بدار أبو الوفا لسكنهم لها ، وكانت تعرف قديماً كما ذكر (مجير الدين) بدار معاوية . كذلك هناك وقف على مسجد معروف بمسجد الحيات ويذكر (مجير الدين) أيضاً أنه كان به طلسم الحيات وهو بقرب كنيسة قمامة ، وهو مسجد عظيم من المساجد العربية منسوب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

ووثيقة من العصر العثمانى تشير لتولية السيد الحاج بدر الدين أفندى عبد المعطى زاده على نظارة وقف جده لأمه سيدى عبادة بن الصامت الصحابى وتعود لعام ١٢٣هـ / ٧٤٠م وأن الوقف يشمل قرية نباله (بير نبالا شمال القدس) وبرج عرب « غالبًا عرب قرية لفيتا » وأرض صرعى مما يؤكد أن الوقف استمر عبر قرون عدة .

ولقد استمرت الهجرة للفترة التالية . فلقد ورد ذكر الجعافرة وهم بطن من بنى الحسين السبط من بنى هاشم من العدنانية . والجعافرة ينتسبون إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر وسكنت فئة منهم بيت المقدس .

عملية الاختلاط خلفت فى القدس مجتمعًا إسلاميًا نشطًا ، ورغم تبدل الحكام من أمويين إلى عباسيين ثم فاطميين ثم الصراع بين الفاطميين والسلاجقة عليها إلى قدوم الصليبيين فإن المدينة أصبح لها كيان إسلامى يضم أكثرية مسلمة تمارس جميع أوجه النشاط الإنسانى والاجتماعى والثقافى والاقتصادى ، وتوقف الأوقاف على مساجدها ومنشآتها ، مع تواجد مسيحى وندرة يهودية ، وهذا بشهادة جوايتين حيث ذكر أن التواجد اليهودى فى القرون الإسلامية الثلاث الأولى كان غامضًا لا يمكن تحديده وإن ظهورهم بدأ مع الفاطميين .

واهتم الفاطميون بالقدس اهتمامًا كبيرًا ويكفى أن نرى ما كتبه الرحالة الفارسى الشيعى (ناصر خسرو) حيث ذكر أن الفاطميين أقاموا كثيرًا من العمائر والمبانى فى القدس كما وسعوا المسجد الأقصى ، وأوقفوا عليها الأوقاف لتستمر فى أداء مهمتها (٦٩).

ولقد بهر بمساجد الشام فتحدث عن صيدا وكيف أنها شيعية وقاضيها سنى يسمى ابن عقيل وأنه قام ببناء مشهد على باب المدينة ، وأن قبر النبى صالح فى عكا ، ويصف مسجدها الجامع وأن هناك جبلاً به مشاهد الأنبياء على جانب الطريق المؤدى للرملة ويذهب إليه الكثيرون للتبرك . وإن قرية بروة بها قبر عيس وشمعون (عليهما السلام) وإن فى قرية تسمى حظيرة مسجد له قبران متجاوران أحدهما لشعيب والآخر لابنته التى كانت زوجة النبى موسى(٧٠). وإن فى دامون قبر ذى الكفل وبقرية أعلين قبر هود وقبر النبى عزير ، وفى قرية أربل مسجدًا فى ناحية القبلة منها فى وسطه حظيرة بها أربع قبور لأربعة من أبناء يعقوب وأخوة النبى يوسف ، وأنه ذهب إلى تل فوجد فيه غار فيه قبر أم موسى عليه السلام .

وتحدث عن مساجد طبرية وحمامتها وعن مسجد الياسمين الذى فى الجانب الشرقى منه قبر يوشع بن نون وأن تحت الساحة قبور سبعين نبيًا قتلهم بنو إسرائيل ، وأن قبر الصحابى أبى هريرة يقع خارج المدينة من الناحية القبلية ، وأن أهل المنطقة من الشيعة يمنعون الآخرين من الزيارة ، وأن كفر كنه به تل عليه صومعة بها قبر النبى يونس ، ويتحدث عن مدينة حيفا وأن بها مسجدًا كبيرًا وعندما يتحدث عن بيت المقدس يقول إن أهل الشام يسمونها القدس ، وأنه يذهب إليها من لا يستطيع الذهاب إلى مكة من أهل هذه الولايات فيتوجه إلى (الموقف)

ويضحى ضحية العيد كما هى العادة . ويحضر هناك لتأدية السنة ، وقد حضر فى بعض السنين أكثر من عشرين ألف شخص فى أوائل ذى الحجة ومعهم أبناؤهم ، ويذكر أن المدينة بها خيرات كثيرة ورخيصة ، ومنها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف من زيت الزيتون يحفظونها فى الآبار والأحواض ويصدرونها إلى أطراف العالم ، ويقال إنه لا يحدث قحط فى بلاد الشام .

فهذه المساجد المتنوعة التى انتشرت فى قرى عديدة ورغم صغرها فكانت حسنة البيان يؤمها الزائرين وتنفق عليها من تلك العائلات المقدسية المسلمة التى امتلكت ضياع وأوقفتها عليها تبركًا وفيها تواجد إسلامى مكثف .

ولا ينسى الإشارة إلى أهمية القدس للمسلمين ، فيذكر أنه يأتى لبيت المقدس من ديار الروم ، كثير من النصارى واليهود وذلك لزيارة الكنيسة والكنيس (المقصود المعبد اليهودى) ويذكر أن عدد سكان القدس من الرجال عشرون ألف رجل ولو وضعنا عدداً مماثلاً للإناث والأطفال فى حدود طفلين للأسرة يفترض أن سكانها يقاربون الثامنين ألف (٧١).

ويتحدث عن الجامع الواقع شرقى المدينة وأن سوره هو سورها الشرقى ، وبعد الجامع سهل كبير مستوى يسمى الساهرة ، ويذكر ناصر خسرو أنه قيل أنه سيكون ساحة القيامة يوم الحشر ، وبناء على انتشار هذه الأسطورة فإنه يحضر إليه خلق كثيرون من أطراف العالم ويقيمون به حتى يموتوا ، معنى هذا أن هناك هجرة وافدة أخرى على المدينة .

ويؤكد أن مقابر الصالحين مازالت قائمة فى عهده وهى غالبًا مقابر الصحابة والواعظين والحفاظ فى الفترة السابقة ، فيذكر أن على حافة هذا السهل قرافة عظيمة ، بها مقابر كثير من الصالحين يصلى بها الناس ويرفعون بالدعاء أيديهم .

ويتحدث عن وادى جهنم وإن الذى سماه كذلك عمر بن الخطاب ، وعن عين السلوان وعن إيقاف الأوقاف عليها مما يدل أن الأوقاف انتشرت خلال هذا العصر انتشارًا كبيرًا فيذكر (يمر ماء هذا العين بقرية شيدرا فيها عمارات كثيرة وغرس البساتين ويقال إن من يستحم من ماء هذا العين يشفى مما ألم به من الأوصاب والأمراض المزمنة) وكذلك أشار إلى إيقاف الأوقاف على مستشفى بيت المقدس ، (وفى بيت المقدس مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصرف لمرضاه العديد من العلاج والدواء وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف » (٧٢). وأن المستشفى ومسجد الجمعة يقعان على حافة وادى جهنم .

ويتحدث عن قياسات مسجد الصخرة وإن فى الجانب الشمالى يقع فيه قبة يعقوب وأن طول هذا المسجد أربع وخمسون وسبعمائة ذراع وعرضه خمس وخمسون وأربعمائة ذراع ، ويتحدث عن فخامة وثراء وجمال المسجد .

ويستطرد فى وصف أبواب المسجد ، ويتحدث عن وجود صوفية مما يؤكد أن الطرق الصوفية كانت موجودة فيه من فترة سابقة لصلاح الدين ، فيذكر فى عرض المسجد رواق فى حائطه باب خارجه صومعتان للصوفية ، وهناك مصليات ومحاريب جميلة يقيم بها جماعة منهم، ويصلون ولايذهبون للجامع إلا يوم الجمعة لأنهم لا يسمعون التكبير حيث يقيمون ، وإن فى الركن الشمالى للمسجد محراب زكريا (٧٣).

ويتحدث عن مسجد جميل يقصده الناس يسمى مسجد التوبة ، ويقصده أناس كثير يصلون هناك وأن الجدار الشرقى للمسجد أمام الحائط الشمالى سرداب يطلق عليه مهد عيسى ، وهو فى المسجد مكان المحراب ، وفى الجانب الآخر ممرات مريم ، ومحراب زكريا وعلى هذين الممرات آيات القرآن التى نزلت فى زكريا ومريم ويعرف المسجد بمهد عيسى .

ويتحدث عن المسجد الأقصى وهو الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم فى سورة الإسراء ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ . وأن به محراب يطلق عليه محراب معاوية وعلى يساره محراب عمر بن الخطاب ، ويعطى تفصيلاً للدكة بوسط ساحة المسجد لقبة الصخرة ، وأن مقدار الدكة ثلاثون وثلاثمائة ذراع فى ثلاثمائة وارتفاعها اثنا عشر ذراعًا وسطحها مستوى وأنها مكسية بالرخام الملبس بوصلات الرصاص وعلى جوانبها ألواح رخام وعلى هذه الدكة قبة الصخرة وأنها حجر أزرق ويقيم فى بيت الصخرة جماعة من المجاورين والعابدين ، فهو تأكيد للتواجد الصوفى (٧٤).

وحين يصف المراقى المؤدية إلى الدكة بساحة الجامع يذكر أن هناك مقامان الأولى مقام النبى(٧٥) والذى على اليسار يسمى مقام الغورى ٤٥٢ – ٤٥٥ هـ / ١٠٦٠ – ١٠٦٣م وعلى هذا المقام مراتب بخط من الذهب على ظهر الطاقة أمر به الأمير ليث الدولة نوشتكين الغورى ، وهذا سبب التسمية ويقال إنه كان تابعًا لسلطان مصر ، وهو « الأمير أبو منصور أيوشتكين أمير الجويش وحاكم سوريا من قبل الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله واصله من ختان » ، وأشار إلى محراب لداود وكرسى لسليمان ، وإلى حضور المسيحيين لزيارة بيت لحم .

كذلك يذكر الأوقاف الموقوفة على مشهد الخليل حيث قبر الخليل إبراهيم ، ويذكر أن اسم القرية مطلون موقوفة مع قرى كثيرة ، وكان من المعروف أن قبر الخليل إبراهيم يقصده أفراد كثيرون حيث تقام ضيافة للزوار من الأوقاف.

فالأوقاف على الخليل كما هو مبين تعود لفترة سابقة للأيوبيين والمماليك ويذكر معجم البلدان أن الاسم الأصلى للخليل حبرون أو حبرى .

وحين يصف قبر إسحق بن إبراهيم وزوجته يقول « إن أرض المشهد وجدرانه مزينة بالسجاجيد والحصر المغربية التى تفوق الديباج حسنًا ، وإن هناك حصيرة أرسلها أمير الجيوش وزير الفاطميين بثلاثين دينارًا من الذهب المغربى» إبراهيم وزوجته سارة ويعقوب وزوجته وبعدها منازل اتخذها إبراهيم لضيافة زائريه على سطح المقصورة ، وإنه قد أوقف عليها أوقافًا كثيرة من القرى والمستغلات ببيت المقدس ، وإن الضيوف والمسافرين والزائرين يأكلون الخبز والزيتون وهناك طواحين كثيرة تديرها البغال والثيران لطحن الدقيق ، وبالمضيفة خادمات يخبزن طوال اليوم ويزن رغيفهم منا واحدًا ، ويعطى من يصل إلى هناك رغيفًا مستديرًا وطبقًا من العدس المطبوخ بالزيت وزبيبًا كل يوم، ويعتقد أن هذه عادة بقيت من أيام خليل الرحمن عليه السلام حتى الساعة . وفى بعض الأيام يبلغ عدد المسافرين خمسمائة يقدم الضيافة لهم جميعًا (٧٦)، ومن الواضح أن الفاطميين أوقفوا كثيرًا من الأوقاف على هذا المشهد ، ولقد استمرت تلك الأوقاف فذكرها مجير الدين فى كتابه (تاريخ بيت المقدس) ووردت فى وثائق القدس . ومن المؤكد أن الدولة الفاطمية اهتمت بالقدس ومشاهدها من البداية ، فذكر أن المشهد الذى على قبر إبراهيم أمر الخليفة المهدى بفتح باب فيه وكان من قبل الناس يزورونه فى الأيوان الخارج وزينه وفرشه بالسجاجيد وأدخل على عمارته إصلاحًا كثيرًا .

ومن واقع وصف (ناصر خسرو) فإن هناك الكثير من الأوقاف أوقف على أماكن عديدة فى القدس ، وهى تشمل المساجد وخانقاوات صوفية ومنشآت كعين سلوان والبيمارستانات ، بالإضافة إلى أوقاف الخليل والذى ذكر أنها تشمل قرى عديدة وأماكن ووقفيات متنوعة ، وهذا يوضح مدى حجم الأوقاف التى فقدت أصولها نتيجة للحروب الصليبية واستيلاء الصليبيين على الأرض ولقد أعيد إحياء بعض الوقفيات فى الفترة التالية .

أما عن فترة حكم الصليبيين للقدس وضواحيها فمن المؤكد أنه تم الاستيلاء على الأماكن المقدسة بها من قبل الصليبيين ، بل أن قبة الصخرة تحولت لمزار مسيحى ، ولكن مع عودة الحكم الإسلام عادت الأوقاف الإسلامية للظهور ، بعضها قديم يعود للفترة السابقة للحكم الإسلامى بل لفترة الفتوح الإسلامية الأولى ونستطيع الاستدلال على ذلك من أوقاف المغاربة التى عادت مع صلاح الدين ، ومن المؤكد أن التواجد المغربى كان على نطاق واسع ، ومع الفتح الصلاحى كان رجوعهم إلى القدس وأكنافها ، فيشير الرحالة ابن جبير الذى قام برحلة إلى الشام فى الفترة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢م - ٥٨١ هـ / ١١٨٥م إلى مسجد فى بيت لهيا للخليل إبراهيم أوقفت عليه الأوقاف على المغاربة وتولوا أمره « بالربوة المباركة أوقاف كثيرة من بساتين وأرض بيضاء ورباع . وهى معينة التقسيم لوظائفها فمنها ما هو معين باسم التغطية فى الأدم للبائتين فيها مع الزوار ، ومنها ما هو معين للأكسية وبرسم النفطية بالليل ، ومنها ما هو معين للطعام إلى تقاسيم تستوفى جميع مؤنها »(٧٧) وفى فقرة أخرى يذكر أن المسجد مرتبط بأهل المغرب فى أسباب البر . وفى إيواء أهل المغرب من الغرباء المنقطعين بهذه الجهات، تسبب لهم وجوه المعايش من أمامه فى المسجد وسكن بمدرسة تجرى فيها عليه النفقة أو التزام زاوية من زوايا المسجد الجامع يجيئ إليه فيها رزقه أو حضور فى قراءة سبع» (٧٨)، كذلك يشير إلى أنه لا يأتمن فيها كلها سوى المغاربة الغرباء لأنهم قد علا لهم بهذا البلد صيت فى الأمانة وطار لهم ذكر وأهلها لا يأتمنون البلديين فهو يشير لتواجد مغربى على نطاق ملحوظ فى عهد صلاح الدين وقبل استعادة بيت المقدس مباشرة ، ويذكر أن نور الدين أقام لهم زاوية المالكية بمسجد دمشق ، وأن نور الدين والعديد من التجار كان يتدخل لفداء أسرى المغاربة الذين وقعوا فى أيدى الصليبيين وهذا يوضح وجود حى للمغاربة بعد فتح بيت المقدس(٧٩)، وزادت أعداد المغاربة بالقدس بعد الحرب التى شنها المسيحيون وعرفت بحرب الاسترداد بالإضافة إلى اضطراب الأحوال فى المغرب . ولقد تكرر فى ذكر المساجد والمدارس والبيمارستانات فى الكتابة، ولقد زارها بعد استعادة المسلمين لنابلس وقبل استعادة بيت المقدس ولقد صحب صلاح الدين عشرة آلاف من الفقهاء والصوفية بالإضافة إلى من صاحبه من جيش ضم أعداد كبيرة من الأكراد وجنسيات مختلفة ، وما قام به من إيقاف الأوقاف على الأماكن الدينية وإنشاء المدارس إلى المدرسة والخانقاه الصلاحية والبيماستان ، ولقد أوقف على قادته وأولاده وأقاربه ، وبعضهم اتخذ القدس مستقراً فتعددت الجنسيات كما فى وثائق الوقف بين هنود وتركمان وأكراد وفرس وعرب ومغاربة ، وعاد مَنْ ترك القدس مِنْ

أهلها في الفترة السابقة. ويتحدث رحالة آخر هو ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي والذى قام بثلاث رحلات استغرقت زهاء تسع وعشرين سنة خلال القرن الرابع عشر الميلادى الثامن الهجرى ، ولقد تضمن وصفه للقدس وأكنافها ذكر الأوقاف التي أوقفت على منشآتها الدينية والتنوع السكاني ، ومن بها من فضلاء وعلماء من الذين لهم باع وشهرة . كالقاضي شمس الدين محمد بن سالم المغربي وهو من أهل غزة وكبرائها ، ومنهم الخطيب الصالح الفاضل عماد الدين النابلسي ، ومنهم مدرس المالكية وشيخ الخانقاه الكريمية أبو عبد الله محمد بن مثبت الغرناطى نزيل القدس ، منهم الشيخ الصالح أبو عبد الرحيم عبد الرحمن من أهل أرزن الروم وهو من تلاميذ تاج الدين الرفاعي ، ويذكر أنه صحبه ولبس معه خرقة التصوف(٨٠)، فهنا تنوع أجناس ومذاهب دينية أدى لثراء الحياة العلمية ، ولقد استمر الأمر في العصر العثماني وإن كان العنصر التركى قد زادت أعداده مع المماليك والعثمانيين .

الفصل الثانى

الوقف والحياة الاجتماعية

المجتمع من واقع وثائق الوقف :

الجنسيات المختلفة التى سكنت القدس : نستطيع أن نتتبع تنوع الأجناس عبر الفترات الزمنية المختلفة من واقع وثائق الوقف حيث وفدت على القدس أجناس عديدة استوطنته واستقرت وكونت أسر ارتبطت بنسيجه البشرى لقرون ، فالفترة الأولى من الفتح ضمت عرباً من الجزيرة وعرباً استوطنوها قبل الفتح ، والعصر الفاطمى والأيوبى شاهد مغاربة وهنود وتركمان وأكراد وازدادت أعداد بعض الأجناس وفقًا للحكام فالأكراد والتركمان زادت أعدادهم فى العصر الأيوبى وزادت أعداد الأتراك فى العصرين المملوكى والعثمانى .

المغــاربة : زادت أعدادهم مع الفاطميين ومن كتابات ناصر خسرو وابن جبير كان لهم تواجد كبير على أرض فلسطين ولقد أوقف عليهم السلطان صلاح الدين زاوية عرفت بزاوية المغاربة وأوقفت عليهم قرية كارم فى محلة باب السلسلة . كذلك أوقف عليهم الملك الأفضل حبس حارة المغاربة إلى ما يلى ساحة الجدار على زاوية الإمام الصوفى أبو مدين الغوث لإيواء زوار المغرب وإعالة المنقطعين وكان لهم شيخ يسمى شيخ المغاربة فى بيت المقدس وهم ينسبون لمذهب المالكية ولقد أوقف حفيد أبو الغوث على المغاربة زاوية فى باب السلسلة عرفت باسمه وهو شعيب بن محمد بن حسين وقام الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبى المصمودى المجرد وكان رجلاً صالحًا عمّر زاوية للمغاربة وهى بأعلا حارتهم وخصص وقفها على الفقراء والمساكين بتاريخ ثالث ربيع ٧٥٣هـ / ١٢٥٣م وتوفى بالقدس الشريف ، ودفن عند حوض البسطامية ولقد جرى فى الوقفيات ذكر أسماء المغربى والتونسى (٨١).

ولقد وردت أسماء لعراقيين استوطنوا القدس وأوقفوا بها كالشيخ مجد الدين عبد الملك أبى بكر الموصلى أوقف على ذريته ومدرسته وضعفاء البيمارستان والباقى لصالح الزاوية السلامية والوقف يشمل أراض فى القدس والرملة .

فى بعض الوثائق التى تتعلق بإقرار دين ووثائق وقفية ورد اسم المعلم على بن محمد بن عبد الله البغدادى الخياط وهو مقيم بالقدس الشريف(٨٢). وتعود الوقفية لعام ٧٨٠هـ/١٣٧٨م.

كذلك كان هناك حجازيون فورد اسم ناصر الدين محمد بن داود الشهير بالحجازى العلماوى فى وقفية فى وثائق عجلون خاصة بعمارة طاحون فى أرض مزرعة (٨٣)، أيضاً هناك محمد على الغورى المشهور بالحجازى الكردى ، ومعه شخص يسمى الحاج أبو الخير عبد القادر العربى .

وهناك تواجد لطوائف من الهنود بعضهم وصل إلى إمامة المسجد الأقصى ولقد وجد الهنود من فترة الفاطميين وذكرت أوقافهم فى فترات حكم الأيوبيين والمماليك والعثمانيين ، فوجدت زاوية للهنود بظاهر باب الأسباط ، ويذكر مجير الدين أنها تعود غالبًا لعصر سابق وكانت للفقراء الرفائية ثم نزل بها طائفة من الهنود وعرفت بهم (٨٤)، وكانت تقع إلى جوار باب السامرة ، وهناك وقف يعود لنهاية عصر المماليك باسم الشيخ سعد الله الهندى إمام المسجد الأقصى ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م أوقف أوقافًا فى باب الحطة على زاويته تعود لأيام السلطان الأشرف قايتباى (٨٥).

وورد اسم الشيخ الصالح عبد الله الهندى من الأولياء المشهورين والذى توفى بالقدس الشريف ليلة الجمعة سابع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعمائة (٨٦).

وتكررت الإشارة إلى التواجد الهندى فى العصر العثمانى ففى وثيقة تعود لعام ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م حدث خلاف على مشيخة الزاوية الهندية بين عبد العزيز الهندى وبهاء الدين الهندى من الهنود الملطانية نسبة رلى مدينة ملطان (بباكستان الحالية) وكان يشترط أن يكون شيخ الطائفة والمتكلم عنها من أهل الدين والديانة بموجب شروط الواقف وحسم الأمر لصالح بهاء الدين ، فهناك تواجد هندى على نطاق واضح بحيث أصبح منهم أولياء .

وهناك إجازة للشيخ عبد الرحمن رياض الهندى بن نصار الدحلوى سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١١م شيخ زاوية الهنود بالقدس بقبوله فى عضوية الطريقة القادرية والذى أجازه(٨٧) الشيخ عبد الجليل جلندر الأفغانى أي أن هناك تواجد هندى أفغانى فى القدس .

الأكــراد : كانت هناك أعداد كبيرة من الأكراد ولقد ازدادت أعدادهم مع دخول صلاح الدين للقدس وكان جيشه يحوى كثيراً من القادة والجند والأكراد وهؤلاء حصلوا على أوقاف واستوطنوا القدس وتوارثوا الأرض والأوقاف عبر العصور ومن أشهر الأسر الكردية أسرة الهكارية وهم من قادة صلاح الدين ولقد أوقف السلطان الناصر صلاح الدين على الشيخ أحمد بن أحمد الهكارى وعلى عقبه وذريته القاطنين بخدمة القدس الشريف فإذا انقرضوا على فقراء المسلمين . وذكر النص أوقافًا عديدة ولقد تعددت أسماء واقفى الأوقاف من هذه الأسرة فهناك وقف باسم سيف الدين عيسى الحسن بن أبى القاسم الهكارى وتاريخ لوقفية يعود لأعوام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م و ٦٦١ هـ / ١٢٦٢م .

ووقف باسم سيف الدين عثمان الحسين بن أبى القاسم الهكارى من نفس الأسرة ويعود لعام ٧٥١هـ / ١٣٥٠م أى خلال العصر المملوكى ووقف آخر باسم محمد بن القاسم محمد الهكارى ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م فى قرية لفتا تابع القدس أى بعد أكثر من مائة عام من الوقف السابق ، وفى العصر العثمانى تمت الإشارة لقرية لفتا وأنها موقوفة على الصخرة الشريفة وإن قسم منها جار فى أوقاف أبى القاسم الهكارى وإن عشر القرية يذهب إلي حسين أغا الزعيم بلواء القدس الشريف (٨٨).

ولقد وردت فى الوثائق سلسلة من الوقفيات تنسب إلى أكراد عبر فترات زمنية متتالية وعدد كبير منها يعود لزمن كل من المماليك والعثمانيين وينتمون لفئات مختلفة ومستويات اجتماعية مختلفة مما يؤكد انتشار العنصر الكردى بعد تحولهم إلي مستوطنين فهناك فئات واضح من حجم الوقفية وعمل أصحابها أنها لفئات عليا وبعضها لفئات وسطى فبعض الموقوف كان طاحون أو حصة فى طاحون وبعضهم شغل وظائف فى مدارس لها أوقاف كوقف المدرسة الجاولية التى أنشأها الأمير سنجر الجاولى فى ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م وكان من أهل العلم وأفتى فيها الشيخ درياسى الكردى الهكارى وكان صالحًا معتقداً (٨٩). والمدرسة الجوهرية بباب الحديد كان وقفها على رباط الكرد وأوقفها الصفدى الجوهرى زمام الادر الشريفة ٨٤٤هـ / ١٤٣٦م وهناك حارة عرفت باسم حارة الأكراد وفى إشارة لوقف مجموعة من الأفراد أغلبهم من الأكراد ذكر اسم الحاج عبد القادر المعروف بالكردى ومقدم على القبلى الكردى وعلى الغورى المشهور بالحجازى الكردى والحاج أبو الخير بن القادر العربى وكان الوقف يشمل غراس زيتون فى أرض المزرعة فى وادى الربيصة بالقرب من العيلونية (٩٠).

ولقد أشار مجير الدين الحنبلي إلى وجود حي خاص بهم في القدس والخليل وإن المماليك استخدموهم ولقد وجد العديد من الوثائق التي تعود لفترة الحكم العثماني تخص أكراد فهناك وثيقة خاصة بعمر الكوكباني الكردي صاحب طاحونة ومزرعة على نهر ربيصة تعرف بابن سبع وتعود لعام ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م ووقف باسم حسن علي بن عبدون الكردي يعود لعام ٩٥٠هـ / ١٥٤٣م عن طاحون على نهر الربيصة[٩١] وسليمان بن علي الكدان أوقف هو الآخر طاحونًا على نهر الربيصة التابع لطبرية ١٥٤٣هـ وشخص أشير إليه بأنه من الأكراد الأشافرة ٩٥١هـ / ١٥٤٤م ويدعى سالم بن سليمان الكردي أوقف طاحونة في نفس الوادي يعرف بالجديد وبالداوكية ، وفرح بن محمد من فرح يعرف باسم ابن الفرحون الكردي أوقف طاحون عام ٩١٠هـ / ١٥٠٤م[٩٢]، كذلك اشتغل أكراد بالعلم وحصلوا على مرتبات من أوقاف المساجد فالمقر السامي طربيك أوقف للشيخ يوسف الكردي في كل يوم أربعة أرغفة على أن يستقر له المرتب المذكور .

وبالإضافة إلى هؤلاء ورد ذكر أجناس أخرى كالكرج في وثيقة خاصة بحاكورة بيد كرجي بحارة النصارى من وقف الخانقاه الصلاحية وهي دار بمحلة المشارقة [٩٣].

والخانقاه الصلاحية خصصها السلطان الناصر صلاح الدين للشيوخ والشبان التابعين والصوفية من العرب والعجم ، والمدرسة الحديثة بالقرب من الوجيهية عند باب الغوانمة أوقفها رجل من أهل العلم كان محدثًا وهو عز الدين أبو محمد عبد العزيز العجمي الأردبيلي وتاريخ وقفها ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م . وكان أول قضاة الحنفية في القدس في عهد الظاهر برقوق خير الدين العجمي ، وفي حصر إرث ورد اسم الحاج حسن العجمي ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م كذلك ورد في وثيقة أخرى اسم ديشتاد بنت سلطان شاه العجمية ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤م[٩٤].

وبالنسبة للطوائف التركية والتركمانية فقد وجدت في الفترات العباسية والفاطمية ثم الأيوبية ولكن زادت أعدادها مع المماليك والعثمانيين .

فقد أوقفت امرأتان من عتقاء الملك الصالح صاحب ماردين رباط وشرطه ، أن يكون لمن يرد من ماردين وهو على حكر ثابت ٧٦٣ هـ / ١٣٦١م .

كذلك ورد اسم خديجة بنت شهاب الدين أحمد ابن الأرز الرومي نسبة إلى ارزروم (أرض الروم) تعود الوثيقة إلى عام ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨م[٩٥].

وكان المماليك وقادتهم ينتسبون للعنصر التركى وأقام الكثير منهم المدارس وأوقف عليه الأوقاف كما سيرد فى العرض للمدارس والخانقوات والأسبلة وظهرت مدارس تنسب إلي طوائف جنسية كالجراكسة فهناك المدرسة الجركسية ، وترددت أسماء التركمان فهناك وقف الشهابى بن أحمد بن محمد التركمانى ٩٢٥ هـ / ١٥١٩م وهى طاحون على نهر وادى الحجر تتبع بيسان ، وفخرى بن محمد بن التركمانى وقفه فى قرية لبان الشاوى تابع نابلس (٩٦)، وورد ذكر لحارة التركمان وترددت عبارة الروم أكثر من مرة فى الوقفيات وبعضها شمل طبقات عليا وبعضها طبقة وسطى فالوقفية أو الملك لا يزيد عن طاحون فهناك حاكورة ابن جعفر الرومى ، والحاج مصطفى أحمد الرومى ويرجع وقفه للعصر العثمانى أوقفه على أرض طاحون بمزرعة الحوتة فى عجلون نفس الأمر أحمد ابن مقبل الرومى قسم وقفه بين جهات البر ثلثًا لخدام الحجرة النبوية وثلثًا لطلبة العلم بالأزهر ووقف آخر باسم الحاج شجاع بن عبد الله الرومى ، وهناك من أوقف منهم على الزاوية الخلوتية ، أحمد على الرومى لقراء القرآن وعلى العمالة . بل إن هناك نساء كعائشة الرومية وزوجها اللذين أوقفا على المسجد الأقصى(٩٧).

ولقد ازدادت أوقاف الطبقة العليا من الأتراك فى العصرين المملوكى والعثمانى ، فلقد ورد ذكر عائلات تركية وأفراد من الشريحة العليا وعائلات تركية كعائلة مراد ففى وثيقة تتعلق بحجة دين ٩٩٨ هـ / ١٥٨٩م ورد ذكر إبراهيم بك بن الحاج مراد أمير الاى بك القدس ويرى العسيلى أنه ربما كانت عائلة مراد بالقدس ترجع بأصولها إليها ، وإنه ربما كان ابنه إبراهيم أيضًا أمير ألاى فى الجيش العثمانى ، وهناك أوقاف لبيرام جاويش وخاصكى سلطان زوجة السلطان مراد وإن كانت غالبية الواقفين من المقيمين بالقدس إلا فئة حاكمة من السلاطين والقادة . وفى حصر إرث ورد اسم زليخا بنت الحاج خضر بن إلياس العنتابى نسبة إلى عينتاب جنوبى تركيا ، كذلك وجدت أعداد من الأرمن ومنهم من اعتنق الإسلام فهناك عائلة مصطفى المهتدى الذى يعتقد أنها تنسب إلى مينا كان العجمى الأرمنى الذى اعتنق الإسلام فى القرن الثامن عشر الميلادى وكان فى الأصل أرمينيًا وكان له أخ يدعى مسيا وكان أخوه كيورك الولى على أخوته وأمه تدعى سارة بنت وانيس وقد ادعى مصطفى ضد أخيه ليطالب بحصته فى تركة له ويرجح العسيلى أنه ربما كان جد العائلة المقدسية المعروفة بعائلة المهتدى ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١م(٩٨).

وقد تردد أيضًا اسم المصرى فى إقرار دين ورد اسم أحمد بن محمد بن على الحصرى المصرى ، كذلك ورد اسم امرأة تسمى عملا بنت أحمد بن عمر المصرية المقيمة بالقدس وزوجها يسمى غانم بن عبد الله مقيمة بخط باب السلسلة بالقدس وهو ٧١٥ (٩٩)، وفى وثيقة تعود عام ٧٩٣ عن حصر ممتلكات جوهرة بنت صلاح الدين الدمياطية فى دار الشيخ الإمام العالم شرف الدين .

الطوائف الدينية الإسلامية :

هناك الطوائف سنة وشيعة ورافضة كما ذكر ابن جبير وابن بطوطة وانقسمت السنة إلى مذاهب مالكية وشافعية وحنفية وحنبلية ونستطيع أن نجد هذه الحقيقة فى أسماء المدارس والأوقاف الموقوفة عليها ، كالمدرسة المعظمية الحنفية والمدرسة المالكية .

كذلك وجد دروز فى وثيقة رقم ٧٩ تعود لعام ٣٩٦ هـ / ١١٠٥م بخصوص تعيين بواب فى الرباط الحموى بباب القطانين جرى تعيين محمد بشه ابن المرحوم على حسن الدروزى في وظيفة بواب الرباط الحموى (١٠٠).

وكان أول القضاة الحنفيين بالقدس وفقًا لعدد من المصادر هو خير الدين العجمى من صوفية خانقاه شيخو بالقاهرة وكان ذلك فى عام ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م فى عصر السلطان الظاهر برقوق وتوفى ٨٠٠هـ/١٣٩٧(١٠١). أما قاضى الشافعية فعادة كان يجمع بين قضاء القدس والرملة كذلك كان يجمع بين قضاء القدس ونابلس وقاقون وجنين وأعمالها فضلاً عن أن منصب القضاء كان يتوارثه الأبناء عن الآباء .

ولقد تحول الكثير إلى المذهب الشافعى لكثرة الأوقاف المحبوسة عليه .

الطوائف غير الإسلامية وفقًا للأوقاف :

بالنسبة لأعداد اليهود والمسيحيين فى بيت المقدس لا نستطيع أن نضع تقديرًا دقيقًا نتيجة لتغير الظروف والأوضاع السياسية عبر الفترات الزمنية ولعدم وجود إحصاء شامل دقيق حتى أن مؤرخى اليهود لم تجتمع إحصائاتهم أو تتفق تقديراتهم لليهود فى العالم الإسلامى فقد ناقض (مارك كوهين) ما كتبه (جوايتين) على أن عدد اليهود يمثل ١٪ من سكان العالم الإسلامى يتمركز غالبيتهم فى المدن ، ويرى (ماترك كوهين) أن التقدير السابق غير صحيح وأن التقدير بين ٠,٠٥ ٪ – ١,٥٪ .

ونفس الأمر بالنسبة لأعداد المسيحيين ، وعند الفتح الإسلامى كان غالبية الأهالى من المسيحيين حتى القبائل العربية التى استوطنت تلك المناطق كانت تدين غالبيتها بالمسيحية ومع دخول الإسلام واعتناق تلك القبائل الإسلام ، بالإضافة إلى عملية الاستيطان الإسلامية وما تم من دخول أعداد من الأهالى فى الإسلام أصبح من الصعب حصر الأعداد .

ولقد تعددت السيطرة السياسية فى بيت المقدس من أمويين إلى عباسيين إلى فاطميين ثم ما تلى ذلك من غزو صليبى وعاد التواجد المسيحى يسود المدينة ولكن هذه المرة لم يكونوا مسيحيين أرثوذكس كالأهالى الأصليين بل كان من الغزاة كاثوليك ثم عادت المدينة إسلامية من جديد فى عهد صلاح الدين ، وعلى هذا فإن إيجاد تعداد دقيق كان أمرًا صعبًا ولما يعاود اليهود الدخول إلى المدينة إلا بعد سماح صلاح الدين لهم . تقارير الرحالة لا نستطيع الاستناد لها (فبنيامين التطيلى) جعل عدد اليهود فى القدس مائتى يهودى(١٠٢) فى حين أن رحالة آخرين ذكروا أنه لم يكن هناك إلا صباغ واحد يهودى . ومع المماليك اتضحت الصورة نسبيًا فذكر اليهودى ميشلوم الذى زار القدس فى نهاية عصر المماليك أن عدد الأسر اليهودية ٢٥٠ أسرة وعوبديا الذى زارها فى نفس الفترة ذكر سبعين أسرة من الفئات الفقيرة (١٠٣)، وأن غالبيتهم من الأرامل وكبار السن من ألمانيا والبرتغال والأقاليم الأخرى ويؤكد عدم تعرضهم للاضطهاد من المسلمين وكان اليهود ربانيين وأقلية سامرة ، وتردد ذكر أوقاف السامرة وكان المسيحيون غالبيتهم من الأرثوذكس وأقلية من كاثوليك وموارون .

وذكر إسحق شيلو الذى زارها ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤م أن اليهود فى القدس غالبيتهم من الأجانب كالفرنسيين (١٠٤).

ويذكر فيليب فارج فى كتابه (المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى) أن الدولة العثمانية قامت بعملية إحصاء عام مرة فى القرن السادس عشر لفرض إدارتها وأن هذا هو أول إحصاء فى تاريخ الإسلام بعد ألف عام من الهجرة والهدف السعى لتوطيد النفوذ العثمانى (١٠٥).

ولقد مهدت لهذا بعدد من العمليات المنضبطة وهكذا نجد أن كاتب أخبار دمشقيًا يروى أن مدينته قد أحصيت عن بكرة أبيها منذ الأحد ٢ رمضان ٩٢٢هـ / ١٥١٩م أى صبيحة دخول جيش السلطان سليم وتعداد ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م فى عهد السلطان محمد الثانى لم تدخل سوريا فيه . وفى عام ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م كان الهلال الخصيب يضم مسلمين بنسبة ٩٢٪

ومسيحيين ٧٪ ، يهود بنسبة ١٪ وإن أقليات الشرق كانت تتألف من مسلمين منشقين من أهل الكتاب وتسكن المناطق التى تشكل فيها التضاريس الجغرافية قلعة حصينة، وفى ولاية طرابلس المطلة على البحر تقيم نسبة ٥٨٪ من المسلمين فى مواجهة الصحراء أما الجهة الأخرى من الجبل فتنتمى بشكل أكثر رسوخًا للمجال الإسلامى و٨٪ فقط من المسيحيين .

وفى وثائق مقدسية يظهر أن عدد غير المسلمين فى القدس عام ١٠١٥هـ / ١٦٠٦م كان ١٥٤ شخصًا من دافعى الجزية وبما أن النساء والأطفال ورجال الدين كانوا يعفون من الجزية فنضرب هذا الرقم فى خمسة ونستنتج من هذا أن عدد غير المسلمين فى القدس فى تلك السنة كان حوالى ٧٥٠ شخصًا ويبلغ دافعوا الجزية من المسيحيين ٩٤ شخصًا ٦٨ روم أرثوذكس ، ١٤ سريان و ١٢ قبط أى مجموع عدد المسيحيين كان حوالى ٤٧٠ ، أما اليهود فكانوا يعدون ٦٠ شخصًا من دافعى الجزية وأن مجموعهم كان فى حدود ٣٠٠ شخص ونشر فى المجلد الثانى وثيقة . يعود تاريخها إلى عام ٩٨٠ هـ / ١٥٨٢م أى قبل تاريخ الوثيقة السابقة تبين أن عدد يهود القدس فى عام ٩٨٠ كان ١١٥ نفرًا من دافعى الجزية وأن مجموع عددهم كان ٥٧٠، وإذا كان الرقمان صحيحان فإن عدد السكان اليهود قد نقص لسبب أو لآخر خلال ٣٥ سنة .

ولقد وردت أسماء لحارات لليهود وحارات للنصارى ووثيقة الخانقاه الصلاحية أشارت إلى قبور وطاحون بحارة اليهود – وحاكورة بحارة النصارى وكان اليهود كما ذكرنا ينقسمون إلى ربانيين وسامرة .

وحارة اليهود بجوار الصلتين من جهة الغرب وضمنها حارة الريشة وحارة صهيون .

وكان معظم أراضى مقابر الطوائف الدينية غير الإسلامية فى القدس فى الفترة العثمانية ملكًا للمسلمين أو جارية فى أوقافهم ومؤجرة لمدة زمنية متفاوتة إلى الطوائف لدفن موتاهم . وهكذا كانت مقبرة اليهود فى رأس العمود بقرية سلوان فى وقف الصلاحية (١٠٧). وكانت هناك مقبرة القرامين جارية فى وقف الشيخ الثورى وتطلعنا هذا الوثيقة على وجود مقبرة للأرمن مستأجرة من وقف الشيخ الثورى أيضًا (١٠٨).

والشيخ الثورى هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله مجاهد حارب مع صلاح الدين وقف عليه الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين القرية التى عرفت فيما بعد بقرية الثورى أو قرية دير أبو ثور ٥٩٤ هـ / ١١٩٧م وهى من أحياء القدس .

ولقد جرى ذكر أوقاف لليهود فى الوثائق التى تعود للعصر العثمانى .

فاليهودى مرحا بن إسحق وهو سامرى ويونس بن عيسى السامرى لهما نصيب فى حمام وتعود الوثيقة لعام ٩٢٦ هـ / ١٥١٩م والمكان معروف بحمام الملكة فى نابلس ويملكون جزء من الحمام وجزء آخر فى يد الحاج خليل وهو ١٢ قيراطًا والباقى ويخص مارحا ويونس حصة تبلغ ١٢ قيراطًا . وهى تعكس تسامحًا دينيًا ومشاركة (١٠٩).

وموسى اليهودى اشترى طاحون فى نابلس من بيت المال عام ٩٣٩هـ /١٥٣٢م (١١٠). وكذلك وقف المعلم يوسف بن نفيس السامرى النابلسى وتاريخ الوقفية يعود لعام ٩١٩هـ / ١٥١٣م خاص بغراس ببقيع الدار ، وأصبح بيد دريد إسحاق السامرى فى أرض نابلس ١٨ قيراط ، تتبع الجبل الشامى في قرية زواتا وكانت قطعة الأرض مجاورة لقريته زواتا وتعرف بالمغيرة وأصبحت قطعة الأرض تسمى ببدر بن إسحاق السامرى .

وكانت هناك أموال يدفعها أهل الذمة وهى الجوالى - جمع جالية - وهو ما يؤخذ من أهل الذمة ومثال هو أول ما يكتب من الأوراق الرسمية إيذانًا بإعطاء أحد المماليك إقطاعًا من الإقطاعات الحالية وهى وثيقة رسمية كانت عن ديوان الجيش (١١١).

وهناك أكثر من وثيقة تتعلق بالجوالى المتحصلة من قرية مجدل فضيل كانت جارية فى وقف سيف الدين يكتمر الجواكندار ، كافل المملكة فى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠م . وكان سيف الدين من رجال دولة الناصر محمد فى سلطنة الناصر الثالثة ٧٠٩ - ٧٤١م / ١٣٠٩ - ١٣٣٩م . ولقد أشرف على ترميم قلعة القدس ، فالوثيقة خاصة بجوالى المجدل التى تصرف فى مرتب الصخرة الشريفة والمسجد الأقصى وكتب أسماء الشهود ٢٥ صفر ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م « من عمل مدينة الخليل الوقف المبرور السيفى يكتمر الجواكندار وأسكنه الفردوس من حبسه على قناة السبيل بمدينة الخليل عليه السلام وعلى مرضى المسلمين والفقراء والمساكين وعلى ذرية الواقف أن جوالى النصارى المقيمين بالقرية المذكورة ، من القائمين بفلاحتها لم تزل تصرف فى مرتب الصخرة الشريفة والمسجد الأقصى عن مدة سنتين مقدمة التاريخ على تاريخه تزيد عن عشرين سنة وأن جوالى النصارى والفلاحين بالقرية المقيمين بها تصرف فى استقبال كل سنة هى حتى قريب للصخرة الشريفة الشهود كتبه مالكى وشافعى » .

ولقد حاول الأمير سعد الدين مسعود أحد أمراء العشرات بدمشق وضع يده على جوالى قرية مجدل وكانت تصرف مدة تتجاوز العشرين سنة من مرتب الصخرة واستنادًا إلى هذا

جاء المرسوم رقم ٦ الذى أصدره الأشرف شعبان ٧٦٦هـ يمنع تحويل الجوالى لمنفعة الأمير سعيد الدين وإرجاء التصرف فى مصارفها الأصلية (١١٢)، كـذلك رسم الظاهر أن تكون جوالى الذمة بالقدس والخليل وبيت لحم وبيت جالة مرصدة لعمارة بركة فى بلد الخليل ، كذلك فإن السلطان خشقدم فرض جوالى قرية طيبة من أعمال القدس بقضاء رام الله فى ربيع ثانى سنة ٨٦٦ هـ / ١٤٦١م « صرف جوالى قرية طيبة على مصالح الصخرة الشريفة » . وتم تسجيل الإجراء بديوان الجيوش المنصورة ، وعين الشيخ جمال الدين محمد برهان الدين ومحمد بن أبى شريف الشافعيان لمصالح الصخرة الشريفة بالقدس ، وكان السلطان أبو سعيد خشقدم من عتقاء المؤيد شيخ استقر فى السلطنة ٨ رمضان سنة ٨٦٥ ومن أعماله فى القدس عمارة قناة السبيل الواصلة إلى القدس وعمارة البركة الشرقية ، ووضع فى الصخرة الشريفة مصحفًا كبيرًا (١١٣).

ولقد تغير الأمر فى آخر القرن العاشر فى العصر العثمانى فكانت قرية مجدل فضيل إقطاع وزعامة وتيمار وكان فيها ذلك الوقت ١١٣ أسرة مسيحية ولم يكن فيها مسلمون أى أنها كانت فى ذلك الوقت قرية مسيحية .

أما عن المؤسسات الدينية غير الإسلامية وإدارتها :

وكان ناظر كنيسة القيامة من الوظائف التى عرفت فى مدينة بيت المقدس على عصر سلاطين المماليك والذى ذكره الرحالة كازولا الذى زار بيت المقدس وأنه كان يشرف على إعداد الحجاج المسيحيين الواصلين إلى الكنيسة والزوار وهو الذى يقوم بتحصيل ما يسمى موجب السلطان بعد أن يدون عن كل منهم بعض المعلومات الشخصية عن نفسه من ذكره لاسمه واسم عائلته وسنه وجنسيته وطوله وعلامات مميزة ، ولم تشر المصادر إليها ويرى أنها الوظيفة التى أشار إليها القلقشندى على أنها شد متحصل قمامة وأم متوليها كان من المسلمين بدليل ما ورد فى نسخة التوقيع .

وكانت هناك إجراءات لتعيين رجال الدين اليهود فى القدس . وهناك وثيقة تتعلق بالإجراءات التى كانت متبعة فى القرن الثانى عشر الهجرى والثامن عشر الميلادى لتعيين برناس على اليهود فى القدس وتعنى كلمة برناس الأمير أو الرئيس ، وكان التعيين يتم بقرار من القاضى بناء على ترشيح من وجهاء اليهود فى المدينة وتتعلق الوثيقة بتعيين عدة برانس وليس كما جرت العادة برناس واحد (١١٤).

وفي وثيقة التعيين يذكر نقيب السادة الأشراف بالقدس ويشير إلى فضل الدين أغا دزدار قلعة القدس والمتولى على وقف دورغوت آغا وهو طورغورد الذى كان متوليًا على العمارة العامرة تكية خاصكى سلطان فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى وكان يتولى أيضًا وقف الطواشي محمد أغا الذى عاش فى زمن السلطان قايتباى . ومجموعة من الشيوخ متولين على الإنفاق مثل الشيخ أبو الفتح الديرى المتولى على وقف شبجى أفندى والشيخ أبو السعود وغيرهم ، وهم من أرباب الديون على طائفة اليهود الإفرنج القاطنين بالقدس بالإضافة إلى عدد من رؤساء اليهود مثل الحاخام إبراهيم ولد داويد والحاخام ياسف ولد شمويل المغرى وإيليا ولد إيساف وياقوب ولد حييم ، والحاخام سلمون ولد إبراهام ، والحاخام موسى ولد إيساف وجميع طائفة اليهود الإفرنج بالقدس الشريف ، وذكروا للحاكم الشرعى أن العادة القديمة لديهم إذا هلك أحد من البرانسة والمتكلمين على طائفة اليهود حيث توفى إيساف وإيليا البرناسيين السابقين هلكا وأن مصالح اليهود معطلة لذلك . ولذلك اختاروا ثلاثة من اليهود البرانسة والمتكلمين عليهم وعلى مصالحهم وتعلقاتهم ويتصرفون فى أمور البرانسة من أخذ وعطاء ويتصرفون فيما هو عايد على طائفة اليهود الإفرنج ويقبضون ما يأتى إليهم من الصدقات من بلاد الفرنج حسب العادة المعتادة ، وتعهد البرانسة وجميع اليهود الحضارين بجمع الديون التى للمسلمين على طائفة اليهود الإفرنج وعلى جهة وقفهم ، وأنه طلب أن يسمح لهم باختيار برناس لطائفتهم(١١٥) ولقد قامت بين اليهود خلافات فى عام ١٠٠٤ / ١٥٩٥ ضد موسى أحد أفراد الطائفة لامتناعه عن مشاركة اليهود فى سداد ديونهم، على أساس أنه لم تجر عادة اليهود أنه « إذا استدان كبارهم يكون الدين على الوسط على جملة طائفة اليهود » ولكن القاضى قد ألزم موسى بالمشاركة فى دفع دين المستحق على جميع جماعة اليهود على الوسط أى أن الدين يجب أن يقسم عليهم بالتساوى .

ولقد كان رجوع اليهود فى خلافتهم إلى حكام العثمانيين وحضر جماعة من اليهود القاطنين بالقدس وذكر للحاكم أن من عادة كبار اليهود القاطنين بالقدس أن يستدينوا . على جميع جماعة اليهود بالقدس على الوسط ليتعاطوا صرفه فيما يحتاجون إليه من المصارف وفى التكاليف العرفية والأمور العادية وأن الآن عليهم وعلى بقية طائفة اليهود على الوسط دين كبير لأناس متعددة بشواهد شرعية وأنهم اختاروا أدائه أولاً بأول والتساوى فى أدائه ، وأن موسى ولد إبراهيم اليهودى الحاضر معهم بالمجلس المشار إليه متمنع الآن من المساواة مع

طائفة اليهود فى أداء ما عليهم من الديون وطلبوا من الحاكم المشار إليه أن يلزمه بمساواتهم فى أداء ما عليهم من الدين فسأله الحاكم عن سبب امتناعه عن مساواتهم فى أداء الديون فأجاب بأنه ليس من عادة اليهود أنه إذا استدان كبرائهم أن يكون على الوسط على جملة اليهود وطلب منهم أن يبرهن على ذلك فأحضروا عدد من المسلمين منهم الشيخ عبد القادر نائب الناظر والحاج عبد القادر بن موسى الخياط وغيرهم وشهدوا بأن من عادة اليهود القاطنين بالقدس أن يستدين كبرائهم على جميع جماعة اليهود بالقدس ليتعاملوا صرفه فيما يحتاجون إليه من المصاريف فى التكاليف العرفية والأمور العادية وقبلت شهادتهم وتقرر بمساواة جماعة اليهود فى أداء ما عليهم من الدين بإلزامهم بذلك . وهناك وثيقة خاصة بحصر إرث يهودى تعود لعام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢م يسكن بدار القرمونى بحارة اليهود هو وزوجته وأمه أشير إليهم بأنهم من يهود الإفرنج أى الواردين على القدس (١١٦).

كذلك ورد فى وثيقة فى الجامع الكبير الصلاحى بنابلس ذكر يهودى صائغ ويهودى من تعز فى اليمن .

وفى وثيقة تعود ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م تعهد بعض اليهود بعدم ذبح ذبائح للمسلمين ويعتمد ذلك على أنفسهم لدفع عشرة آلاف درهم لعمارة بقناة السبيل الممتدة بين عين العروب والقدس « بيت لحم والخليل » إذا أخلوا بتعهدهم (١١٧).

وفى إشهاد شرعى أمام القاضى بقبض إيجار مقبرة اليهود عن سنتين ٩٧١ هـ / ١٥٦٣م وأنه حيث قام متولى المدرسة الصلاحية بتسليم إيجار الخاص بمقبرة اليهود من الذهب السلطانى مائتى دينار وسلطان وقام بالدفع داود بن زمير الديان وداود أبو شعر وسلمون الطبيب كلهم يهود من القدس ومقبرة اليهود تقع على الأوقاف الإسلامية وقف السلطان صلاح الدين أرض الجسمانية . وهناك وثيقة تتعلق بالمقبرة واستعمالها للدفن وتعود ثلاثمائة سنة قبل تاريخ الوثيقة أى عام ٧٩٨ هـ / ١٣٩٥م لأن تاريخ الوثيقة ١٠٩٨ / ١٦٨٦م ويرى العسيلى أن هذا التاريخ تقديرى .

وفى وثيقة تعود للقرن العاشر الهجرى سنة ٩٨٠ هـ / ١٥٧٢م أجرى إحصاء لهم بناء على شكوى منهم حيث أن عددهم أقل مما مسجل فى دفتر التحرير وأن عددهم الحقيقى وفقًا للإحصاء ١١٥ شخصًا نظرًا لجهة الخاص ٥٥ لجهة حرم القدس أى ضرائب ٩٠ تخص الخاص السلطانى ٥٥ لأوقاف القدس .

طوائف المسيحيين كانوا يتكونون من عدة مذاهب :

تعددت الطوائف المسيحية فى القدس وإن اختلفت أعداد كل فئة فالعدد الأكبر كان للمسيحيين الأرثوذكس ويليهم الكاثوليك وكان هناك أقباط مصريون مذهبهم أرثوذكسى وأحباش على نفس المذهب وأرمن وسريان ومارون ولقد كانت هناك خلافات بينهم أدت إلى تدخل السلطات الإسلامية وخاصة اللاتين والأرثوذكس المسيحيون .

المسيحيون الأرثوذكس : كان تأسيس البطريركية فى عام ٤٥١م بناء على قرار مجمع خلقدون وكان سكان القدس من المسيحيين الأرثوذكس فى غالبيتهم هم الذين اتفق بطريركهم (سفرنيوس) عند الفتح مع المسلمين على تسليم المدينة لعمر بن الخطاب وظلت كنيسة القيامة فى أيديهم والأغلبية منهم إلى الاحتلال الصليبى وزاد نفوذ الروم الكاثوليك مع الاحتلال الصليبى للقدس ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م لأن اللاتين غالبية أصبح لهم السيطرة فبطريرك بيت المقدس أصبح يتبع الكنيسة الغربية ولقد اغتصبوا بعض أملاكهم ولما استعاد صلاح الدين القدس ١١٨٧هـ/ ١٦٧٦م قل نفوذ اللاتين فردت إليهم أملاكهم وفى عام ١٢٠٣ / ١٧٨٨ قام بين الفريقين صدام أدى لهروب بطريرك الروم للقسطنطينية ومكث هناك إلى أن مات .

وكان لهم مجموعة من الأديرة مثل دير مار يوحنا المعمدان وكنيسة العذراء مريم(١١٨) فى وادى قدرون ودير العذراء الذى أقيم ٤٩٤م ، ويقع جنوبى كنيسة القيامة ودير مار سابا على مقربة من سلوان بناه القديس سابا حوالى ٤٨٤م فيه كنيسة أنشأت عام ٥٠٢م . وكنيسة مريم فى وادى قدرون عند الطرق المؤدية لباب سلوان والدير الكبير الذى يعرف بدير قسطنطين يقع جنوب بطريركية الرم (١١٩).

ودير القديس ثيودسيوس ٤٨٤م ، دير المصلبة فى ظاهر القدس إلى الغرب وهو دير قديم أنشأ عام ٣٣٠ ودير مار إلياس قبلى القدس على طريق بيت لحم ، دير الجليل فوق جبل الطور ودير بالقطمون فى الحى المعروف غربى القدس ، وكان بيد الكرج ثم صار إلى الروم فيه كنيسة وفى داخل الكنيسة قبر القديس سمعان ، وكان جميع البطاركة الأورشيليميين من ١٢٩١ - ١٥٣٤ من العرب وهناك مراسيم سلطانية لطباركة الروم الأرثوذكس من عهد الملك الناصر محمد والظاهر برقوق والسلطان جقمق والأشرف برسباى والأشرف قايتباى ولقد ازدادت الخلافات بين الطوائف فى العصر العثمانى مع ازدياد وفود الجاليات الأجنبية .

الأقبـاط : وهم المصريون جاؤوا منذ منتصف القرن الرابع واستقروا فى القدس وكانوا على مذهب الكنيسة المصرية - المذهب الأرثوذكسى - وعادوا إلى القدس بعد فتح صلاح الدين حيث أخلصوا له ورد إليهم ما اغتصبه منهم الصليبيون وكانت شؤون القبط فى القدس تدار من رجال الكنيسة الأنطاكية السريانية ، وفى عام ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م استقلوا فصار لهم مطران يدير شؤونهم وتم الاتفاق بين الكرازة المرقصية أن يتولى إبرشية القدس حبر قبطى يعينه البابا الأرثوذكسى وأن يجرى التكريز باسم البطريرك الأنطاكى (١٢٠)، وكـان أول مطران قبطى هو (الأنبا باسليوس) ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦م ومن كنائسهم دير السلطان وهو ملاصق لكنيسة القيامة ودير مار أنطونيوس يعرف بالدير الكبير - دير مارجرجس - خان القبط فى حارة النصارى ويرجع لعام ١٢٥٥ - ١٨٣٩م ، وكنيسة باسم العذراء فى الجسمانية وكنيسة مار يوحنا خارج القيامة ومقبرة على جبل صهيون وأعداد القبط لم تكن أعداد كبيرة بل كانت محدودة .

الأحباش : دخلوا المسيحية مع انتشار النفوذ البيزنطى وفى البحر الأحمر وكانت لهم كنيسة ودير ، وكان لهم حق التقدم على الطوائف المسيحية ، وذكر مجير الدين فى حديثه عن الطاعون الذى انتشر فى القدس سنة ٧٩٨ / ١٤٩١ بأنه أفنى طائفة الهنود والحبش .

ولقد دخل جماعة من نصارى الحبش حوالى ثلاث آلاف دخلوا القدس لزيارة الكنيسة سنة ٨٨٦ / ١٤٨١ . وفى العصر المملوكى كانت تتأثر أوضاعهم بعلاقة المماليك بالحبشة .

السريان : وجدوا منذ القرن الأول المسيحى وأعدادهم لم تكن كبيرة وعندما استعادها صلاح الدين لم يكن منهم إلا القليل (١٢١). وهناك وثائق تخص السريان فى دير مار مرقص فى القدس وهما طائفتا السريان الأرثوذكس والسريان الكاثوليك ولقد حصلوا على مراسيم من سلاطين المماليك وأوردها عارف العارف فى كتاب المسيحية فى القدس .

الكرج : كانت لهم كنيسة الجلجلة وكنيسة المصلبة ودير الصلبية . وهناك وثائق وقفية أشارت لهم .

الموارنة : كان لهم نفوذ فى القرنين السابع والثامن الميلاديين ويأتون بعد الفرنجة من حيث الأهمية ، ولكنهم أصبحوا أقلية وليس لهم منها سوى الدير .

الروم الكاثوليك : كانت أعدادهم قليلة ، وكانت لهم كنيسة القديسة حنة بين باب حيطه وباب الأسباط إلى الشمال من الحرم القدسي ، وذكر البعض أن بعد استعادة المسلمين للقدس جعلها صلاح الدين رباطًا للصوفية والخانقاة الصلاحية .

وإن كان المؤرخون قد ذكروا وفقًا للسجل ٩٥ من سجلات المحكمة وشروط الوقف بها أنها كانت دار البطريرك (البطرك) حيث ذكر العقارات الموقوفة على دار البطرك التى تخص دار الخانقاة .

ويقال إن البيمارستان الصلاحى كان فى حارة بالقدس تسمى الدباغة وأن الخراب أدركه ففى زلزلة عام ٨٦٢ هـ / ١٤٥٨م ، وابن واصل يقول إنه جعل الكنيسة المجاورة لدار الاسبتار قرب قمامة جعلها بيمارستان للمرض ووقف عليه .

وقد أنشأت إبراشية لهم ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨م ودخلوا فى صراعات مع بعض الطوائف المسيحية الأخرى .

الفرنسيسكان : أحد الطوائف الرهبانية الأوروبية والتى مارست عملها فى الشرق وتنسب إلى مؤسسها (فرنسيس الأسيزى) (٥٧٨هـ - ٦٢٣هـ / ١١٨٢ - ١٢٢٦م) الذى نشأ فى إقليم أسيسى فى شمال إيطاليا كان يسميهم أهل القدس رهبان أبى حبله سمح لهم الملك عيسى سلطان دمشق بناء على طلب الكامل بإقامة فى بعض مواضع فوق جبل صهيون للعبادة وخرجوا مع سقوط عكا وعادوا ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م وأسسوا دير جبل صهيون (١٢٢)، والرحالة سيرجون مانديفيل الذى زار القدس ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م لم يشر إلى وجود أولئك الرهبان الفرنسيسكان فى الطوائف الموجودة فى كنيسة القيامة وحدث خلاف بين الفرنسيسكان والدومينيكان على السيطرة على القيام بخدمة القبر المقدس ، وكانت أعدادهم قليلة فى عهد سلاطين المماليك وحاولوا التأثير على الأرمن ليخضعوا لكنيسة روما ، ولقد عاشوا على هبات الغرب ، فقد أوقف دوق بروجنديا الأوقاف على الكنائس المقدسة وتولوا حراسة الأماكن المقدسة ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م ، ولديهم كنيسة فرنسيس واقعة إلى الشمال من مقام النبى داود بنيت فوق مكان فى الأصل ملكًا لجماعة من آل الدجانى أسرة الشيخ محمود وقد ابتاعها الآباء الفرنسيون ١٩٣٠م . كنيسة الجسمانية دير المخلص وابتاعوه من الكرج ، الكازانوفا قاعة بين الدار الجديدة ودير الإفرنج وتستقبل الزوار المسيحيين - حبس المسيح(١٢٣) - ولقد أهدى السلطان العثمانى مبنى المدرسة الصلاحية إلى الرهبان البيض

الفرنسيين بعد حرب القرم وأهدى إلى ولى عهد النمسا جزءًا من البيمارستان الصلاحى . وهناك وثائق الفرنسيسكان بالقدس وتضم ٢٦ وثيقة مملوكية صادرة عن مختلف السلاطين حيث سمح لهم بإعادة بناء الأديرة (١٢٤). وبعدها أصبح دير المخلص مقرًا للطائفة من ٩٦٧هـ / ١٥٥٩م وهناك فئات أخرى كالدومنيكان واليعاقبة والنساطرة كذلك كان للجالية الأرمينية تواجد على أرض القدس .

الأرمــن : وقد ورد فى عدد من الوثائق إشارة إلى أرمن وهناك وثيقة تشير إلى مطران الأردن وأنهم قاطنين دير مار يعقوب بالقدس وكان لهم مترجم وحدث خلاف بينهم وبين المسئولين على وقف الشيخ الثورى حيث أجروا مقبرة لهم من وقف الشيخ الثورى فتقدم الشيخ أبو السعود والشيخ شمس الدين والشيخ إبراهيم والشيخ محمد الشيهر والذين ينتسبون لابن الثورى وكانوا يأجرونه لمدة تسع سنوات وأن مدة الإجارة انقضت ، وأن لديهم قبرًا لأموات النصارى فى أملاك الرهبان وأنه تم بنائه بالموافقة من الوقف وأن لهم حكرًا ، واصطلحوا على ما تقدم ، ولقد تم عقد العقد بالتراضى وتم تحريره في ١١٠٥ / ١٦٩٣ على أن يدفعوا كل سنة أربعون قطعة مصرية وأربعة قروش (١٢٥).

وللأرمن بجوار دير مار يعقوب ودير الزيتونة وحبس المسيح وفى كنيسة القيامة كنائس منها الجلجلة الثانية وكنيسة مار يوحنا وكنيسة ستنا مريم وماريكريكور لوسا فوريتش (١٢٦).

والقرن التاسع عشر هو القرن الذى اشتد فيه نفوذ الإرساليات الغربية التبشيرية فى القدس والنفوذ الأجنبى ونفوذ المؤسسات اليهودية وبدأت أملاك المسلمين تنتقل إلى الطوائف الأجنبية نتيجة لإغراء بالمال أو ما قامت به الحكومة العثمانية من منح أراضى الأوقاف للأجانب ففى سنة ١١٩٠ / ١٧٧٦ ، وتضمن فرمان من السلطان عبد المجيد بمنح طائفة الأرمن الكاثوليك الحق فى بناء دير على قطعة الأرض المعروفة بحمام السلطان وهم حمام خاصكى سلطان ، والذى يدخل فى وقفه وخاصكى هى زوجة السلطان سليمان القانونى وكانت هناك وثائق عديدة خاصة بالوقف والحمامات .

ففى وثيقة تحمل رقم ٧٥ / ٧٦ وثائق مقدسية جـ ٣ تعطينا تفاصيل كثيرة عن الحمامين اللذين أمرت ببنائهما خاصكى سلطان كجزء من وقفها وهى حمام للرجال والآخر للنساء ويتناول المقاولة عمل قناة التى تمت بين بيرام جاويش متولى العمارة العامرة وبين المعماريين ،

والوثائق بينت مدى الفخامة التى كان عليها الحمامين ويتضمن أحدهما إنشاء قناة لإمداد الحمامين المذكورين بالماء (١٢٧).

ويتضمن الإشارة إلى أجر المعلمين والفعول الذى بلغ خمسة وسبعون سلطانيًا ذهبًا وهذا يوضح مدى الثراء والفخامة الذى كان عليه الحمامان وإيصال القناة بالماء وتفريق الماء الحاصل للحمام من ماء بارد وماء ساخن كلفهم عماله سبعة وثلاثون سلطانيًا ذهبًا وتعهد المقاولون بضمان حسن سير العمل لمدة ثلاث سنوات فى حمامات ذلك الوقف .

وتجدر الإشارة إلى أن من بين المعماريين ورد اسم مراد النصرانى الأرمنى أى إن الأرمن عملوا بمهن عديدة منها المعمار ٩٦٣هـ / ١٥٥٥م وقد تم إنشاء الحمامين ٩٦٤هـ / ١٥٥٦ - ١٥٥٧م بموجب حـجـة الوقف (١٢٨)، ولقد قام السلطان عبد الحميد بمنح طائفة الأرمن الكاثوليك أرض لبناء دير وكنيسة على حمام السلطان السابق الذكر والذى يدخل فى وقف خاصكى سلطان وهو أول مصادرة لأرض عربية .

وطائفة الأرمن الكاثوليك جرى الاعتراف الرسمى بها من قبل الدولة العثمانية وصدرت أول براءة لها تضمنت الاعتراف بها ١٢٥١هـ / ١٨٣٥ وفى سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م . تمكنت من شراء قطعة الأرض المعروفة بحمام السلطان والكائنة فى حارة الواد مقابل نزل (هوسبيس) النمسا وفى سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م بنت الطائفة دير أو كنيسة فى هذا المكان وهذا الدير هو مقر بطريركية الأرمن الكاثوليك فى القدس الآن ، أما الكنيسة فتدعى كنيسة أوجاع العذراء حيث يعتقد أن السيدة مريم العذراء شاهدت فى هذا المكان ابنها المسيح وهو يعاد حاملاً الصليب فذرفت عليه الدموع وسمى المكان المرحلة الثالثة أيضًا .

وفى شهر ذى الحجة سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧ صدر فرمان سلطانى بعد تمام البناء بمنح الطائفة حق بناء الدير . ويتضمن الفرمان ما يلى « أن قطعة الأرض الخالية والمملوكة للرهبان الأرمن الكاثوليك فى القدس الشريف والتى كان يرغب فى بناء كنيسة عليها » هى جزئيًا أرض ملك وباقيها أرض وقفية ، وحيث أن الجماعات الأخرى لا تملك الأرض ولا تشارك فى ملكيتها أحد وحيث أن قطعة الأرض ، ولو أنها ملاصقة للزاويتين القادرية والنقشبندية وعلى بعد ستين ذراعًا من الحرم الشريف ، إلا أن الاتصال المحذور تمكن تفاديه بشق طريق بعرض خمسة أمتار من قطعة الأرض المذكورة والزاوية يجب أن تكون على قدم المساواة مع المؤسسات والإنشاءات الأجنبية فى المنطقة المجاورة (١٢٩).

من الواضح زيادة نفوذ الجماعات الأجنبية ، فالمنشآت الأجنبية تجاور الحرم ورغم قلة عدد هذه الطائفة فمن المؤكد أن لديها من النفوذ والمال ما يمكنها من الحصول على هذا الفرمان ، فالفرمان يلفت النظر لأن جماعة الأرمن الكاثوليك تتألف من أربع عائلات يبلغ عدد أفرادها جميعًا ٢٢ نسمة من ذكور وإناث « وأن الكنيسة « خصصت » لاحتفالات الحجاج الذاهبين إلى هناك من باب سعادتنا ومن غير ذلك من الأماكن ، وإن إنشاءاتها ينبغى أن تكون ٢٥ مترًا طولًا ، ١٠,٥ مترًا عرضًا و ١٣ مترًا ارتفاعًا وأن ينبغى أن تضاف اثنتان وعشرون غرفة لإيواء الحجاج الفقراء ، وكذلك اسطبل كما يتضح من المضبطة الرسمية » ، ولقد طلب الفرمان تحاشى قيام أى معارضة لإنشاء وبناء كنيسة . وحرر فى ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦م وذكر أن على البطريركية دفع تكاليف البناء (١٣٠).

ولم تكتفى الجاليات الأجنبية بالمحاولة على حصول أرض الأوقاف الإسلامية واتخاذها كمنشآت بل نجدها تفجر العداء بين الطوائف المسيحية المختلفة والنزاع حول الحصول على حقوق فى الأماكن المقدسة وخاصة كنيسة القيامة ودخلت دول كروسيا وفرنسا والنمسا وأسبانيا وانجلترا لصالح الطوائف التابعة لها فى القدس .

ولقد أهدى السلطان العثمانى مبنى المدرسة الصلاحية إلى الرهبان البيض الفرنسيين بعد حرب القرم وأهدى ولى عهد ألمانيا جزءًا من أرض البيمارستان الصلاحى وأهديت أرض المطلع فى الطور إلى الإمبراطور الألمانى (فيلهلم غليوم) عندما زار القدس ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م وكذلك أهدى واجهة قصر المشترى قرب عمان وقد نقلت إلى برلين حيث عرضت فى متحف برجامون اليوم .

والوثيقة رقم ١١٦ وثائق مقدسية توضح النزاع بين طائفتى الروم الأرثوذكس والإفرنج حول حقوق كل منهما فى كنيسة القيامة وخاصة حول مراسم الاحتفال بسبب النور الذى يسبق عيد الفصح بيوم واحد (١٣١)، وهو اليوم الذى يقال أن النور يظهر فيه إيذانًا بقيام السيد المسيح من القبر وكذلك الخلاف حول من يتقدم فى الزيارة بين الطوائف المختلفة والذى زادت من حدته تدخل الدول الأوروبية كل لصالح طوائفها . فقد حضر وكيل بطرق رهبان النصارى الروم بالقدس المدعو دانيل ومجموعة من رهبانه ، وادعى ضد وكيلى الرهبان نصارى الإفرنج القاطنين بالقدس الشريف فى دير يدعى دير العمود ويقع فى الجهة الشمالية الغربية من حارة النصارى وتابع لطائفة الإفرنج ويعيش به رهبانهم بموجب فرمان سلطانى

وحجة شرعية وذكر أنه من المعتاد فى يوم العيد أن وكيل الروم والأرمن يدخلان لكنيسة القيامة ويغلقان عليهم باب القبر ويخرجان الشموع ثم يختم على الباب ولا يدخله أحد ولكن وكيلا الرهبان الإفرنج أزالا الأختام ودخلا القبر ولقد بررا ذلك بأن الأختام على الباب الخارجى للكنيسة لا القبر وأن السلطات العثمانية أعطتهم الحق بأن يكون القبر بأيديهم وكذلك مفاتيح كنيسة بيت لحم وبأن لهم الحق فى التقدم بالزيارة عن الطوائف الأخرى . وأظهر مرسومين سلطانيين أحدهما من السلطان مراد الرابع (١٠٣٢ - ١٠٤٩هـ / ١٦٢٢ - ١٦٣٩م) مؤرخ ١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥م ، والثانى من السلطان سليمان الثانى (١٠٩٩ - ١١٠٢هـ / ١٦٨٧ - ١٦٨٩م) بتاريخ ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م مضمونها أن الأماكن بداخل كنيسة القيامة وبيت لحم ومن جملتها القبر المذكور تكون بأيدى رهبان طائفة الفرنج وتكون مفاتيحها بأيديهم لكونها كانت بأيديهم من قديم الزمان وأنه رفع الإشراف من الروم وأنهم يتقدمون على جميع الطوائف فى الزيارة ، وطلب من الروم والأرمن إظهار أمر السلطان فنفيا وجود الأمر ولكن أفادا بأن العادة جرت بذلك وحكم للإفرنج .

ويبدو أن الرهبان الفرنج بما تمتعوا به من مزايا من العثمانيين سعوا لإثارة المشاكل مع الطوائف الأخرى فقد لجؤا إلى قاضى القدس فى خلاف بين (رفائيل) وكيل الرهبان النصارى الإفرنج القاطنين بالقدس وهو المذكور سابقًا فى الصراع على كنيسة القيامة . ولبى وكيل رهبان الروم نوفيس وترجع الوثيقة لعام ١١١٠هـ لقد ورد أن كل منهما أحضر مترجمة مما يدل على عدم إجادتهم اللغة العربية وأحضروا مرسومًا من السلطان العثمانى بتاريخ ١١٠٧هـ/١٦٩٥م بأن السلطان بلغه أن رهبان الفرنج يسعون لتحويل الروم والأرمن من مذهبهم إلى مذهب البابا الكاثوليكى وأنهم استطاعوا تحويل البعض وأن هذا أدى إلى اختلال وفساد ويأمر بمنع رهبان الفرنج من التبشير بين الروم والأرمن ومحاولة تحويلهم إلى المذهب الكاثوليكى وأن من تحول إلى مذهبهم عليه أن يعود إلي مذهبه الأصلى ومنع الرهبان الإفرنج من أى محاولة لتغيير مذاهب الطوائف الأخرى إلى المذهب الكاثوليكى مذهب البابوية وكتب الإقرار ١١١٠هـ / ١٦٩٨م(١٣٢) .

ولقد كان هناك إجراء خاص بالطوائف المسيحية كان عليها تقديمه وظهر هذا الإجراء خلال الحكم العثمانى وهو ما يسمى بالعادة المعتادة وهى هبة أو هدية نقدية كانت الأديرة

المسيحية خاصة الأديرة الثلاث السابقة تقدمها وهى دير الإفرنج ودير الروم ودير الأرمن تقدمها فى مراسم أو مناسبات معينة إلي الحكام أو الأفراد من العائلات المقيمة بالقدس فى العصر العثمانى تقربًا إلى هذه العائلات ودعمًا لمراكز هذه الطوائف فى سعيها لتوسيع نفوذها فى ضوء صراعاتها السابقة وقد تطورت تلك العادة المعتادة وتحولت إلى حقوق مكتسبة كان يتم توريثها أو بيعها أو التنازل عنها ولقد وردت فى وثائق مقدسية خمس وثائق حولها وأحد الوثائق تتناول النزاع بين شخصين من آل مراد بك وهى أحد الأسر الثرية المعروفة أحدهما يدعى أحمد بك والآخر مصطفى بك حيث ادعى أحمد على ابن عمه مصطفى أنه اغتصب حقه من العادة المعتادة التى تؤخذ من ثلاث أديرة بالقدس وهم رهبان دير طائفة الإفرنج ودير طائفة الروم ودير طائفة الأرمن حيث يحصلوا فيها فى كل شهر على ستة غروش أسدى وستة شمعات وثلاث عباءات ، أو خرق صوفية من الجوخ وأنه لم يعطه حقه وبعد عرض الأمر اتضح أن هذه الأمور تخص من يتولى زعامة الأسرة وهو مصطفى بك حيث لا حق لأحمد بك فيها (١٣٢)، ووثيقة تعود إلى ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م أن عبد الله بن صفى الدجانى تنازل عن العادة المعتادة التى ورثها عن والده ووالده عن عمه وهى أربعة زلطه (وهى عملة مالية) على طائفة الروم القاطنين بالقدس تنازل لمترجم الطائفة المدعو أوبركة مقابل ٣٥ زلطه تقاضاها عبد الله وأعلن تنازله برضاه ، ونفس الرجل تنازل عن العادة المعتادة فى ثلاث أديرة واقعة بالقدس وهى ست شمعات مشيخيات على رهبان الأديرة الثلاث على كل دير شمعتان وتنازل إلى خليل جلبى الداودى مقابل ست وأربعين زلطه ونصف زلطه (١٣٣).

نفس عملية التنازل مقابل مبلغ من المال نجده فى وثيقة تعود ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م . حيث قام صالح بن عبد الرحمن شيخ الحرم القدسى بالتنازل عن العادة المعتادة وتعرف هنا بالموسمية مقدارها ست زلطات على دير لطائفة الروم ودير طائفة الأرمن بالقدس إلى عبد اللطيف ابن الحاج عبد الله أفندى نقيب القدس مقابل مبلغًا وقدره خمسين زلطه (١٣٤).

نفس الأمر تنازل فرد من أسرة العلمى وهو محمد بن الصمد العلمى إلى مصطفى عبد الغنى العلمى فى وثيقة تعود لعام ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م عن العادة المعتادة من دير الإفرنج بالقدس ومقدارها ثلاثين فضة مصرية وأن تلك العادة آلت إليه من والده ومن قبل من جده مقابل مائة زلطه (١٣٥).

وكما هو واضح من الوثائق أن أغلب العادة المعتادة لأشخاص مرموقين ابن شيخ الحرم ، نقيب القدس ، وأفراد أسرة العلمي زعيم آل مراد وهي تثبت أن هناك أسر إسلامية ارتبطت جذورها بهذه الأرض .

وهناك وثيقتان خاصة بوثائق أوقاف لغير المسلمين الأولى خاصة بميخائيل بن اندراس بن قسطنطين ولم يذكر اسم الجهة التي وقف عليها أما الثانية فهي خاصة بفقراء مساكين النصارى الذين يقيمون في القدس أو يأتون إليها (١٣٦). ولقد بنى الصليبيون مستشفى باسم القديس يوحنا الذي بناه الاسبتارية ، ويشير البعض إلى أن الفتح الصلاحي لبيت المقدس لم يصب ذلك المستشفى بسوء وأن السلطان سمح لعشرة من الاستبارية بأن يبقوا لعلاج المرضى لمدة سنة وسمي بالمارستان ٦١٦ هـ / ١٢١٩م وظل إلى القرن الخامس عشر (١٣٧).

طبقات السكان :

من واقع الوثائق الوقفية وحجم الوقفيات نستطيع أن نتعرف علي الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها السكان ففي العصر الأول سنجد أن هناك طبقة عربية وافدة على السكان الأصليين بالإضافة إلى القبائل العربية القاطنة أصلاً على أرض فلسطين ، والأهالي من المسيحيين وهم أرثوذكس مع مجموعات من أقباط مصر والأحباش وهناك ملكانين وقلة من اليهود تصل إلى حد الندرة وفقًا للمؤرخين اليهود أنفسهم .

ولكن التكوينة الاجتماعية مع الوقت تغيرت بالدخول في الإسلام فبعد فترة أصبحت غالبية إسلامية واندمج العربي الوافد مع المواطن الأصلي والعربي المقيم فأصبح من الصعب التمييز بينهما ووثائق الوقف تثبت هذا وإن حفلت بعض الأوقاف بأسماء الصحابة والصالحين ، ومع الفاطميين ورد المغاربة وكثرت أعدادهم كما سبق وذكره رحالة تلك الفترة ، ومع الصليبيين تغيرت صورة المجتمع وعاد لطابعه الإسلامي من خلال الوثائق الوقفية في فترة الأيوبيين والمماليك والعثمانيين مما يذكر أن صلاح الدين أتى بعدد من القبائل العربية كبني حارث وبني مرة وبني سعد وبني زيد والجرامنة فأقطعها بعض أجزاء المدينة . ونلاحظ تقسيم معين للفئات الاجتماعية .

فنجد على قمة السلم الاجتماعي الطبقة العليا قادة صلاح الدين كالهكارية والثوري والشيخ المجاهد جلال الدين الشامي وغيرهم من أسماء عديدة تملكت الأرض عن طريق وقفيات واستقرت في القدس وأصبح لها كيان مستقل وكونت أسرات مقدسية نجدها تتوارث الأرض عبر العصور المختلفة سواء مملوكية أو عثمانية وتلي مناصب قيادية ودينية ومع العصر

المملوكى بدأ توافد عناصر تركية عديدة من أمراء المماليك بعضهم بحكم الوظيفة تملك إقطاع وأوقف أراضى وعقارات على نفسه وأسرته وبعد انقراضهم على الأماكن الدينية أو أوقفها مباشرة على الأماكن الدينية ولقد فضل بعضهم العيش والإقامة الدائمة فى القدس فمثلاً وقف سيدى قيمر وهو ليس شخصاً أو ولى من أولياء الله كما اعتقد البعض وإنما هو من الأمراء القيمرية وهم من المماليك الذين أقاموا فى قلعة قيمر دخل بعضهم فى الخلاف بين الناصر يوسف الأيوبى والمماليك الذين انضموا إليه ضد عز الدين أيبك سلطان مصر المملوكى وبعض من سلالتهم كون أسر استمرت فى الفترات التالية .

ولقد شملت تلك الفئة سيدات من طبقة ثرية أوقفن أو أوقفت عليهن الأوقاف وتولين إدراتها أيضًا . وينتمى لهذه الطائفة فئة الأشراف وغالبيتهم من الأشراف العلويين وتولوا مناصب دينية وكانت لهم مكانتهم .

وفى الفترة العثمانية نجد أسماء العديد من البكوات والقادة المدنيين والعسكريين فى القدس الذين أوقفوا الأوقاف وأقاموا هناك وكونوا عائلات مازال عدد منها موجوداً إلى الآن .

ونجد طبقة تالية من التجار الأثرياء ورجال الدين تشمل قضاة ونظار أوقاف وملاك أرض وعقارات وبعضهم تملك طواحين ومنازل وهناك فئة أقل تملك القليل كملاك الحمامات والطواحين ولا تتعدى ملكية أحدهم طاحونة أو نصفها بالمشاركة .

ونجد شريحة دنيا ممن يعملون فى داخل نظام الوقف كالمؤذن والبواب والمشاعلى وأعداد كبيرة من الحرفيين ، والحرفيون انقسموا لشريحة عليا كالمعماريين الذين حمل بعضهم لقب بك وانضموا إلى شريحة عليا إلى العامل الصغير ، ووثائق الوقف تعكس هذا وفقًا لشروط الوقفية وحجم الممتلكات وتصنيفها وما تشمله .

والطبقة العليا قامت بإنشاء المساجد والزوايا والربط وإيقاف الأوقاف على الحرمين المكى والمدنى والحرم القدسى .

الفئات العليا فى المجتمع وفقًا للأوقاف :

الأشراف :

منذ الفتح ظهرت طبقة الأشراف ويشير مجير الدين إلى تواجد عائلات من الأشراف ينتسبون إلي سلالة الرسول ﷺ لأنهم كانوا بالقدس وبظاهرها فى وادى النسور ولقد بقوا برعاية الأيوبيين ثم المماليك وأوقف عليهم منجك نائب الشام قرية الشرفات القدس وكان يطلق

على أشراف المدينة اسم البدرية نسبة إلي السيد بدر بن محمد بن يوسف الذى ينتهى نسبه إلي الحسين بن على بن أبي طالب ٦٥٠/١٢٥١م (١٣٨). وقد ميزوا فى عهد الأشرف شعبان بارتداء عمائم خضراء بارزة . وجعل السلطان الظاهر برقوق ٧٩٤ / ١٣٩١م الشريف صدر الدين بن غياث الدين إبراهيم بن حمزة الحسينى على نظر القدس والخليل . وهناك العديد من الأوقاف ترجع للفترات المختلفة موقوفة على الأشراف فهناك وقف الشريفة ست الأشراف بنت السيد محمد ، على الفقراء المساكين وعلى القراء بمدرسة أرقطاى بصفد وبعد الانقراض على الحـرم ٩٠١هـ / ١٤٩٥م (١٣٩)، ووقف سيدى أبو بكر ولد الشريف محمد على، على أبنائه وبناته ٩٨٠هـ / ١٤٩٤م حيث أوقف مزارع فى القدس .

وهناك مجموعة من الوثائق تعود إلى هذا العصر تتعلق بنقابة الأشراف ولقد حدث تنافس بين الأسر المقدسية الشريفة على هذا المنصب وعلى المناصب الدينية ومن أشهر الأسر أسرة الحسينى التي تولت الوظائف الدينية فى عصور مختلفة وتولوا الوظائف فى عصر المماليك والعثمانيين وهناك مجموعة من الوثائق تتعلق بهذه الأسرة من الأشراف ، وفى وثيقة تعود لعام ١٢٠٤/١٧٨٩م أقصى عبد الله عبد اللطيف الحسينى عن نقابة الأشراف وأقصى أخوه عن منصب المفتى وكان للعائلة التى تتمتع بالثراء وكلاء فى استانبول ذكروا أن وراء هذا العزل أسماء ثلاثة وجهاء مقدسيين سعوا للإطاحة بالشيخ حسن المفتى وأنهم موسى الخالدى وعبد الحق الجاعون وموسى الغزى وقد وردت أسماء بعضهم فى وثائق عديدة وعينت السلطات العثمانية محب الدين بن محمد أمين بن محب الدين بن عبد الصمد الحسينى وكان أبوه وجده نقيبين للأشراف كما عينت نجم الدين بن بدر الدين الجماعى مكان حسن فى منصب مفتى الحنفية وكان عبد الله وابنه عبد السلام قد نفيا إلى حمص وخشيت العائلات المنافسة أن يعود إلى القدس ولكن عاد الحسينيان إلى الوظيفتين اللتين عزلا منهما (١٤٠).

ولقد تولى بعد وفاته ابنه عبد الله نقابة الأشراف ١٢١١هـ / ١٧٩٦م وبعد وفاته تولى ابنه عبد اللطيف وبعد وفاته عين أخوه عبد السلام ثم توفى فعين حسن بن عبد اللطيف أخوه عبد الله ١٢١١هـ / ١٧٩٧م بعد وفاة حسن المفتى ١٢٢٤هـ عين ابن أخيه مفتيًا فى المكان الذى خلا بوفاة حسن وشغله لأكثر من عقدين ، وسنجد أسماء أفراد هذه الأسرة فى الفترة الحديثة فقد أورد عارف العارف أسماء من تولوا رياسة البلدية (١٨٦٣ - ١٩١٣م) مثل عمر أفندى عبد السلام الحسينى - سليم أفندى الحسينى - سعيد أفندى الحسينى - سليم أفندى

الحسيني – ومن بين الأسماء الذين تولوا رياسة البلدية في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ – ١٩١٧ أحمد عارف الحسيني – وحسين سليم أفندى الحسيني وتولى رئاسة المجلس البلدى بعد الاحتلال الإنجليزى حسين سليم أفندى الحسيني ثم تولاها موسى كاظم باشا الحسيني(١٤١).

وهناك طبقة الأمراء التي استوطنت القدس وشملت شريحة عليا وأوقفت الأوقاف وكان يتولى القدس في العصر الأيوبى أمير من أمراء السلطان بلقب وال ، وقد تحولت المدينة ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م إلى نيابة فأصبح يطلق عليه لقب النائب .

وكان الملك العادل قد ولى ابنه عيسى على فلسطين فأقام في القدس وخصها بعناية وأنشأ بها كثير من المعاهد ، ولقد أنشأ المعظم عيسى المدرسة المعظمية في القدس ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م وأوقف عليها عدة قرى منها قرية علا الفوقانية وقرية علا السفلى ومزرعة دير السلام (١٤٢).

كذلك أقام بها الملك الأفضل وأوقف على الزاوية الواقعة أمام جدار البراق أوقفها على أعمال البر والخير كما حبس حارة المغاربة التي تلى ساحة الجدار على زاوية الإمام أبو مدين غوث (١٤٣). وأقام المدرسة الأفضلية .

فالعديد من أبناء البيت الأيوبى حرصوا على الإقامة والاستيطان بها وإيقاف الأوقاف على قادتها وعلمائها ومن الذين استوطنوا القدس الهكارية وهى الأسرة الكردية التي بدأت بقائد مؤسس الأسرة بدر الدين محمد بن أبو القاسم الهكارى ، ومن الشخصيات الهامة قائد صلاح الدين والمجاهد جلال الدين محمد بن أحمد جلال الدين الشامى المجاورة في بيت المقدس والذى أوقف عليه صلاح الدين ٥٨٧هـ / ١١٩١م أوقاف ومن بعده على من يحذو حذوه وقد ولى زاويته جماعة من الأعيان .

وسنجد العديد من أسماء الأمراء الأيوبيين وقادتهم تنخر بها منشآت الفترة كالأمير فارس الدين أبو سعيد ميمون بن عبد الله القصرى خازن الملك صلاح الدين ٥٩٣هـ / ١١٩٦م الذى أقام المدرسة الميمونية على بعد مائتى متر من السور الشمالى وعلى مقربة من باب السامرة والأمير حسام الدين حسين شرف الدين يحيى الجراحى (٥٩٨هـ / ١٢٠١م) أوقف المدرسة الجراحية الكائنة عن طريق نابلس (١٤٤).

وفى العصر المملوكى استوطنها كثير من الأمراء وتعاقب نسلهم وذريتهم عبر أجيال وأقاموا بها القصور والمدارس التى حملت أسماءهم وأوقفوا عليها وعلى مقابرهم وخنقاواتهم ومن أوائل من سكنها الأمراء القيمرية المدفنون فى القبة الواقعة فى حى سيدنا عكاشة بظاهر القدس وتضم رفات عدد من الأمراء القيمرية ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠م وسبق ذكرهم وسلالات بعض هؤلاء الأمراء عاشت فى بيت المقدس .

وهناك قائمة طويلة تحوى أسماء مماليك استوطنوا القدس وأقاموا فيها المنشآت الدينية والدنيوية ومثلوا شريحة عليا وفضلوا البقاء فيها حتى بعد أن تركوا مناصبهم ومن هؤلاء الأمراء الأمير بدر الدين الناصرى أخو الأمير بكتمر الظاهرى قتل فى صفر بعد استردادها من الداوية فى ربيع ٦٦٤ هـ / ١٢٦٦م والأمير سعد الدين أحد أمراء العشرات بالقدس حاول تحويل الجوالى الخاصة بالحرم الشريف على نفسه فى سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م ، والأمير موسى بن أقطاى نائب السلطنة فى مملكة صفد وأمير مائة تولى نيابة صفد فى ٧٧٣ هـ / ١٣٧١م وتوفى ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ودفن فى مقبرة معروفة باسم بنات حامد والأمير بيدمر نائب الشام وكان متوليًا نيابة دمشق فى سلطنة الأشرف شعبان بن حسن سنة ٧٧٧هـ / ١٣٠٧م ولقد أنشأ مدرسة .

الأمير أرغون الكاملى سنة ٧٥٨ هـ / ١٣٥٧م ولقد أنشأ المدرسة الأرغونية عند باب الحديد من أبواب الحرم فى الناحية الغربية ، وأكملها الأمير ركن الدين بيبرس ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م ويسكن جانبًا منها الآن جماعة من آل العفيفى ، والأمير تشتمر السيفى من أمراء الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م والأمير طشتمر العلائى سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م وكلاهما بنى مدارس .

الأمير سيف الدين منجك ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م أنشأ مدرسة اتخذها المجلس الإسلامى خلال الربع قرب الأخير من القرن العشرين مقرًا لأعماله .

والأمير طاز أوقف الأوقاف على تربته وتقع التربة بجوار المسجد الأقصى وبنى مدرسة تجاه بركة خان والأمير حسن الكشكيلى ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس وقام ببناء المدرسة الحسينية والأمير علاء الدين على بن ناصر الدين محمد بانى المدرسة الصبيبية فى أواخر القرن الرابع عشر والأمير فارس الدين البكى ابن الأمير قطلوبك نائب السلطنة بالأعمال الساحلية والجبلية ومنسوب إليه المدرسة الفارسية .

وهناك وقف لاقبغا بن عبد الله الأوحدى أوقفه على تربته ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م وبعده على الفقراء فى الحرمين الشريفين أوقف عليهم قرية مجد تابع عسقلان وأسهم فى عدة قرى أخرى، ولقد توارثت أسرته أملاكه وذريته فقد كان الوقف فى يد ذريته وفقًا لوثيقة تعود للفترة العثمانية وهم محمد شهاب الدين وأخته ست البشر وست الشام ومحمد يونس ولقد تم إعادة تأكيد الوقف فى العصر العثمانى ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣م مما يؤكد استمرار أسرة الواقف فى استغلال الوقف والإقامة هناك (١٤٥).

والشهابى أحمد بن على الحاجب الذى أوقف على نفسه فى عام ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧م ، وعلى ذريته وبعد الانقراض على الحرمين ويشمل عقارات بيت فى محلة تفاح ودكان فى سوق باشورة وبستان فى سوق الغنم وبيت بدار السورة فى محلة حكر التفاح والطاحون عن غراس الكرم عن قرية بيسا بغزة وحجج الأوقاف توضح ثروته . وكيف أنها كانت ثروة طائلة شملت أملاك منوعة (١٤٦).

والحاج جمال الدين بهلوان بن الأمير شمس الدين قرا شاه ابن شمس الدين محمد الكيلانى اللاهجى المشهور بابن صاحب كيلان أوصى بابن ولده الأمير نظام الدين كهشروان بأن يصرف من ثلث ماله مائة ألف درهم فضة ويدفع ذلك إلى ابن أخى الموصى الأمير علاء الدين على بن بهاء الدين ابن سالار بن بشير ملك الكيلانى وعمر له تربة بالقدس وواضح أن هناك عائلة ذات أفرع عديدة تقيم على أرض القدس .

وقف الأمير لؤلؤ غازى عتيق الملك الأشرف شعبان بن حسن بخط مرزبان بجوار حمام علاء الدين البصير فى الشمال وكانت المدرسة موجودة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م وهي المدرسة اللؤلؤية وأقام فى القدس .

والأمير سنجر الجاولى نائب غزة مولده فى ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤م وكان من أهل العلم وله مصنفات علمية وله ترجمة فى طبقات الشافعية ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م ولقد أصبحت مدرسته فيما بعد مكانًا لنواب القدس ودرس بها كبار العلماء ، والوثائق تحمل أسماء لعدد من الأمراء المماليك توارث الأبناء على الآباء تلك الأوقاف المقدسية مما يثبت أن الأسرة ربطت نفسها بهذه الأرض وهناك ذكر لقبور كل من بكتمر بن بلفط بن عز الدين القمى ، وقبر يعقوب بن أبى بكر يعود فى الغالب إلى القرن السابع ، والثامن ويعقوب غالبًا هو ابن الأمير مجير الدين إبراهيم بن أبي ذكرى الذى قتله التتار بنابلس ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م ولمجير الدين مقامًا على سفح الجبل الشمالى لنابلس (١٤٧).

وقبور لأسرة القليجى وهى أسرة مملوكية وقبر الأمير جمال الدين أقوش القليجى فى قرية سعيد العمر فى قرية دير الغصون إلى الشمال الغربى من قرية شويكة بقضاء طولكرم توفى ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩م . وشارك فى فتح صفد ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥م وكان جمدار « وهو الذى يتصدى لإلباس السلطان » ، وقبور أسرة القلجى فى حارة الباشقردى المشهورة اليوم بحارة الباشوية وبجوار القبة ضريح لبكتمر وقد ظهر مع ضريحين آخرين لاثنين من أسرة القلجى والضريح الأول باسم بكتمر ابن بلفط بن عز الدين توفى ٧١٠هـ / ١٣١٠م ولقد أشرف على بنائه ولده فارس والمرجح أنه من خاصكية الناصر محمد بن قلاوون وأنه من جملة من قبض عليهم ، ووراء القبة فى نفس المقبرة نقش باسم سلامش بن بكتمر . وقد يكون هو الفارس الوارد اسمه فى نقش أبيه وقبة ثالثة تخص قبر خليل بن الفارس بن بكتمر فى ٧١٧ هـ / ١٣١٧م فجمعت المقبرة بين الأب بكتمر والابن الفارس سلامش وحفيده خليل فالأسرة أقامت أجيال مختلفة منها فى القدس واستوطنتها .

والأمير بركة خان قائد القوات الخوارزمية الذين استردوا القدس ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م من الصليبيين ولهذا الأمير تربة معروفة بباب السلسلة أوقف عليها الأوقاف ابنه بدر الدين فى ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م واستمرت إلى العصر العثمانى فى يد تلك الأسرة وإن كان الكاتب العثمانى الذى أعاد كتابة هذا الوقف اعتقد أن بركة امرأة وليست رجلاً ، وهناك جوهر زمام الأدر الشرعية وصاحب المدرسة الجوهرية ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م .

وهناك نساء أيضاً من الطبقة العليا عشن مع آبائهن وأزواجهن فى القدس وكانوا جزءاً من هذه الطبقة كالسيدة أوغول خاتون بنت محمد القازانية ٨٩٧هـ / ١٤٩١م ولقد أنشأت زاوية تسمى الحارثية فى منطقة ظهر الحمل تتبع القدس، وأصفهان شاه خاتون بنت الأمير محمود العثمانى ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م ، ومصر خاتون أو خديجة خاتون زوجة الأمير ناصر الدين محمد ابن القادر عاشت فى أيام الأشرف برسباى الوثيقة ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م.

هذه بعض أسماء طبقة الصفوة التى عاشت خلال العصرين الأيوبى والمملوكى واستوطنت القدس وأصبحت لها عائلات امتدت جذورها وفروعها فى الفترة العثمانية التالية وانضم إليها صفوة عثمانية ومن هؤلاء : أسرة طرباى وهناك أوقاف لهذه الأسرة فوقف الأمير طرباى على قبره فى قرية بلدة جنين .

طرباى من قبيلة بنى الحارثة التى تنتهى نسبها إلى بن طيئ فهم ذوو أصول عربية واستقرت الأسرة فى العهد المملوكى فى منطقة جنين وصفد مع فتح العثمانيين بلاد الشام

وأظهرت الأسرة الولاء للعثمانيين واعترف السلطان سليم الأول بسلطة أميرهم وعينه حاكمًا على صفد وتولى طرباى بن على حكم سنجق اللاجون فى الربع الأخير من القرن العاشر وتولى ١٠١٠هـ / ١٦٠١م والأسرة مازالت موجودة ، التقى بأبنائها المؤرخ عبد الله مخلص فى عام ١٩٤٢م(١٤٨).

وهناك أسرة جاويش فيوجد على قبر جاويش فى جنين فى مسجدها الكبير توفى ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م والجاويش لقب يطلقه العثمانيون على الحكام وكان اسم طائفة من حجاب الدواوين فى القرن العاشر والحادى عشر ، ونجد أن حاكم المدينة، مدينة القدس، ٩٤٧هـ / ١٥٤١م يسمى بيرام جاويش وإن كان العسيلى يرى أن بيرام جاويش لم يكن حاكمًا على القدس إنما متوليًا على العمارة والعمائر العامرة أى تكية خاصكى سلطان وأوقافها .

وهناك وقفية باسم بيرم جاويش بن مصطفى السباهى بلواء القدس أوقف خمسين ألف درهم عثمانى وأوقف خمسة وعشرين ألف عثمانى منها وقفًا صحيحًا شرفًا على مصالح الرباط أسفل عقبة الست وعلى مصالح المكتب خانة وهو مكتب لتعليم الأيتام ، ومحمد جاويش بن كمال بك كان حاكم لمدينة نابلس ١٠١٦/١٦٠٧-١٦٠٨م ولقد تم إنشاء وقفه فى ٩٢٢هـ / ١٥١٦م.

وهناك عائلة فاروخ عائلة شركسية ومؤسس العئلة هو الأمير فروخ بن عبد الله ولقد تولى أفرادها إمارة الحاج وموسسها كان فى الأصل من مماليك بهرام بن مصطفى باشا أخى الأمير رضوان حاكم غزة وخلفه ابنه محمد ثم ولداه على وعساف وتوليا إمارة الحج وفى نابلس والطابق الأرضى من مسجد النصر بنابلس مدفن لآل فروخ وطوقان (١٤٩).

ونجد أسماء للعديد من الأمراء الذين أوقفوا على ذريتهم وأقاموا فى القدس مثل الأمير ولى الدكزى الذى عاش فى القدس وأوقف على أولاده وذريته ٩٢٥هـ / ١٥٢٠م.

والأمير شهاب الدين على بن حسن سادوق أوقف أرض على نفسه وذريته من الذكور دون البنات وبعد الانقراض على الحرم فى ٩٤٨هـ / ١٥٤١م أوقف طاحونة بمزرعة على وادى نهر ربيصة ، وأوقف الأمير حاجى بك على زاوية براس درج المولة ويصرف على الفقراء الخلوتية المقيمين بها .

ومن العائلات الهامة التى تولت مناصب مماثلة عائلة مراد بك منها كريم ومصطفى بك .

والأمير محمد بن الأمير عبد النبى بن أبى والى كان له وقف على نصف قرية فى وقف السلطان صلاح الدين .

وكانت هناك طبقة تلى الأمراء والأشراف لها مكانتها الدينية والعلمية وفى نفس الوقت مثلت شريحة من الشرائح العليا وبعضها يندرج تحت المتوسطة وهى فئة القضاة والشيوخ والعلماء وموظفى الدولة وكان الحكام يتقربون لفئة العلماء وبعضهم أوقف عليهم الأوقاف وهؤلاء بدورهم وخاصة من تمتع منهم بمكانة أوقف الأوقاف وكانت هناك عائلات تتوارث مناصب القضاء والإفتاء ونظارة الأوقاف .

فالسلطان صلاح الدين أوقف زاوية على الشيخ الأجل الزاهد العابد المجاهد جلال الدين محمد بن أحمد جلال الدين الشامى المجاور فى بيت المقدس وبعده على من يحنو حنوه من ذريته وقد تولاها جماعة من الأعيان وبناؤها قديم ولكن تم بناء دار داخل الزاوية ومسجد يعود لسنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م . ومن القضاة من امتلكوا أراضى وعقارات وأوقفوها على ذريتهم أو مقابرهم مما يدل على أنهم عاشوا فى سعة من العيش كوقف القاضى شمس الدين الحلولى على ولده وامرأته أوقف قرية لوبارى تقع شمال غزة (١٥٠)، ووقف جمال الدين بن عفيف الدين المعروف بابن المحتسب قد أوقف قطعة أرض تعرف بالقطاطى وقطعة أرض تعرف بالدوك وأخرى بالجبل (١٥١).

والشيخ كمال الدين بن شيخ على بن مروان وله وقف ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م ووقف للشيخ برهان الدين إبراهيم بن شريف بالقدس ٩١٦هـ / ١٥٠٧م والشيخ محمد بن عمر الحلى قطب الصوفية المشهور ، ووقف الشيخ بدر الدين أبو الهدى بن أبى العون ٩٢٥ هـ / ١٥٠٢م ، وقد تكرر ذكر تلك العائلة فى تولى الوظائف الدينية .

وللشيخ أبو الهدى أوقاف على تربته فى الرملة وحوانيت فى سوق الحلوانية وقبور وخان رمان وكرم فى وقف آخر فأملاك الشيخ كما هو واضح كانت واسعة .

ووقف الشيخ سلمان فخر الدين أحمد بن عبد الرحى (ربما الرحمن) ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م(١٥٢) كذلك هناك أوقاف للشيخ عبد الكريم المكينى قطب الجامع الكبير بنابلس ووقف للشيخ شهاب الدين بن برهان الدين بن موسى يعود لعام ٩٢١هـ / ١٥١٥م والقاضى حميد أحمد الفادرى ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م والقاضى بدر الدين محمد بن يعقوب الشافعى ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م وكانت هناك أسر ترددت أسماء أبنائها فى الوثائق فى تولى الوظائف الدينية

والإدارية كأسرة العلمى ومن أفرادها الشيخ محمد عمر العلمى قطب الصوفية وكان من أبنائه عبد العمر وعبد القادر وكان لهما النظر والمشيخة على الزاوية الأسعدية وكذلك محصول قرية أشمويل ولقد أنشأ أسعد أفندى التبريزى مفتى الدولة العثمانية فى أوائل القرن الحادى عشر باسم الشيخ محمد بن عمر العلمى قطب الصوفية المتوفى ١٠٣٨هـ / ١٦٢٨م وزاوية تولاها آل العلمى . ولقد أسهمت مكانة الشيخ العلمى فى رفع مكانة أبنائه وأحفاده ولقد تولوا أمر أوقاف الخانقاه الصلاحية فأصبحوا يملكون محصول قرية شمويل ومزرعتى عين توت وبيت لحا ربما لاستحقاقها فى وقف هذه القرية والمزرعتين ، ولا تزال التولية على وقف الخانقاه الصلاحية لآل العلمي حتى اليوم .

كذلك هناك وثيقة تعود إلى ١١٩٥هـ / ١٧٨٠م ذكر اسم صالح أفندى العلمي فى وثيقة شراء خلو من آل بدير ، وكذلك أوقاف عائلة الديرى وهم عائلة من القضاة وهذه العائلة تحظى بمكانة كبيرة ونجد سلسلة من الأوقاف بأسماء أبنائها وهناك وقف لشمس الدين الديرى ولد فى ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م فى قرية يقال لها الديرما بالقرب من نابلس وعاش فى بيت المقدس واشتغل بالعلم ودرس بالمدرسة المنجكية والمعظمية الحنفية وصار من أعيان العلماء واتصل بالمؤيد شيخ ، وخلفه من أبنائه كثير من العلماء ، وعائلة بدير كان منها فقهاء وتجار . فذكرت وثيقة الحاج بدير حبيش جلبى ١١٩٩هـ / ١٧٨٤م وفى وثيقة أخرى مؤرخة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م الشيخ محمد أفندى بدير زوج ابنته لابن الشريف حسين أفندى الحسينى على مهر ألف زلطه فمن الواضح أن مكانتهم تعادل مكانة الأشراف حتى تتم الزيجة .

وكذلك عائلة أبى اللطف منها الشيخ إسحق بن عمر سراج الدين ابن أبو اللطف مفتى السادة الشافعية بالقدس والناظر على وقف المدرسة الصلاحية ولقد تولى أيضًا التدريس بالمدرسة وكان أبوه الشيخ عمر حنفيًا ولى إفتاء الحنفية فى القدس ودرس بالمدرسة العثمانية ثم تحول إلى مذهب الشافعية ١٠٣٩هـ / ١٦٢٩م ، والوثيقة هنا يعود تاريخها إلى عام ١٠٠٤هـ / ١٥٩٥م واسمه مسبوق بتقديمة طويلة توضح مكانته « مولانا شيخ الإسلام مفتى الأنام سليل المشايخ العظام حجة المتاظرين الشيخ إسحق زين الدين بن المرحوم مولانا وسيدنا شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين عين أعيان العلما العاملين إمام النحاة الأصوليين الشيخ عمر سراج الدين بن أبى اللطف » . وعائلة جلبى وورد أسماء حسن جلبى وأحمد جلبى فى الوثيقة السابقة ووردت أسماؤهم فى تدريس بأوقاف المدارس فتردد أسماء مولانا محمود

الجلبى مشارف أوقاف فى الرباط المنصورى ٩٧٥هـ ، وقف القاضى أحمد جلبى بن نصوح حاكم بلواء القدس ٩٥٢هـ / ١٥٦٧م (١٥٣)، وكذلك أسرة الشيخ محمد بن غضية وبدر الدين ابن إبراهيم بن غضية ولهم رواتب فى القدس ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م ، وعائلة الدجانى الشيخ يونس بن ولى الله أحمد دجانى فى وثيقة تعود لعام ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦م وقيامه بالقراءة فى زاوية قمامة ووقفها .

وعائلة بن جماعة اشتهرت بعلمائها نور الدين بن جماعة فى المدرسة القايتبائية والشيخ محمد بن جماعة فى المدرسة الصلاحية ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م ومحمد بن جماعة وفى المدرسة الصلاحية ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م وموسى بن جماعة فى الخانقاة الصلاحية أيضًا فى ٩٧٤هـ .

واستوطن القدس رجال صوفية لهم مكانة دفنوا فى مقبرة ماملا فى القدس فهناك قبر أبى بكر بن محمد عبد الله الجلبى الطولونى البسطامى شيخ المدرسة الطولونية ولد سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م وتوفى ٨٤٥هـ / ١٤٤١م عن عمر ٩٥ عامًا .

وبالإضافة إلى هؤلاء وجدت شريحة من الأثرياء تمثلهم طبقة التجار وكبار الملاك للأراضى والعقارات .

ومن هذه الفئة الخواجا مجد الدين عبد الغنى بن سيف الدين أبى بكر بن يوسف الأسعردى ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨م الذى أنشأ المدرسة الأسعردية على مقربة من الجاولية شمال الحرم . وهو تاجر رقيق وبعض أفراد عائلة بدير اشتغلوا بالتجارة وكان بالقدس أعداد كبيرة من كبار التجار .

والحاج حسن بن عبد الله الشربالى أوقف على نفسه مزرعة قرية مجدلا وقرية بيت لحا فى عام ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م ، وشمس الدين محمد بن الكتانى المعروف بابن عباس أوقف ٨٩٧هـ / ١٤٩١م على مصالح الحرمين الشريفين وخليل الرحمن منازل دار علوية وسفلى فى عقبة الست بالقدس وكان يعرف بالفندق الخليلى فى خط داود مع دكاكين بالإضافة إلى غراس الحاكورة ومن حجم الوقف تعرف أن الرجل كان يتمتع بثراء كبير فهو قد أوقف أراضى وفندق ودكاكين ، وبرهان الدين إبراهيم بن بدر الدين المزلق أوقف الأوقاف على ذريته وبعد الانقراض على دشيشة المحابيس بباب البريد بدمشق .

كذلك قام عبد المجيد مصطفى الشوربجى بتعمير قناة السبيل ويقع وقفه داخل باب العمود فى أول طريق البراء قرب مسجد صغير للشوربجى وكان الوقف يشمل دكاكين ونصف محله ، وأوقف عاشق تيمور قطعة أرض فى غزة على إحدى عتقائه وبعد الانقراض على الحرم

الشـريف ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م(١٥٤) وأوقفت عدد من النسـاء ممن امتلكن ثروات كالحاجـة سفرى خاتون ابنة شرف الدين أبى بكر المعروف والدها بالبارودى . على المدرسة التشتمرية . ومن حجم الأوقاف التى أوقفت سواء من الأفراد على أنفسهم وذريتهم أو على المنشآت الدينية أو العامة يتضح أن هناك عدد لا بأس به من مياسير الناس فنوعية الموقوف شمل عقارات منازل وفنادق وحمامات وأفران وحوانيت وأسواق وأقبية ومخازن وشمل أراضى زراعية وبساتين منوعة وطواحين وبعض الأوقاف شملت هذا كله مما يدل على الانتعاش الاقتصادى . وفى أحد الوثائق وتعود لعام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م صدر مرسوم برفع فريضة غير مشروعة اسمها فريضة الطرح . فريضة عينية تؤخذ من البضائع العائدة للتجار إضافة للضرائب الأخرى وكان الحكام يشعرون بأهمية مركز القدس وبذلك خففوا الضرائب عنها . وكان يستعمل لقب خواجه للتجار (الخواجكى) فذكرت وثيقة تعود ٩٥٢هـ / ١٥٤٥م أنه حضر الخواجكى السعدى محمد بن المرحوم الجناب العالى العثمانى السعدى سعد الدين الشهير بابن ربيع شيخ السادة التجار فهنا العائلة شملت رجال دين وتجار ، ولقد أشير إلي ثلاث تجار وهم شمس الدين محمد ، والخواجا أبو النصر بن شروين والخواجا أبو اللطف بن ميران أخذوا منهم ١٣ قبرصيًا « الدينار القبرصى » فى القرن العاشر يساوى ٤٠ قطعة فضية أخذها منهم محمود بلوك باشى قائد الإنكشارية للذهاب للباب العالى والتوسط برفع الضرائب.

الطبقة الدنيا :

كذلك تعكس الوثائق صورة الطبقة الدنيا وهى هنا ليست مالكة لأوقاف وإنما تعمل في دائرة تلك الأوقاف سواء كانت مؤسسات دينية وتعليمية أو أراضى زراعية أو فى الأوقاف المرتبطة بالحرف .

فنجد فى المؤسسات الدينية من مساجد ومدارس ورد أسماء وظائف كالفراش والنفطجى – وصغار العاملين بطائفة المعمار – كالنقاشين بالإضافة إلى شغال – سقاء .

وكذلك فقد ورد فى عدد الوثائق ذكر سكان القرى من صغار المزارعين العاملين فى الأوقاف ، كشكوى مزارعى قرية النبى سبلان العاملين فى الأوقاف الزراعية التى تخص وقف النبى سبلان بسبب تعدى الدروز فى القرية المجاورة عليهم ، ومن حجم الأراضى والمزارع والبساتين الموقوفة يتضح وجود قطاع كبير من المزارعين .

بالإضافة إلى عدد كبير من الحرفيين من واقع الأسواق التى أوقفت فيها أوقاف ودكاكين كالقطانين الخاص ببيع القطن وسوق الزيت ويباع به زيت الزيتون وكان من منتجات القدس الشهيرة ويصنع منه الصابون حيث ورد فى الوثائق ذكر أكثر من مصبنة ، وسوق الطباخين والرحالة كازولا وصف سوق الطباخين حيث ذكر أن أهل القدس لا يطهون فى منازلهم إنما يشترون طعامهم مطهواً من الأسواق ، وسوق العطارين حيث تباع العطارة وسوق الفخر ورد فى أكثر من وثيقة وقفية وهو نسبة إلى فخر الدين صاحب المدرسة الفخرية وبه عدد من المصابن .

ولقد ورد ذكر دكاكين فى وقفيات كثيرة ووكالات عمل بها العديد من الحرفيين وصغار التجار وهناك من عمل بالطواحين التى كثير إيقافها من قبل الطبقة الوسطى وحملت بعض الطواحين أسماء ومنهم من عمل بالحمامات والأسبلة بالإضافة إلى وجود أعداد من العبيد وورد فى عدد من الوثائق الإشارة إلى بيع عبيد نوبيين .

وفى أحدى الوثائق إشارة إلى مكان يعرف باب عقبة الحرافيش بجدار قنطرة الجبيلى . وكلمة حرافيش أوردها المقريزى عند الحديث عن الطبقة الدنيا فى مصر .

وضع المرأة من واقع وثائق الوقف :

ولقد كان للمرأة نصيب فى الأوقاف فهناك نساء من طبقات عليا ووسطى أوقفن الأوقاف سواء أراض أو عقارات ، البعض على ذريتهن والآخر على المساجد والزوايا أو تربهن وقراء القرآن بها استجلاباً للرحمة . ولقد تولت نساء نظارة الأوقاف ، وإن كانت بعض الوقفيات تقصر الوقف على الذكور دون الإناث فإن البعض الآخر أكد تواجد النساء وأوقافهن .

فهناك وقف باسم سعادات بنت سعد الدين الحاجب بتاريخ ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م وقف حصة فى قرية سلقا الى تتبع غزة حصة وثمن قيراط مزرعة خارجة بن تعمر تابع غزة (١٥٥)، ووقف أولاد خديجة بنت سويدك عن قرية عبديس وقرية عراق السويدان غزة (١٥٦)، وسعدا بنت مهدى وقف طاحون فى قرية العيلونية فى وادى ربيصة تعود لعام ٩٥٠هـ / ١٤٥٣م ووقف أسما بنت جمال الدين الشمسى « السبتى » على أولادها وذريتها ٩١٥ مزرعة الصبيرة(١٥٧)، وهناك وقف مشترك بين رجل وامرأة ورد فى الوثيقة يحيى بن حمدان والحرمة أم الخير ٩٤٦ طاحون على الربيصة فى أرض حبيش بطبرية ، ووقف عائشة الرومية وزوجها السيد محمد

الكتبى ويعود لعام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م وكانت السيدة المذكورة قد أوقفت ٩١٣هـ / ١٥٠٧م وقفًا على خمسة قراء يقرأون لها القرآن بالصخرة ، وأوقفت فاطمة بنت محمد على الكمشن على أولادها محمد وفاطمة ومن بعد ذريتهم على الحرم .

كذلك فإن ملك بنت فوطلق أوقفت الأوقاف على المدرسة المالكية بالقدس وسيدة الأشراف بنت السيد محمد أوقفت ٩٠١هـ / ١٤٩٥م على الفقراء المساكين وعلى قارئ شافعى بمدرسة أرقطاى بصفد ويهدى الثواب للواقفين للواقف بعد الانقراض على الحرم أوقفت على طاحونة تعرف بالبويصة .

وآرغون خاتون بنت محمد القازانية على زاوية الخاتونية ٨٩٧هـ / ١٤٩١م فى منطقة بطن الحمل والملاحظ أن السيدتين من أصول تركية استوطنتا القدس .

وهناك أسماء سيدات وردت فى الأوقاف مثل طاووس - زينب خاتون بروانه خاتون ، ملك خاتون بغزة ، وزليخا خاتون مستحقة وناظرة وخان سوار خاتون معتوقة للواقف ومتصرفة(١٥٨).

وهناك نساء تولين الأوقاف مثل صالحة بنت خليل كانت متولية شرعية على وقف جدها المرحوم فرزان والوقفية تعود لعام ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م وتشمل ثلاثة دور واسطبلين واقعين أسفل أحد الدور ، بخط مرزبان وتولت الوقف بعد وفاة زوجها أحمد بن صالح الفرزان فتولت الإيجار وقبض الأجور وكل ما يتعلق به من مصالح وثائق أملاك تضمن ملكية أرض وطاحون ، بل أن هناك نساء تم تعيينهم فى وظيفة قارئ قرآن فى أوقاف . فعلمية خاتونة بنت محمد أفندى أبو الفضل العلمى تنازل لها زوجها الحاج يوسف نسيبة بن الحاج على سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م - ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦م بمقتضى إقرار أمام الحاكم الشرعى وسمح لها بقراءة ما تيسر من القرآن والموقوف عليه السكن فى دار قائمة بالقدس بزقاق أولاد نسيبة بقرب باب الحديد المشتمل على منافع ومرافق وحقوق شرعية محدودة وتقع أمام الطريق السالك وغربًا كذلك وبه الباب وشرقًا المدرسة الجوهرية وفى الشمال الدار الأرغونية وذلك مقابل دفعها مائة زلطه (١٥٩). أوقف الملك المعظم عيسى على زوجته ابنة أبى قاسم ٥٩٩ قرية دير عمار تابع للقدس ، وهناك رجال أوقفوا الأوقاف على بناتهن . أوقف سيد أبو بكر وولده الشريف محمد على السيد عمر وولده عبد العزيز وحليمة وفاطمة بنتى المذكور سنة ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م فرن ومزرعة فى عكا ومزرعتين(١٦٠) فى تبنين وأوقف على بن الأمير الأبوغا عبد الله على نفسه

مدة حياته ثم من بعده على شقيقته ست الملوك . وعلى زوجته سنية وعلى من سيحدث له من الأولاد عدد من القرى (١٦١). وأوقف القاضى شمس الدين الحلولى على ولده حسن وعلى امرأته عائشة قرية لوبارى تقع شمال غزة .

ولكن أشهر أوقاف النساء كان وقف خاصكى خاتون وكانت خاصكى زوجة للسلطان العثمانى سليمان القانونى ٩٢٦-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م وكانت فى الأصل جارية اسمها الأصلى روسلانه وهى روسية الأصل Roxeiane ولقد أقامت تلك السيدة منشآت كثيرة فى كل من استنبول وادرنه ومكة والقدس وغيرها ودفنت فى جامع السليمانية فى استنبول وأهم منشآتها هى الوقفية الخاصة بمنشأة خاصكى سلطان بالقدس وهى المعروفة بالتكية وكانت هذه المنشأة من أهم المنشآت الخيرية فى القدس وفى فلسطين كلها مسجلة فى المحكمة الشرعية والمنشآت هى أربع تشمل مسجد منيف وعمارة كبيرة منها مطبخ ضخم لإطعام الفقراء وحجرات لإقامة الدراويش والعلماء ورباط خانة واسع .

ولقد شمل الوقف قرى ومزارع ، وعقارات موقوفة على هذه المنشآت التى يطلق عليها اسم التكية ، ويبلغ عدد القرى والمزارع التى أوقفت حوالى ثلاثين قرية ومزرعة فى أربعة ألوية هى لواء غزة والقدس ونابلس وطرابلس وأكثر القرى الموقوفة كانت فى ناحية الرملة بلواء غزة وكانت تضم ست عشرة قرية .

وهناك بيان شامل بأسماء جميع العاملين بالوقف واختصاصاتهم ومرتباتهم وعلى رأسهم متولى الوقف ، ولقد وردت معلومات خاصة بالمطبخ . وكميات الأطعمة وأنواعها التى تقدم فى الوجبات المختلفة وفى أوقات مختلفة كشهر رمضان وأيام الجمع والأعياد وبيان بكيفية توزيع الطعام على الموظفين والفقراء . ويحتفظ الواقف بحق الإشراف على الوقف وتلزم المتولى مراجعة ناظر الوقف المقيم فى القصر السلطانى باستنبول كل عام وتبين الخاتمة انعقاد الوقف وثبوته ولقد أضيفت إلى الوقفية أربع قرى ومزارع أوقفها السلطان سليمان القانونى على التكية بموجب الوقفية التى عقدها بعد وقفية خاصكى سلطان مباشرة وهذه المزارع والقرى كلها كانت فى لواء صيدا .

وهناك وثيقة فى وثائق مقدسية برقم ٧٥ تعطى تفاصيل معمارية عن الحمامين اللذين أمرت ببنائهما خاصكى سلطان كجزء من منشآت العمارة العامرة والتكية وثيقة الاتفاق بين بيرام متولى العمارة وبين المعماريين وتوضح مدى فخامة الحمامين . وفى وثيقة ٧٦ بإنشاء قناة

للحمامين المذكورين وهى حمام رجال وحمام نساء ولقد تضمنت دخول هذا الوقف دخل يأتى من محصول كنيسة القيامة بمدينة القدس سنة ١٠٢٠هـ / ١٦١١م وهى الرسوم الى يتم تحصيلها من الحجاج الذين يزورون الكنيسة ووظيفة القائم بالتحصيل وظيفة كاتب العمارة العامرة يشغلها شخص واحد وكذلك كان يأتيها جزء من الصرة التى تأتى من القسطنطينية ، ولقد تولى على الوقف طورغود وهو زعيم من أرباب الإقطاعات العسكرية فأشرف على تكية خاصكى سلطان وأوقف هو نفسه أوقافًا على القدس (١٦٢).

وهذه المؤسسة الهامة التى دخلت فى دائرتها كثير من الأراضى فى القدس وأكنافها جرى التفريط فيها فيما بعد من بعض حكام الدولة العثمانية ونفوذ الأجانب وقناصلهم فجرى التنازل عن أوقاف وأراض هامة لصالح فئات عديدة .

وقد استطاعت طائفة الأرمن الكاثوليك الذين تم الاعتراف بهم ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م شراء قطعة الأرض المعروفة بحمام السلطان الكائن فى حارة الواد مقابل نزل هوسبيس (النمسا) وكان الحمام كما سبق أن أوردنا قد أقيم فى القرن العاشر الهجرى بموجب حجة الوقف الذى أنشأته خاصكى سلطان ، وفى ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م أقامت الطائفة دير وكنيسة فى هذا المكان وهذا الدير هو الآن بطريركية الأرمن والكنيسة تدعى أوجاع العذراء وكانت الطائفة تتكون من أربع عائلات عدد أفرادها ٢٢ فردًا وقامت البطريركية بدفع نفقات البناء . وكان السلطان مراد الرابع أعطى براءة سلطانية ١٠٤٣هـ / ١٦٣٣م لسيدة تدعى نور الهداية خاتون بنت السيد جمال الدين كمتولية على وقف خاصكى سلطانى .

وهناك نص وثيقة وقف خاصة بسيدة تدعى فاطمة بنت محمد المغربية أوقفت عمارتها «بناء لها » بحارة المغاربة بالقدس حيث أوقفته على المغاربة بزاوية المغاربة وهى زاوية الشيخ عمر «هذا ما وقفت وحبست وسبلت وحرمت فاطمة بنت محمد بن على المغربية المدعوة المرة سعود المقيمة بالقدس الشريف ابتغاء ثواب الله تعالى وطلب الجزا . ثوابه يوم يجزى الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين ما ذكرت الواقفة أن ذلك ملكها وحوزها إلى حين الوقف وهو جميع عمارتها المستجدة بالقبو الرومانى بدارها بحارة المغاربة بالقدس الشريف حده ومن القبلة الدرب السالك ومن الشرق دار الواقفة المذكورة ومن الشام « الشمال » دار الفقراء المغاربة المقيمين بزاوية الشيخ عمر ومنه الغرب الدرب السالك بحقوق ذلك كله وما عرف به ونسب إليه

على من يسكنه من الفقراء العجائز من المغاربة سكنًا من غير الانتفاع بظهر القبو المذكور فإذا انقرضوا يجرى ذلك مجرى وقف حارة المغاربة (١٦٣).

ووثيقة تتعلق بإقرار سيدة ويبدو أنها من طبقة وسطى حيث استعمل لها لقب الست المصونة فاطمة بنت المرحوم محى الدين عثمان بن زين الدين المعروف بابن العطار الحموى زوجة المرحوم ناصر الدين محمد الحموى كانت مقيمة بالقدس هى وزوجها الذى توفى ويبدو أنها تولت الوصاية على أولادها وكان زوجها له مستحقات فى وقف المدرسة الصلاحية بالقدس وزوجها هو ناصر الدين محمد الحموى . حيث أقرت السيدة بأنها تسلمت من ابن شمس الدين بن محمد بن يحيى أمين الحكم العزيز بالقداس الشريف والجابى على وقف المدرسة الصلاحية بالقدس ثلاثمائة درهم وخمسة وسبعين نصفها مائة درهم وسبعة وثمانون درهمًا ونصف درهم ما هو معروف لأولادها من ناصر الدين وهم عمرو وأبى بكر وسلما وسارة عن شهر رجب ثم مات ابنها أبو بكر ولقد قبض ثلاثة شهور وذلك سنة ٧٨٩هـ / ١٣٨١م (١٦٤).

ووثيقة خاصة بسيدة تسمى شيرين زوجة المرحوم برهان الدين إبراهيم الناصرى بالقدس ويبدو أنها كانت مسئولة عن أولادها وتسلمت من أمين الحكم الشافعى وهو المسئول عن رعاية شؤون الأيتام فى المحكمة مائة وسبعون درهمًا ويبدو أنها قامت بالوصاية على أولادها حيث ذكر أنه قرض ولديها محمد وعلى اللذين فى حضانتها (١٦٥).

وكانت هناك نساء من أصول مختلفة ، فهناك حصر إرث بالنسبة لإمرأة تدعى دلشاد بنت سلطان شاه بن عبد الله العجمية كانت زوجة للصدر الأول المعلم بهرام وكما أوضح العسيلى أنه كان من المساتير من الناس فهى من أصل فارسى . وحصر إرث خاص بامرأة تدعى زليخا بنت الحاج خضر العنتابية المقيمة بالقدس بحارة المشارفة بدار وقف الشيخ عبد الله البساطى وعينتاب جنوبى تركيا وتعرف اليوم غازى عينتاب .

ولقد كان هناك أربطة للنساء ولقد أوقفت عليها الأوقاف ولقد عاشت فيها أرامل ومطلقات ، فالأمير الدكز أوقف على مدرسته وعلى رباط النساء فى القدس ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م والأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الناصرى نائب السلطنة فى الشام ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م والذى أقام عدة منشآت دينية كالمسجد والمدرسة ورباط للنساء وهى وقفية مثبتة فى السجل ٩٢ ومؤرخة فى ١٠٢٠هـ / ١٦١١م من سجلات المحكمة الشرعية فى القدس . ولقد أوقف الواقف الرباط

على اثنتى عشرة امرأة مسلمة دينة خيرة صالحة عجائز خاليات عن الأزواج فقيرات ومقيمات فى الرباط المذكور تكون أحداهن شيخة لهن ، وأخرى قيمة للرباط المذكور وبوابة على الفقيرات الواردات إلى هذا الرباط وعلى الشيخة المشار إليها أن تأمهن فى الصلوات الخمس وفى صلوات التراويح فى ليالى شهر رمضان المعظم منه كل سنة وعلى القيمة البوابة فرش الرباط المذكور كما - تقدم فى حق بواب المدرسة المذكورة وإيقاد مصابيحه وطفيها وعليهم أجمعين أن يجتمعن فى أحد ديوانى الرباط المشار إليه بعد صلاة الصبح فى كل يوم ويقرأن من سورة الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب ثم يذكرن الله ويصلين على محمد ﷺ ثم تدعو شيختهن كدعاء المدرس المقدم وحكمهن فى الغيبة كما تقدم فى غيبة غيرهن ويفرش رباط النساء المذكور بالحصر والبسط وتنوير ذلك جميعه على العادة فى مثل ذلك كله ويبتاع فى كل سنة خمسين درهمًا فضة من المتعامل بها شمعًا برسم صلاة التراويح وبخوراً من الطيب يبخر به المسجد . ويصرف ناظر الوقف إلى شيخة رباط النساء فى كل شهر من الشهور عشرين دراهم فضة . وفى كل يوم من الأيام نصف رطل من الخبز وإلى القيمة البوابة بالرباط المذكور فى كل شهر من الشهور عشرة دراهم فضة فى كل يوم من الأيام نصف رطل من الخبز وإلى كل واحد من الفقيرات العجائز العشرة فى كل شهر من الشهور سبعة دراهم ونصف درهم وفى كل يوم من الأيام ثلث رطل من الخبز ويقتصر فى ذلك على عشر من الواردات إلى الرباط المذكور من غير زيادة عددهن ويقدم الواردات الفقيرات الغريبات على الفقيرات من أهل القدس وكذلك فى النساء المرتبات فى الرباط المذكور ومن اختارت من عتيقات الواقف المسمى أن تكون فى رباط النساء المذكور . فيرتبها الناظر من جملتهن بالمعلوم والجراية وتكون مقدمة على غيرها من الأجانب المرتبات فيه » (١٦٦). كذلك تضمن وقف الشيخ برهان الدين إبراهيم بن شريف المقدسى . الإشارة إلى صرف للأرامل المنقطعين بالرباط والقدس الشريف كل سنة من القمح غرارة بالكيل المقدسى (١٦٧).

وكانت المرأة لا تتغاضى عن حقوقها القانونية فى أوقافها وأرضها فيلجأون إلى القضاء فغالية بنت عثمان بن ثعلب رفعت شكوى للقاضى شرف الدين تريد استعادة حقها فى ممتلكت أمها اغتصبها أخوها ، وامرأة مطلقة رفعت دعوى فى ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م تدعى على زوجها السابق بألف درهم وكسوة ومتعة الطلاق فحكم لها بثلاثمائة درهم وحكم فيها مفتى المسلمين غانم الأنصارى ولقد اشتغلت المرأة بأعمال عديدة مثل الإنشاد فى الموالد والمناسبات والقبالة

وبعضهن اشتغل بالعلم وتدريس البنات ولقد ظهرت نساء حظين بشهرة علمية فى عصر المماليك فى مجال الحديث كأسماء بنت الحافظ صلاح الدين خليل بن قلانسى سنة ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م وكانت قد سمعت عن والدها وغيره ، وأمنة بنت العلامة تقى الدين إسماعيل وغيرهن .

الأسر المقدسية :

مما يؤكد عمق التواجد العربى على أرض فلسطين هذه الأسر المقدسية العريقة التى تضرب بجذورها فى الماضى مادة بفروعها إلى الحاضر ولقد تولت هذه الأسر الوظائف الإدارية وبعضها انتسب إلى أسر عسكرية وبعضها تولى الوظائف الدينية والعلمية ، ومازالت بعض هذه الأسر تعيش على أرض فلسطين وتتولى وظائف إدارية وعلمية ولها مكانتها كأسرة العلمى والدجاني والخالدى ولقد حدثت منافسات بين الأسر المقدسية على المناصب الكبرى كالقضاء والإفتاء والإمامة بل أيضًا بين الأسر الشريفة كأسرة الحسينى على نقابة الأشراف، كما تذكر وثائق الأوقاف ، وبعضهم ربطت بينهم أواصر المصاهرة كأسرة البدير والدجانى . ومن الأسر المقدسية أسرة الهكارية وينتسبون إلى أحمد بن أبى بكر الهكارى قائد صلاح الدين الذى أوقف عليه الأوقاف كذلك أوقف الملك العادل أبو بكر بن أيوب على الحاجب الهكارى مادام مرابطًا بالقدس ثم على أولاده ونوبه ماداموا مرابطين بالقدس ثم بعد الانقراض على المسلمين بالقدس أوقف مزرعتين فى دير زيت ودير حازم ولقد وقف هؤلاء بدورهم الأوقاف على المؤسسات الدينية وعلى أبنائهم وأكثر من وثيقة وقفية تشير إلى أفراد هذا البيت فى عصور مختلفة ، فهناك كما ذكرنا الإمام الزاهد أحمد بن أبى بكر والأمير بدر الدين الهكارى من كبار المجاهدين فى الحروب الصليبية ٦١٤هـ / ١٢١٧م أنشأ المدرسة الهكارية فى القدس ، وقف شرف الدين عيسى وهو من المجاهدين دار الحديث ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧م وكان الوقف يضم عدة قرى فى شمال القدس لفتا ووقف على الهكارى على قرية دير يزيد ودير حازم . ووقف سيف الدين عثمان الحسن بن أبى القاسم الهكارى تاريخ الوقف ٧٥١هـ / ١٣٥٠م ، وأوقاف محمد أبى القاسم الهكارى ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م وظهر من العائلة ، علماء كدرياس الهكارى (١٦٨).

عائلة الدوندارى وهى أسرة كان لها الصدارة العلمية فى بيت المقدس قدمت كثير من العلماء وتوارث أبناؤها عبر أجيال أوقاف عديدة وشملت رجال ونساء تكررت أسماؤهم فى الوثائق .

وقف العلائى على بن سنان الدين أحمد بن الفارس الشهير بابن الدوندارى وكانت له طاحونة فى أرض قرية ملاحة على النهر ٨١١هـ / ١٤٠٨م .

ووقف باسم ابنه غالب محمود بن العلائى الدوندارى ثلاث بثلاث قرى أم حصر وأم جمعة والقياطية ٨١٨هـ / ١٤١٥م وحفيد لهم هو علاء الدين بن محمد بن محمود الدوندارى وأخيه محمود أوقفا على أنفسهما ثم على أولادها ونسلهما وعقبهما بعد انقراض ذيرتهما على أخواتهما خديجة وبدرية وسعادات ثم على ذريتهم فإذا انقرضوا على فقراء الحرمين وهناك وقف باسم فاطمة بنت ناصر بن محمد بن دوندارى .

ووقف إبراهيم بن الدوندارى على نفسه وذريته والوقف مع أخرين لطيفة وأولاد ابن اختهما وبعد الانقراض على الحرم النبى غراس زيتون فى الرملة قطعة أرض تعرف بكرم إبراهيم الدوندارى .

عائلة على بن عليم بن محمد بن يوسف عبد الرحمن بن السيد الجليل الصحابى عبد الله بن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب وضريح بن عليل بشاطئ البحر المالح بساحل أرسوف توفى ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م وزار قبره الظاهر بيبرس وتسميه الناس الحرم . ويطعم زواره الرز وفى كل سنة وله موسم زمن الصيف يقصده الناس ويجتمع هناك خلق لا يحصى .

عائلة العلمى الشيخ محمد بن عمر العلمى الصوفى مكانته أسهمت فى رفع شأنه أولاده ولقد تولى ولداه الشيخ عبد الصمد وعبد القادر وتولت هذه العائلة المناصب الإدارية والقضائية وتولى الخانقاه الأسعدية والخانقاه الصلاحية وأوقاف عديدة فى القدس وتشمل قرية شمويل ومزرعة عين نور وبيت لحا ومازال التولية لآل العلمى على الخانقاه وترددت أسماؤهم فى رئاسة أعمال بلدية القدس فى العصر الحديث .

عائلة الديرى قاضى القضاة وشيخ الإسلام شمس الدين ابن عبد الله محمد بن الديرى شيخ وإمام وعالم استوطن بيت المقدس واشتغل بالعلم وتولى مشيخة المدرسة المنجكية ودرس بالمعظمية الحنفية وصار من أعيان العلماء واتصل بالملك مؤيد شيخ وقاضى القضاة ناصر الدين ابن العديم وولى قضاء الديار المصرية وهو أول الرؤساء من بيت الديرى حضر إلى بيت المقدس ٨٢٧هـ / ١٤٢٣م وكان من هذه العائلة أفراد عديدين أوقفوا الأوقاف واشتغلوا بالعلم.

الخـــالدى : أسرة اشتغلت بالوظائف الإدارية وكان منصب كاتب المحكمة الشرعية من المناصب التى شغلوها ولقد عزل على الخالدى فى وثيقة ١٢٠٤ / ١٧٨٩ وحل محله محمد على الخالدى وخلفه أبنائه ولقد ظل اسم الخالدى فى وظائف البلديات فى العصر الحديث مثل ياسين الخالدى (١٦٩).

أسـرة طرباى : من قبيلة بن الحارثة التى ينتهى نسبها إلى بنى طىء واستقرت فى العهد المملوكى فى منطقة جنين فى صفد وحين فتح العثمانيون بلاد الشام أظهرت الولاء لهم ولقد عين السلطان سليم الأول أميرهم حاكمًا على صفد . وتولى طرباى بن على حكم سنجق اللجون فى الربع الأخير من القرن العاشر ١٠١٠هـ / ١٦٠١م واللجون مقاطعة تابعة لولاية الشام وقاعدتها قرية اللجون وهى الحد الفاصل بين جند الأردن وجند فلسطين وهذه القرية كانت تتبع إلى عام ١٩٤٢ جنين وهى مأهولة وتقع بين حيفا وجنين ويذكر عبد الغنى النابلسى إنه رأى مدافن الأمراء من بيت طرباى الذى كانت جنين فى أيديهم سابقًا وهناك مقام الشيخ عز الدين والشيخ محمد الرفاعى ويرى العسيلى أن كلمة طرباى ترجمتها أمير الوادى وكان هذا اللقب يطلق على أمراء الإقطاع (١٧٠).

عـائلة الدجـانى : من العائلات المعروفة وتردد أسماء عدد من أبنائها وكانوا يحصلون على العادة المعتادة التى تقدمها الطوائف غير الإسلامية كذلك ورد اسم عبد الله الدجانى بن صفى الدجانى فى تنازل على العادة المعتادة إلى خليل الدجانى وتعود ١٢٠٤/١٧٨٩م وأحفادهم مازالوا فى القدس عارف باشا عارف الدجانى من رؤساء البلدية ١٩١٤ - ١٩١٧م (١٧١).

عائلة الحسينى : هى عائلة من الأشراف وشغل أبنائها وظيفة الإفتاء ونقابة الأشراف ولقد دخلت فى صراعات ومنافسة مع العائلات الأخرى وكان لهذه العائلة وكلاء فى استانبول وقد عزل عبد الله بن عبد اللطيف الحسينى من نقابة الأشراف وتولى ابنه بعده وأخوه على التوالى نقابة الأشراف ولديهم أوقاف عديدة .

آل مـــراد : من العائلات المعروفة فى العصر العثمانى ولقد ورد ذكر العائلة فى أكثر من وثيقة، وعائلة مراد استقرت فى القدس من القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى . ولقد ورد ذكر الحاج مراد أميرلاى بالقدس وابنه فى خلاف بين اثنين من أبنائها على العادة المعتادة.

أسـرة الكيـلانى : ومن الواضح أن هناك أجيال تعاقبت من هؤلاء والأمراء على الإقامة فى القدس حيث تذكر الوقفية أن الحاج جمال الدين بهلوان بن الأمير شمس الدين خراشاه بن

شمس الدين محمد الكيلانى اللاهجى المشهور بابن صاحب كيلان وأقام التربة الكيلانية وبنى ضريحه وهناك أسرة كاملة لهذا الأمير من أبناء أخوه .

عائلة أبي السعود : تنازل الشيخ عبد الباسط الأسعردى فى عام ٩٨٤هـ / ١٥٧٦م عن وظيفة التولية على وقف الخانقاه الفخرية بالقدس وهذه على الأرجح هى بداية لتولية آل أبى السعود على المشيخة الفخرية « زاوية أبو السعود » الشيخ أبو السعود هذا هو جد العائلة المعروف بهذا الاسم فى القدس ويعرف بأبى السعود ابن سليمان الشهير بالداودى نسبة إلى جده داود .

بنو كيكلدى : رأس الأسرة صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدى بن عبد الله العلائى (٧٦١هـ / ١٣٥٩م) ورثت عنه ذريته العلم (١٧٢).

بنو القرقشندى : رأس الأسرة القرقشندى تولوا عدد من المناصب الهامة فى بيت المقدس طوال عصر سلاطين المماليك منها الإنشا والتدريس وكان لهم ولع بعلم الحديث .

بنو جماعة : مؤسس الأسرة الشيخ برهان أبو إسحق إبراهيم بن أبى الفضل سعد الله بن جماعة ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م الأسرة من القضاة والعلماء ودرسوا الفقه والحديث بوجه خاص ولقد ورد أكثر من اسم من علماء الأسرة مثل محمد العفيفى ابن جماعة ونور الدين بن برهان الدين بن جماعة وموسى بن جماعة من علماء الخانقاه الصلاحية وعبد الحق بن جماعة فى الرباط المنصورى .

عائلة بدير : ويرى البعض أن نزوح العائلة من المغرب أصلاً ولقد ورد اسمه فى عديد من وثائق الوقف ، ويرى العسيلى أنه ربما كان عالم القدس محمد بن بدير المعروف بحبيش من عائلة البدير بالقدس الآن فهناك وقف باسم التاجر محمد بن حسن بن بدير اشترى لنفسه حصة فى دار بمحلة بنى حارث مقابل قلعة قدس وكذلك فى حاكورة صهريج مجاور لها (١١٠٦هـ / ١٦٩٤م) بدير حبيش جليى اشترى خلو معصره الخلو هو حق الانتفاع بالوقف مقابل المال الذى دفعه لأجل عمارة الوقف ويكون لصاحب الخلو حق القرار فى العقار فالأسرة بها علماء وتجار وتزوج الشيخ حسن أفندى الحسينى المفتى من الأشراف بابنة محمد بدير القدسى ١١٩٩/ ١٧٨٤م (١٧٣).

بنو غـانم : يرجع نسب هذه الأسرة إلى الشيخ غانم المقدسى شيخ الخانقاه الصلاحية بالقدس زمن صلاح الدين الأيوبى وقد كان منهم كثيراً ممن تولى الوظائف الدينية الهامة فى بيت المقدس حيث تولى منهم مشيخة الحرم جماعة يزيدون عن العشرين طوال عصر سلاطين المماليك .

عائلة المغربى : صدرت براءتا تعيين (وثيقة زمانى) تخص عائلة المغربى فى القدس مما يثبت استمرار سكن المغاربة للقدس وكيف استوطنتها تلك العائلات واستمر تواجدها للعصر الحالى وعثر على الوثيقتين مصطفى راتب المغربى ، وهما موجهتان إلى جد مصطفى المغربى كان من جهته رئيساً لفرع من عائلة المغربى هاجر منها إلى فلسطين فى القرن السابع عشر الميلادى (الحادى عشر الهجرى) ويورد اسطفان حنا شجرة نسب لابن المغربى يظهر فيها الحاج إسماعيل أغا وهو ابن محمد بن إبراهيم بن الشريف أحمد الحسنى المراكشى وأواسط القرن السابع عشر ، وأن الحاج إسماعيل خلف ستة أبناء لم يعقبوا باستثناء واحد منهم هو حسن الذى خلف بدوره ، ولدين هما إبراهيم وموسى وقد خلف موسى ولداً هو حسين الذى ترك ثلاث بنات أما إبراهيم فقد خلف ولداً هو مصطفى الذى بدوره خلف عشرة من الأبناء والبنات – هم إبراهيم ومحمد ونجيب وحسنين وأحمد وفاطمة ومحمد وخضر ورفقة وسعيد ، ويذكر اسطفان حنا أن هناك أربع عائلات تدعى كل منها عائلة المغربى فى القدس ولا تربط بينها أية صلة قرابة ولقد استقر أجدادهم فى المدينة من القرن السادس عشر والسابع عشر بعد عودتهم من أداء فريضة الحج إلى مكة وترجع بعض العائلات منها إلى بعض العائلات المعروفة مثل عائلتى الحسنى والأشراف فى المغرب (١٧٤).

عائلة بنات حامد : وكان رجال الأسرة يتولون القضاء فى صفد والقدس ، تزوج نائب صفد موسى بن أقطاى من واحدة من بنات حامد الرجل الصفدى وقد أنجبت العائلة عدداً من العلماء فى القرنين التاسع والعاشر الهجرى وقد وصف الحسن بن محمد البورينتى فى تراجم الأعيان من أنباء الزمان عائلة حامد عائلة علمية : يقال عليها (بيت رفع الله دعائمه وأعلى بالعلم معالمه ولهم التقدم فى حديث المكارم) (١٧٥).

أسـرة القلجى : بكتمر وابنه سلامش القلجى « الفارس » وحفيده خليل وللعائلة مقبرة مشتركة .

عائلة مصطفى المهتدى : اهتدى إلى الإسلام فى القرن الثامن عشر الميلادى وكان فى الأصل أرمينيًا وأبوه يدعى مياكان وأخوه كيوك كيفورد وأمه سارة بنت وانيس وقد رفع دعوى ضد أخوته يطالب بحقه فى تركة له (١٢٠٥هـ / ١٧٩١م) ويرى العسيلى أنه ربما جد العائلة المهتدى المعروفة بالقدس .

الأوقاف والخدمات العامة :

ولقد ساهمت الأوقاف فى تقديم الخدمات العامة التى تقع على عاتق الدولة فى العصر الحديث وتولت أمور مدنية ومحليات من إنشاء مستشفيات وحمامات عامة والإنفاق على الفقراء وإنشاء مكاتب لتعليم الأيتام ، وإنشاء أسبلة وترميم منشآت ، وفى وثائق الوقف كان الواقف عادة يوقف على ذريته وإذا انقرضوا يوقف على مصالح البيمارستان النورى فى دمشق فإنفاق دخل الأوقاف على المنافع العامة كان معروفًا فى الشام .

وفى القدس كان من أول من أوقف على المنافع العامة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى بإنشاء بيمارستانه فى القدس وإن كان ناصر خسرو قد أشار لإنشاء الفاطميين لبيمارستان وإيقاف الأوقاف عليه ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م وهذا المستشفى ومسجد الجمعة على حافة وادى وقد أوقف السلطان صلاح الدين على بيمارستانه قرية سلوان وعدداً من الأسواق والمخازن ومعاصر ومراكز صهريج ومزرعة وغراس ودكاكين وأفران وهناك مجموعة من الوثائق ترجع للعصر العثمانى مرتبطة به وتحمل أرقام ٦٥ إلى ٧١ - وثائق مقدسية ترجع لسنوات ١١٠٥ هـ - ١٢٠٣ هـ - ١٢٠٥هـ . وقد تم تعيين السيد وفا أفندى علم زادة على نصف وظيفة جراح وحكيم باشا بالبيمارستان الصلاحى بأجر قده عثمانيان وتعيينه مكان السيد أسعد جلبى والسيد خليل جلبى ولدى المرحوم السيد أحمد الداودى فى وظيفة الكلارجية « بيت المؤونة » (الكلارجى) هو المسئول عنه (١٧٦). ووظيفة الشربتجية « المسئول عن الأشربة والأدوية فى البيمارستان » الذى تولياه بمقتضى تنازل من الشيخ عبد الصمد العلمى بموجب تقرير شرعى عن ١١٩٢هـ / ١٦٨١م ، كذلك وردت فى الوثائق وظيفة القراءة فى البيمارستان الصلاح بالقدس حيث تولى الشيخ عبد الرحيم والشيخ على ولدى المرحوم قدوة العلماء الشيخ عمر العليمى وظيفة قراءة سورة ياسين فى كل يوم خميس ويوم الاثنين بالبيمارستان الصلاحى الكائن بالقدس الشريف وإهداء الثواب للسلطان صلاح الدين . ووفقًا للوثائق السابقة فهناك العديد من الوظائف مرتبطة بالبيمارستان وكانوا يحصلون على

مرتباتهم من الوقف . وكان رئيس الأطباء فى الفترة العثمانية الذى أعاد تسجيل أو تأكيد بيانات الوقف بمدينة القدس الحاج مصلح جلبى بن الحاج محى الدين سليمان الذى تولى وظيفة التولية على وقف البيمارستان الصلاحى بدلاً عن على وعبد الرحيم لعدم تقيدهما بمصالح الوقف . وكان وقف البيمارستان الصلاحى فى هذه الفترة يشمل جميع الأراضى الواقعة بأرض البقعة بظاهر القدس الشهير بكرم الترهى المحدودة وشرقًا وادى فشفش وقبله كرم الخليلى وشمالاً كرم نصرة وغربًا الطريق السلطانى القديم (١٧٧).

والبيمارستان الصلاحى كان يوجد فى حارة بالقدس تسمى الدباغة والبيمارستان قد أدركه الخراب كغيره نتيجة الآثار التى حدثت فى زلزلة ٨٦٢هـ / ١٤٥٨م . أما عن أصل البيمارستان فالعماد الأصفهانى ذكر أنه اتخذ دار الأسقف بيمارستانًا للمرضى ، ابن واصل جعل الكنيسة التى فى شارع قمامة هى البيمارستان ، ويشير مجير الدين أنه جعل الكنيسة المجاورة لدار الاستبار بقرب قمامة بيمارستان للمرضى ووقف عليه مواضع ، ووضع ما يحتاج من الأدوية والعقاقير وفوض النظر والقضاء فى هذا الوقت إلى القاضى بهاء الدين يوسف رافع بن تميم المشهور بعلمه وكفاءته وفى الفترة العثمانية تم حكر بعض أراضيه وحدث خلاف على حكر فى أرض البيمارستان من متولى الوقف فى العصر العثمانى حيث اختلف الورثة وتولى وفا أفندى العلمى الفصل فى الخلاف والحكم بترميم المكان . ولم يكن إنشاء البيمارستانات قاصراً على السلطان ، بل اهتم الأمراء وكبار موظفى الدولة بإنشاء البيمارستانات ، فناظر الجيش محمد بن فضل الله القبطى الذى أسلم وتسمى محمداً ، بنى عدة مساجد وعدة أحواض تسقى الماء فى الطرقات وله مارستان بالرملة وآخر بنابلس من أعمال فلسطين واتصل بخدمة الناصر محمد بن قلاوون ٨٧٣هـ / ١٣٣٢م ، كذلك تمت الإشارة إلى أن الأمير تنكز نائب السلطنة فى عهد الناصر محمد أقام وعمر حمامين بباب القطانين أحد أبواب المسجد الأقصى وبالنسبة للحمامين هناك قبلى والغربى وهما متجاورين بمدينة القدس الشريف بوادى الطواحين « فالقبلى منهما يغلق عليه بابه تدخل منه إلي مشلح فيه مساطب مستديرة به مبنية بالحجر وفيه بركة الماء البارد مرخمة هى وما حولها وأرض المشلح المذكور بالرخام الملون وفى غرب المشلح روشن يصعد إليه بسلم صخر وفى شرقيه ثلاث شبابيك حديد بأبواب مطلة إلى الجنينة التى فيها أشجار ونارنج وورود هذه الجنينة مضافة إلى هذا الحمام ، وأرض جميع هذا الحمام ومقاصده مرخم ذلك جميعه بالرخام الملون

وتصل بهذا الحمام أقميمة وفيه آلته المتخذة لمائه وفى هذا الأقمين مصنع يجرى الماء ويتقسم الماء بينه وبين الحمام الغربى من الحمامين المذكورين وهو الصغير منهما . وحق هذين الحمامين من قناة تعرف بالعروب وهو حق واجب معلوم حد هذين الحمامين من القبلة ومنه الشمال الطريق السالك إلى الحرم الشريف من باب يعرف بباب السقاية وفيه يفتح باب الحمام الغربى أيضاً، ومن الغرب الطريق السالك من وادى الطواحين إلى البركة الواصل إليها الماء من قناة العروب وفيه يفتح باب الحمام الكبير ومتجمع الطهارة التى أنشأها الواقف وهى بالقرب من ذلك ويغلق عليها باب خاص وتشتمل على سبعة بيوت أحدها مستحم وبها حوض حجر ولكل بيت منها جرن صخر ويجرى الماء إلى ذلك بحق واجب معلوم من قناة العروب(١٧٨)، وفائض مياه هذه الطهارة تنصرف إلى قناة الوسخ المذكور ، ولا تؤجر الحمامات فى عقد أكثر من سنة واحدة ولايؤجر ذلك منه مفلس ولا عاطل ولا متشرد ولا متجول ولا لمن يعلم أنه يستأجره لمن هذه صفته والنظر فى هذا الوقف والولاية عليه لمولانا ملك الأمراء » .

وهناك العديد من الحمامات كحمام منجك المعروف بالجديد فى صفد فى قلعة قديمة وحمام معروف بالتنوره فى وقف شخص يسمى صوباشى فى وقفية قورقماز أمير كبير على تربته . والحمام ليس من أوقاف الجامع إنما لأجل الوضوء ، وفى وقف الخانقاه الصلاحية أشير إلى حمام البطرق فى وقف بدر الدين بن جمال الدين الفقيه ٩٢٨هـ / ١٥٢٧م ذكر حمام الدوكرى فى حارة الوطاه .

والحمام المعروف فى وقف علاء الدين البصير ، كذلك الحمامين الذين خصصتهما خاصكى سلطان فى وقفيتها هى وزوجها السلطان سليمان القانونى إحدهما للرجال والآخر للنساء ولقد أخذ الأرمن الحمام من السلطان العثمانى وتحول إلى بطريركية .

ولقد اهتم الحكام المسلمون بالأسبلة والقنوات فقناة السبيل ذكرها المقدسى ، وناصر خسرو ٧٣٤هـ / ١٠٤٥م واهتم بتعميرها الفاطميون والأيوبيون فى عهد السلطان صلاح الدين والعادل .

ونفس الأمر بالنسبة سلاطين عصر المماليك كالظاهر بيبرس ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م، والناصر محمد ٧٢١هـ / ١٣٢١م الملك الظاهر برقوق ٧٨٤هـ / ١٣٨٥م والملك الظاهر خشقدم ٨١٣هـ / ١٤١٠م والملك الأشرف قايتباى ٨٨٥هـ / ١٤٩٣م ثم أعيد تعميرها فى زمن السلطان سليمان القانونى ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م والسلطان مراد الرابع ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م ، وأقام

الأشرف إينال سبيلاً ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م وهو السبيل القائم بين المطهرة ومسجد الصخرة والمعروف بسبيل قايتباى لأنه جدد عمارته والوثيقة ٥٨ وثائق مقدسية تتعلق بقيام المماليك والعثمانيون بتعمير قناة السبيل وحراستها .

وكانت القناة تتعرض للخراب بسبب العربان ولكنها كانت تعمر باستمرار وكان الأهالى مكلفين برعايتها فى القرى التى تمر بها أو بحذائها كما فى وثائق العصر العثمانى .

ووقف سبيل الشوربجى (الجورجى) يقع الوقف داخل باب العمود فى أول طريق البراق قرب مسجد صغير يدعى مسجد الشوربجى وتاريخ إنشاء السبيل مكتوب عليه وهو ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م ، ومؤسس السبيل والمسجد هو عبد الكريم مصطفى الشوربجى أوقف عليه جميع الحاصل بباب العمود الذى « كان قهوة ودكاكين ويصف بالمحلة مسكن رجلين وشركة وقف الصخرة ١١٠٦هـ / ١٦٩٤م» ، ووثيقة أخرى تشير إلى تخريب السبيل التى يمر مائها إلى القدس الشريف والمسجد الأقصى من برك المرجيع وانقطاع ماؤها أربع سنوات حتى أصبح الزوار الذين يأتون إلى المسجد الأقصى لا يجدون ماء للوضوء لخلو الماء فى السنة السابقة والتى قبلها وكانت عمارتها تحتاج إلى عشرة أكياس ذهب وأشارت الوثيقة إلى أنه تم حفظها وحراستها بمقتضى الحجج الشرعية على تلك القرى التى ذكرنا(١٨٠).

وكانت مسئولية تنفيذ الاتفاق الخاص بالحراسة على شيوخ القرى التى تمر بها ؛ وضم مسلمين ومسيحيين : معالى بن قفالى شيخ قرية بيت لحم وياقوت الذمى شيخ نصارى بيت لحم وبركات بن بريك شيخ قرية صور باهر وسلامة بن عودة شيخ قرية أرطاس ... إلخ .

وكفلوا بذلك بالنيابة عن بقية الأهالى ؛ وحدد أماكن كل مجموعة من الأهالى القائمين بالحراسة .

وهناك وقف يرجع للعصر العثمانى لشخص يدعى رمضان بن إلياس ، على تربته وسبيل الماء وقراء القرآن فى المسجد العمرى . وكان هناك أوقاف على خانات على الطريق التجارى الذى يربط بين مصر والقدس . خان الظاهر بيبرس بناه (٦٦١هـ / ١٢٦٢م) . فقد ذكر المقريزى أن السلطان أمر ببناء خان خارج السلك ونقل إليه من القاهرة باب النصر ، المعروف بباب العبيد . ويبدو إنه تم تم فى عام واحد فى صفر ٦٦٢هـ / ١٢٢٥م كتاب وقف الخان .

ولقد أوقفت الأوقاف على الفقراء والمرضى والمجنومين ومن فى الأحباس ؛ فشمس الدين المزلق أوقف على أولاده وعلى مطبخ الدشيشة فى باب البريد للمحابيس فى الشام بقرب الجامع الأموى ؛ فإن تعذر ذلك يصرف إلى طائفة الجذما بالشام . والجذما من هو مقطوع اليد والأصبع – والدشيشة نوع من البرغل يوزع على الفقراء .

كذلك أوقف الدونداري علاء الدين محمد على أولاده بعد انقراض ذريتهم على الفقراء وجزء من المسجونين في سجن صفد .

الفصل الثالث
الحياة العلمية وفقًا للأوقاف

لقد ساهمت الأوقاف فى نهضة علمية ودينية وشاملة ؛ فجاء إلى القدس المسلمون من جميع أنحاء العالم الإسلامى ؛ وبدأ البعض حجهم من هناك . كما جاءت إلى القدس جنسيات مختلفة من عراقيين ومغاربة وهنود وأتراك وتركمان . وبعضهم استقر وكون أسر استقرت وعاشت هناك . وهؤلاء اشتغل العديد منهم بالعلوم والفقه والقضاء . ولقد أعانهم على ذلك ما أوقفه الملوك والأمراء والقضاة والأثرياء من أوقاف على المدارس والجوامع والتى اتخذت كحلقات دراسة، وعلى مكاتب تعليم الأطفال والخنقاوات للصوفية .

وهى توضح أعداد وأسماء الفقهاء والعلماء وطلبة العلم ، وكانت كل مؤسسة وقفية تشمل خدمات عديدة فإلى جانب الوظائف الدينية قامت بتشغيل أيدى عاملة ؛ بالإضافة إلى طائفة العمار مما أدى إلى انتعاش الحياة الاقتصادية .

الوظائف فى الوقف :

هناك قائمة بوظائف وردت فى وقفيات المدارس والمؤسسات التعليمية :

مدرس نصف ناظر ونصف شيخ – جابى – متولى قارئ قرآن – ناظر وقف – قارئ ما تيسر مدرس مدرسة – مشارف نائب ناظر – إمام – مشدد مفتش شد الدواوين – ناظر وشيخ بلا تعيين – بواب – فقيه مدرسة – كاتب وقف – جابى – مدرس – فراش – صيدلجى – قارئ جزء – سامع جزء – بواب شيخ مؤذن – عامل . « وبعضهم يجمع بين عدة وظائف ناظر وشيخ وفراش » ، نفطجى ، معلم أولاد – شعال مكتب – عامل مدرس – إمام مدرسة – شيخ مدرسة – جابى وقف – معيد – قارئ سبع – فقيه – ناظر مدرسة – متصرف فى وظيفة بالوقف – مفرق – معلم أولاد – معتمد – معمار زاوية – خادم مكتب – متولى أوقاف المصريين – مشارف أوقاف – سقا مدرسة – حافظ أجزاء – جهة عمالية – كاتب مرمات زبدارية – متولى شئون الأيتام – معماريين – الخوجة – أمين المحكمة – نظر الحرمين الشريفين القدس والخليل – نقاش – طبيب وجراح – كلارجى – شربتجى .

فلقد حرص المماليك على إقامة المنشآت الدينية لنفى ما أثير حول أصولهم الأولى ؛ وغالبية من أقام تلك الأوقاف كان مقيماً بالقدس وأنشأ بها مؤسسات دينية وعلمية فى نفس الوقت الذى أوقف على الحرمين ؛ وسنجد قائمة ممتلكات طويلة تنسب إلى أفراد وأسر أوقفت على تلك المؤسسات ومنها :

الأوقاف الدينية والتعليمية :

أوقف كثير من أهالى القدس أوقافًا على الحرمين المكى والمدنى يليهما الحرم القدس وحرم الخليل ثم قبور الأنبياء ، ثم المدارس والجوامع ؛ والخانقاوات والزوايا ، وبعضها على أماكن دينية فى مصر .

أولاً : أوقاف الحرمين الشريفين بمكة والمدينة . ولقد حظيت تلك الأوقاف بنصيب وافر من الاهتمام سواء من طبقة الحكام والأثرياء أو الطبقات الوسطى ؛ كنوع من التقرب إلى الله واكتساب الثواب والمغفرة . وسنجد أن الأوقاف المترتبة على الحرمين يمكن تقسيمها كالآتى :

١ - بعضها أوقف مباشرة على الحرمين الشريفين وشمل أراض وقرى وعقارات فى القدس وأكنافها .

٢ - بعض الأوقاف على فقراء الحرمين إطعامهم وكسوتهم وعلى السقاية بالحرمين وطريق الحجاز .

٣ - بعضها أوقف على قراء القرآن والختمات فى المسجدين .

٤ - أوقف عدد من الواقفين أوقافهم على أنفسهم وذرياتهم بعد الانقضاء على مصالح الحرمين الشريفين مكة والمدينة ؛ وبعضها بعد الحرمين على الحرم المقدسى وحرم الخليل .

وتذخر عصور الأيوبيين والمماليك والعثمانيين بالأوقاف وإن اختلفت نسبتها فى كل عصر منها ، وأغلب الأوقاف كانت على الذرية ثم بعد الانقراض على الحرم وهى كالتالى :

أوقف « زين الدين حبيب اليسرى » على أولاده وذريته ؛ وبعد انقراضهم على الحرمين الشريفين قرية طول كرم تابع قاقون وذلك فى عام ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م (١٨١).

وهناك أكثر من وقف ؛ أوقف على الذرية وعلى تربة ومساجد المتوفى ثم الحرمين أو بالاشتراك . فقد أوقف بدر الدين حسن ؛ وزين الدين عبد الوهاب ولدى غرس الدين خليل

٨١٥هـ / ١٤١٢م . على أنفسهم وعلى ذريتهم وبعد الانقراض على الحرم النبوى سنة ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م دكاكين وغراس كرم فى نابلس (١٨٢). ونفس الأمر فى صفد فلقد أوقف « شمس الدين محمد بن أبو اليسرين » على نفسه ثم على ذريته وبعد انقراضهم على إخوته وذريتهم وإذا انقرضوا النصف لحافظ القرآن والنصف الثانى للحرم النبوى والمكى ؛ وشمل الوقف معصرة وطاحون ودكاكين فى أسواق وفى قرى كالسوق الكبير بالإضافة إلى غراس بستان سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م (١٨٣).

وقف الشهابى « أحمد بن النصارى محمد المشهور بكر وابن طور لوق بن ظريف الميدانى» أوقف مزرعة العزيمة تابع صفد على نفسه وأولاده وذريته وبعد الانقراض على من يكون إماماً بجامع منجك في ميدان الحصا والقراءات السبع بالجامع فإن تعذر فعلى الحرمين (١٨٤).

وقف زين الدين عبد الوهاب بن غرس الدين بن خليل من بنى قسيم الشهر بابن الأدم الأخرم أوقفه على نفسه ثم على أولاده وعلى ذريته ثم على صالح الحرم الشريف وأوقف عدداً من الدكاكين فى السوق الغربى ودكاكين فى أماكن أخرى وطاحون وغراس أراض عديدة ومنزل ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م(١٨٥).

وتكرر نفس الاسم فى وثيقة أخرى وهو زين الدين عبد الوهاب وأخيه بدر الدين حسن على ذريته ؛ وبعد الانقراض على الحرم النبوى ودكاكين وغراس كروم فى نابلس وأوقاف أولاد الزينى أمير حاج وهم الناصرى محمد والزينى عبد اللطيف ، وفى الشرفى موسى والشهابى أحمد ، والعمادى على قرية المعصرة . تصرف على ذريته والجامع الأحمر بصفد وقراءة القرآن والدعاء وللناظر وكذلك إذا انقرضت ذريته على الحرمين الشريفين ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م(١٨٦).

وقف بدر الدين بن جمال الدين فقيه على نفسه وذريته ؛ وبعد الانقراض على الحرمين قرية العلمانية وقرية ديشون ٨٦١هـ / ١٤٥٦م . هناك وقف بنفس الاسم وبنفس الصيغة أوقفه على نفسه وذريته وبعد الانقراض على الحرمين قرية دير الوقاسية ٨٢٤هـ / ١٤٢١م ولكن الفرق فى التواريخ أحدهما ٨٢٤هـ / ١٤٢١م والآخر ٨٦٠هـ / ١٤٥٥م . ولقد أوقف شخص بنفس الاسم وقف آخر طاحونة فى وادى ربيصة تابع طبرية وحمام فى حارة الوطاة (حمام الدوكرى) وغراس بستان . وذلك فى ٩٢٨هـ / ١٥٢١م وربما شخص بنفس الاسم فالفرق

حوالى (١٠٠) سنة أو من سلالته [١٨٧]. ووقف أحمد بن محمد بن عمارة على أولاده وبعد الانقراض على الحرم الشريف .

وقف الشريفة ست الأشراف بنت السيد محمد على الفقراء والمساكين وبعد الانقراض على الحرم النبوى سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م.

وقف الفرسى : على قرية تابع تبنين على نفسه وناظر الحارة وعلى توزيع الطعام على الفقراء والباقى لأولاد الواقف فإذا انقرضوا على فقراء المدينة وعلى فقراء مكة ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م .

وقف (شمس الدين محمد بن جمال الدين بن يوسف بن على) المعروف بابن الغزالى على ذريته فإذا انقرضوا على الحرمين ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م [١٨٨]. كذلك وقف أبو بكر شهاب الدين أحمد وزين الدين عبد اللطيف « أولاد زين الدين حامد على أولادهم وذريتهم ؛ وبعد الانقراض يكون ثلث ربع حاصل الوقف على حرم نبينا عن قرية عموقة ومزارع فى أربع قرى (عكبر – لوسية – ياقون – ميثلون) [١٨٩].

وقف الأمير بدر الدين بكتاش بن عبد الله الفخرى مدة حياته ثم علي أولاده الذكور والإناث وعلى ذريتهم ومن بعدهم على عتقائه وعتقاء أولاده فإذا انقرضوا الثلث للفقراء فى مكة والمدينة والثلث لقراء القرآن والحديث النبوى وعلى جهات البر والصدق وثلث لفقراء مصر أوقف قرية حلجولية [١٩٠].

وقف سيباى نائب الشام أوقفه على شهاب الدين بن السيد تاج الدين الحسينى الرفاعى بمفرده أيام حياته ثم على ذريته ثم على فقراء الرفاعية وإن تعذر على أولاد الواقف وذريتهم وعتقائهم وبعد الانقراض على الحرمين سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م أوقف قرية طابغة فى صفد[١٩١].

وقف زين الدين محمد بن جمال الدين محمود على نفسه وأولاده ، وذريته وبعد الانقراض على الحرم النبوى عدة قرى ومزارع فى طبرية وتبنين الشقيف وعكا سنة ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م.

وقف على الناصرى محمد بن محمود بن الدوندارى وشقيق الزينى عبد القادر والجمالى محمود على أنفسهم وذريتهم وبعد الانقراض على الفقراء والمساكين فى الحرمين وإن تعذر على فقراء صفد ٨٦٦هـ / ١٤٦١م أوقف قرى ومزرعة .

الجمالى محمد بن أحمد الوندارى على نفسه وذريته وبعد الانقراض النصف على فقراء ومساكين الحرمين ، والحرم الخليلى قرية ومزرعة فى الشقيف وعكا ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م.

أوقف « جمال الدين يوسف محمد الياسين » فى عام ٩١٦هـ / ١٥١٠م على أولاده وذريته ثم على فقراء الحرمين فى قرية مجدل يابا تابعة لنابلس وقرية بديا والوقف كان فى هذه الفترة فى يد شهاب الدجانى ربما من أسرة الدجانى .

وقف شريف الدين بن يونس على نفسه وعلى ولدى أبو السعدات وسعد الملوك وقد أوقف على ذريته الذكور دون الإناث وبعد الانقراض على المساجد الثلاث الحرام – مكة – الأقصى ٩٢٠هـ / ١٥١٤م . أوقف عليهم غراس بساتين وطاحون والوقف فى يد واحد من ذريته وهو القاضى محمد بن جلال الدين أى أن الوقف مستمر فى ذريته .

وقف شمس الدين بن محمد الكتانى يعرف بابن أبى عباس على ذريته وإذا انقرضوا على مصالح الحرمين الشريفين وخليل الرحمن ٨٩٧هـ / ١٤٩٠م غراس وخان كان يعرف بالفندق الخليلى فى خط سوق داود مع دكاكين بالقدس ودار بعقبة الست (١٩٢).

وقف جمال الدين بن شمس الدين السبتى على ولديه ، وبعد الانقراض على مصالح الحرم النبوى سنة ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م فى مزرعة مجدل ومزرعة أخرى (١٩٣).

وقف قاضى ولى الدين بن عبد القادر الحمراوى على أولاده وذريته وبعد الانقراض على الحرمين الشريفين (٩٣١هـ / ١٥٢٤م) دار وغراس فى جملة الجامع الأحمر .

وقف شرفى يونس بن برهان الدين وأخيه شهاب الدين وأخيه زين الدين وبعد الانقضاء على ذريتهم وعلى الحرمين الشريفين عدد من المزارع تتبع صفد وطبرية مزرعة قاعور وقرية قانا سنة ٩١٩هـ / ١٥١٣م.

وقف شهابى أحمد بن زين الدين صديق بن مراد أوقف على نفسه ثم على القاضى والقراء بمسجد شادى بك وما يتبقى لأولاده الذكور فإن انقرضوا ثلث القماش يوزع فى الحجاز ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م.

وقف علاء الدين بن شمس الدين العلماوى على أولاده ، وبعد الانقضاء على فقراء الحرمين ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م أوقف قرية صلحة وقرية مجدل ومزارع تتبع عكا ومزرعة قرية عكبر ومزارع أخرى .

وقف الحاج حسن بن عبد الله الشهير بابن العال على أولاده الذكور فإذا انقرضوا على مصالح الحرم النبوى مزرعة مجدلا قرية بيت لحيا قرية رسم الشرقى (الشرافى) غزة ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م.

وقف عاشق تيمور فى غزة على عتقه وعلى والديه ثم أولادهم ، وبعد الانقراض على مصالح الحرم النبوى قطعتى أرض إحداهما تعرف باسم عاشق تيمور ٩٤٠هـ/١٥٣٤م.

وقف إبراهيم بن الدوندارى ويعرف محليًا بالدهوارى على نفسه وذريته والوقف كان أثناء تسجيل الوثيقة بيد لطيفة ، وأولاد ابن أخيها وبعد الانقراض على الحرم النبوى (٨٩٦) غراس فى ظاهر الرملة تعرف بكرم إبراهيم الدوندارى وهى من عائلة الدوندارى المعروفة ذات الأوقاف العديدة .

وهناك قائمة بأمراء أوقفوا على الحرم النبوى .

وقف أقبغا بن عبد الله الأوحدى أوقفه على تربته فى مصر ٧٣٤هـ/١٣٣٣م . وبعد الانقراض على فقراء الحرمين الشريفين سهم من ١٥ فى قرية مجدل تابع عسقلان وسهم فى قرية حمامة وقيراط من قرية الشماصية تابع المرج و١٤ سهمًا فى القريتين السابقتين . وأعيد تأكيد الوقف على يد القاضى الحنفى فى نابلس ٩٥٠هـ / ١٥٤٣م والوقف فى يد ذريته محمد وست البشر وست الشام أى لم يذهب للحرمين .

وقف الشهاب أحمد بن على بن الحاجب على نفسه وذريته وبعد الانقراض على الحرمين يشمل الوقف بيت محلة تفاح ودكان فى سوق باشورة وبتسان بسوق الغنم . وبيت بدار السدرة فى محلة حكر التفاح . وعن طاحون وغراس كرم وعن قرية بينا فى غزة (١٩٤). ووقف محمد بن علي ناظر حبس قطعة أرض فى غزة .

وقف الأمير « شهاب الدين على بن حسن سادوق على نفسه وعلى ذريته من الذكور دون الإناث ؛ وبعد الانقراض على الحرم الشريفة أوقف سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م حصة من طاحونة بمزرعة على نهر ربيصة .

الأوقاف على الصخرة والمسجد الأقصى :

ولقد حظيت الصخرة والمسجد الأقصى بكثير من الاهتمام من جميع حكام القدس فى العصور المختلفة من إيقاف الأوقاف إلى الإنشاء والترميم والتعمير .

وكان للمسجدين مكانة خاصة فى النفوس ؛ فأقيمت الزوايا والخانقاوات والمدارس بجوارهم وتم الاتفاق على تعميرهما وتجديديهما ، وكانت توقف الأوقاف على قراءة القرآن بهما ، وعلى متولي أمرهما من الخطباء والأئمة وقراء وفقراء وصوفية .

وكان يرسل فى العصر العثمانى جزء من الصرة المالية وهى تضم مجموعة من الهبات تعرف بالصرة الرومية يقدمها عدد من الأشخاص القادرين إلى الأماكن الدينية ولقد تضمنت الصرة هبة مالية من إحدى السيدات إلي خطباء والأئمة فى المسجد الأقصى .

وقد مد صلاح الدين الحرم الشريف بنسخ من القرآن الكريم التى أخذها من مكتبة دمشق؛ ولا يزال بعض هذه النسخ محفوظة إلى الآن ؛ تشهد على ذلك خزانة الكتب فى المسجد الأقصى التى تعد من أهم المكتبات فى بلاد الشام لما تحويه من كنوز المعروفة ، ففيها نصف مصحف قديم بخط كوفى كتب عليه كتبه محمد بن الحسن بن الحسن بن بنت الرسول.

ولقد كانت هناك وظيفة من وظائف الحرم الشريف تعرف باسم أمانة الكتب المقدسة الصخرة ؛ ولقد ورد فى وثائق مقدسة جـ٣ وثيقة رقم (٦٣) إشارة لقاضى القضاة الذى عين اثنين من المدرسين وكانت الوظيفة غالبًا بالوراثة ويخصص لها مبلغ مالى والوثيقة تعود للعصر العثمانى حيث خصص لها مرتب أربعة عثمانى ومن المؤكد أن الوظيفة كانت موجودة فى الفترات السابقة ويتولاها أفراد بالوراثة .

وكان البعض يضمن أوقافه قراءة القرآن بمسجد الصخرة الشريفة فناظر وقف المدرسة المنجكية بالقدس طلب قراءة البردة الشريفة بالصخرة المشرفة لبهرام كتخدا ، ولقد تعدد ذكر الوظائف الخاصة بالصخرة فى وقف المرحوم محمد بن عبد الله من قارئ للحديث البخارى وقارئ جزء ومفرق وخادم .

ولقد كانت هناك أوقاف وأراضى تخص الصخرة وموقفه عليها وإن كان قد تم البناء عليها مثل خان القطانين وهو أحد المراكز التجارية وكان كثير من الحوانيت خلف جدرانه ؛ وعلي جانبي مدخله وكان فى الأصل وقفًا على قبة الصخرة وقام سلاطين المماليك ببناء قطعة الأرض التى كانت وقفًا لقبة الصخرة وأعلنت وقفًا عائليًا ؛ ولقد استمرت لعصر العثمانيين حيث أجرى السلاطين تجديدات ، ولقد أوقف البعض على زيت القنديل وإسراجه .

ولقد أوقف مصطفى أفندى قاضى القدس فى العصر العثمانى بخصوص إشعال القنديل فى المسجد وبناء الحوائط وسور المسجد المتهدم ، أوقف فى هذه الحالة مالاً وليس عقاراً وهو ستين قرشًا أسدية لتعمير القبة ولزيت القنديل وأسراجه فى المسجد الأقصى لما يرتبط فى نظره من ثواب استناداً لحديث شريف من أسرج فى بيت المقدس سراجًا لم تزل الملائكة تستغفر له مادام ضوءه ذلك السراج » ، والحديث الشريف « من لم يستطع أن يأتيه فيلهد إليه زيتًا يسرج فى قناديله » .

وقد كانت هناك جوال فى القدس باسم خدام الحرم الشريف بالقدس فى وثائق وترجع لعام ٧١٠هـ/١٣١٠م وكان الأمير سعد الدين مسعود أحد أمراء العشرات قد حاول الاستيلاد عليها لصالحه .

ومنذ البداية قام حكام المسلمين بصيانة المسجد وإقامة الأوقاف عليه منذ عهد « عبد الملك الأموى » إلى العباسيين كالمأمون ثم الفاطميون كالحاكم والظاهر إلى العصر الأيوبى . ويذكر ناصر خسرو أن الفاطميين وسعوا المسجد الأقصى ورمموا ما تصدع منه إثر الزلزال ؛ ولقد أوقف الملك الأفضل بن أخى صلاح الدين المساحة الواقعة أمام جدار البراق على أعمال البر والخير ، كما حبس حارة المغاربة التى على مساحة الجدار على زاوية الإمام الصوفى أبو مدين لإيواء زوار المغرب وإعالة المنقطعين منهم . وفى عصر المماليك جدد الظاهر بيبرس ما تهدم من مسجد الصخرة كما جدد قبة الصخرة وزخرفتها وأنشأ خانًا وأوقف بعض القرى لينفق من ريعها على مصالح المسجد .

كذلك أوقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون على أوقاف الحرمين الشريفين ولقد اهتم الخلفاء والسلاطين بتعميرها فى مختلف العصور . فالظاهر لإعزاز دين الله ٤١١هـ/١٠٢١م شرع فى بناء سور للقدس وحدث زلزال فى عهده كاد يؤذى بقية المسجد الأقصى فعمرها .

وفى عصر المماليك جدد الظاهر بيبرس ما تهدم من مسجد الصخرة كما جدد قبة السلسلة وزخرفتها وأنشأ خانًا ؛ وأوقف بعض القرى لينفق على رتبها علي مصالح المسجد كل عام .

وفى عهد الناصر محمد فتح باب بالمسجد الأقصى وشباكًا كان إلى يمين المحراب الكبير ويساره وجود تهذيب فيه المسجد الأقصى وقبة الصخرة وعمرت القناطر التى على الجهتين الشماليتين بصحن الصخرة ، مقابل باب حطه وباب شرف الأنبياء وعمر السور القبلى منذ محراب داود .

فى عهد الظاهر جقمق عمر المسجد الأقصى وأنشأ السبيل القائم من المطهرة ومسجد الصخرة والمعروف حديثًا بسبيل (قايتباى) .

وعمر الأشرف شعبان القناطر الغربية واهتم العثمانيون بالقدس واهتم سلاطنيهم بذلك فعمر سليمان القانونى السور والسبيل وعمر قبة الصخرة وجدران الحرم .

وقف ابن مزهر على قراءة القرآن بالصخرة أوقف مزرعة حاوحة (عين حاوحه وربما الخواجة) ؛ سنة (٥٩٤هـ / ١١٩٧م) أوقف على الشيخ عبد العزيز وبعد الانقراض على الصخرة الشريفة والمسجد الأقصى أوقف قرية حراب تابع القدس الشريف كذلك قرية حراب فى باب الواد على طريق يافا .

وهناك وقف على إمام وخطيب المسجد الأقصى سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م ثلث الوقف لإمام المسجد قطعة أرض بالسواد شمال القدس غراس كروم وأشجار . كذلك أوقف محمد بن محمد بن علاء الدين على أولاده وأحفاده وبعد الانقراض على الحرمين وعلى الخليل وحرم القدس ٩٣٥-٩٤٢هـ/١٢٥٨-١٥٣٥م.

وكذلك أوقف « شرف الدين بن يونس » الصارم على نفسه وعلى ولدى أبو السعادات وسعد الملوك وبعد الانقراض على المساجد الثلاث المكى والمدنى والمسجد الأقصى ٩٢٠هـ/١٥١٤م غراس بساتين وطاحون .

كذلك وقف الناصرى محمد بن محمد والى ٩٢١هـ/١٥١٥م . بعد انقراض سلالته على حرم القدس الشريف . ويقسم ذلك ربع على القراء السبع بالصخرة وصافى محصول الربع على قراءة البخارى فى حرم بيت المقدس ويفرق فيه كل أسبوع على باب تابع برسباى ولم يقرأ القرآن على تربة الواقف والبقية على أولاده ، وبعد انقراضهم على القدس والخليل والحرمين.

نفس الأمر بالنسبة لفاطمة بنت محمد على الكمشن أوقفت قرية سيتان تابع الرملة بعد انقراض الذرية على الحرمين القدس والصخرة وحرم الخليل ٨٦٩هـ/١٤٦٤م.

ووقف عائشة الرومية يرجع إلى ٩١٣هـ/١٥٠٧م موقوف على خمسة قراء يقرأون لها بالصخرة الشريفة يصرف بعد العمارة عليهم وعلى ناظر الوقف الذى يشمل غراس أراضى وأرض حكر بأرض البقعة .

ولقد كانت هناك مشكلة الجوالى الموقوفة على قبة الصخرة الشريفة .

هناك وقف جوالى مجدل فضيل كانت تصرف لمدة تتجاوز العشرين سنة من مرتب الصخرة الشريفة وأراد الأمير سعد الدين بكتمر الجواكندار إدخال الجوالى فى وقف الأمير سيف الدين الجوكندار أحد رجال دولة الناصر محمد ، وكان بكتمر كافل المملكة ولقد أشرف على ترميم قلعة القدس وتحصينها بعد أن كانت خرابا وكان ذلك فى عام ٧١٠هـ/١٣١٠م ولقد تآمر على السلطان فعزله . وهناك وثيقة أخرى مرتبطة بالأولى تشير إلى أن جوالى مجدل تصرف فى مرتب الصخرة الشريفة ، والمسجد الأقصى عن مدة سنين متقدمة أى أنها عادت إلى دخل الصخرة .

وحاول اليهود اغتصاب أجزاء من المسجد الأقصى حيث سبق أن أوقف الملك الأفضل بن أخى صلاح الدين المساحة الواقعة أمام جدار البراق على أعمال البر والخير ، كما حبس حارة المغاربة التى على ساحة الجدار على زاوية الإمام الصوفى « أبو مدين الغوث » لإيواء المغاربة .

ومع ازدياد نفوذ القناصلة الأجانب فى القرن التاسع عشر حاول اليهود عن طريق قنصل الإنجليز قدموا طلبًا لتبليط الزقاق أمام البراق فى أيام محمد على سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م ولقد رفض طلبهم ولقد تكرر هذا بعد الاحتلال البريطانى ١٩١٧م وادعوا فى ١٩٢٩م حقوق فى البراق وعرض على لجنة دولية رفضت طلبهم .

وهناك وثيقة تعود لعام ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م بخصوص تعمير أجزاء تهدمت من سور المسجد الأقصى عند حائط مهد سيدنا عيسى وتولى أمر الترميم محافظ القلعة ومحمد أغا والدفتردار وكلف معمارية .

وكانت هناك أوقاف على الأنبياء أوقفت منذ الفترة الإسلامية الأولى وبعضها غير معروف واقفها ، وتنوعت الأوقاف بعضها على قبور الأنبياء مباشرة ولصالح ضريحه ، وبعضها بعد انقضاء ذرية الواقف كبقية الأوقاف فكان أشهر تلك القبور فى مدينة الخليل إبراهيم وهى قبور الأنبياء إبراهيم ويعقوب وإسحق ويونس ولوط وهناك تربة النبى داود ووقف سيدنا العزيز ووقف موسى وإشمويل وتربة صالح عليه السلام .

كذلك ورد فى الوثائق نكر لوظائف مرتبطة بأوقاف الأنبياء منها وظائف على وقف سيدنا يونس ولوط عليهما السلام ناظر وشيخ ومؤذن وإمام جامع وجابى أوقاف ، وعن تربة إشمويل شيخ ومتولى أوقاف ، ووظائف مرتبطة بسيدنا العزيز بواب وفراش ، وهناك وظيفة فى عهد

المماليك وهى نظر الحرمين القدس والخليل وهذه الأوقاف تعود للفترة الإسلامية المبكرة ويذكر ناصر خسرو أن هناك أوقاف أوقفت على قبور الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب وزوجاتهم وأن على سطح المقصورة فى المشهد حجرات للضيوف الوافدين ولقد أوقفت عليها أوقاف كثيرة من القرى والتابعة لبيت المقدس وأنهم يطعمون الضيوف والزائرين الخبز والزيتون وهناك طواحين كثيرة تديرها البغال والثيران لطحن الدقيق وبالمضيفة خادمان يخبزان طوال اليوم ويزن رغيفهم منا واحداً ويعطى من يصل هناك رغيفاً مستديراً وطبقاً من العدس المطبوخ بالزيت وزبيباً كل يوم وهذه عادة بقيت من أيام خليل الرحمن وفى بعض الأيام يبلغ عدد المسافرين خمسمائة نفراً للضيافة .

ويضيف أن المشهد كان على حافة القرية من ناحية الجنوب وهى فى الجنوب الشرقى والمشهد يتكون من بناء ذى أربع حوائط من الحجر المصقول طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون وارتفاعه عشرون وثمان حوائطه وبه مقصورة وحجرات فى عرض البناء وبالمقصورة محاريب جميلة بها ثيران رأسها وكلاهما من الحجر المصقول بارتفاع قامة الرجل، القبر الأيمن قبر إسحق بن إبراهيم والآخر قبر زوجته عليها السلام ، وبينهما عشر أذرع وأرض هذا المشهد وجدرانه مزينة بالسجاجيد القيمة والحصر المغربية التى فوق الديباج حسناً ولقد رأيت هناك حصيراً محلاة قيل أرسلها أمير الجيوش وهو تابع السلطان مصر ولقد اشتريت من مصر بثلاثين ديناراً من الذهب المغربى ، ولو كانت من الديباج الرومى لما بلغت هذا الثمن ولم أر مثلها فى مكان قط وحين يخرج السائر من المقصورة إلى وسط المشهد نجد أمام القبلة الأولى به قبر إبراهيم الخليل ، وهو مشهد كبير ومن داخله آخر لا يستطيع الطواف حوله ولكن له أربع نوافذ فيها ينزل الزائرين وهم يطوفون حول المشهد الكبير وقد كسيت أرضه وجدرانه ببسط من الديباج والقبر من الحجر وارتفاعه ثلاث أذرع وعلق به كثير من القناديل المصابيح الفضية والمشهد الثانى الذى على يسار القبلة به قبر سارة زوج إبراهيم عليه السلام وبين القبرين ممر عليه باب لكل منهما وهو كالدهليز وبه كثير من القناديل والمسارج وبعد هذين المشهدين قبران متجاوران الأيمن قبر النبى يعقوب عليه السلام والأيسر قبر زوجته وبعدهما المنازل التى اتخذها إبراهيم لضيافة زائريه وبها ستة قبور وخارج المشهد منحدر به قبر يوسف بن يعقوب عليه السلام وقرافة كبيرة يدفن فيها الموتى (١٩٥).

وفى الحاشية ذكر ما قاله الهروى الذى دخل القدس فى ٥٦٧هـ/١١٧١م وأفاد بأنه اجتمع بمشايخ فى الخليل الذين حدثوه بأن فى ٥١٣هـ/١١١٩م فى أيام الملك بلدوين انخسف موضع مغارة الخليل وشوهد القبر ولقد ذكر قصة خيالية .

ولقد أشار الرحالة اليهود إلى الأوقاف الموقوفة على قبور الأنبياء بالخليل وأن هذا المكان يزار من المسلم والمسيحى واليهودى فأكد أن المسلمين يوقرون المكان ويوزعون ثلاثة عشر ألف رغيف كل يوم على الفقراء لتكريم إبراهيم وإسحق ويعقوب خاصة إبراهيم ويعقوب يوزعوا لحم لإبراهيم ولإسحق يعطوا لحم غزال طرى ويعقوب حساء الخضار ، وكان هناك جامع فى مواجهة قبر إبراهيم وبه قناديل ذهبية وأحجار كريمة وفى قبور الأنبياء سجاجيد حريرية موشاة وقناديل والكهف بجانبه أشجار ومنازل حيث يرقد موتى المسلمين ويذكر أن الصرف على الكهف من أراض قريبة من الكهف وبها مزارع عنب وزيتون يصعب حصرها ، الذى وهبها المسلمون لغفران ذنوبهم وإن دخلها يزيد عن مئات الدوكات كذلك أشار إلى قبر النبى زكريا وعليه برج ويرى القبلة فيه جزئين وبجواره مجموعة من مقابر القدسية (١٩٦).

ويذكر أن مدفن داود يحترمه المسلمون وهو على ست أميال من القدس ، وإيله مكان خاص للنبى صموئيل وعلى بعد ميل ونصف ميل من رامله ، وترى مقابر مغلقة ، ومخصص لها أوقاف، وعوبديا يذكر أن مدينة الخليل حقولها وقف على الخليل وجامع النبى إبراهيم الخليل ينقسم إلى قسمين واحد بجوار الكهف الخاصة بالبطاركة ، والجامع بنى على الكهف ، العرب يعاملون باحترام وكل ملوكهم يقدموا للصلاة وأن العرب واليهود لا يستطيعون الدخول غير البطاركة وكل من يأتى للصلاة يترك مالاً من النافذة ، الخليل يخص الكهف ، والخبز والشعير أو غيرها توزع على الفقراء بلا تمييز بين ديانة وأخرى وذلك تكريمًا لإبراهيم .

وفى قمة جبل فى المنطقة المعاكسة كهف كبير قيل أنه مقبرة عيسو أبو داود وبين مقبرة عيسو وكهف البطاركة بئر يسميها المسلمون بئر إسحق .

ويذكر بيبرس المنصورى فى مختار الأخبار أن السلطان بيبرس قام بعمارة الحرم الشريف وقبة الصخرة ، وأن بعض ضياع الخليل عليه السلام واجه حريق فارتجعها وأعادها إلى الوقف وعوض مقطعها (١٩٧).

ولقد أوقف الملك الظاهر بيبرس فى ٦٧٦هـ/١٢٧٧م على مقام النبى موسى الذى يقع بتل أريحا وقفًا صار له مكانته إلى الآن ، وفى فصل الربيع أصبح المسجد قبلة الزوار الذين

يقصدونه والهدف من الوقفية إطعام الزوار وإنفاق على الزبدارية الموجودين فى مقام النبى ، ورعاية الموقوفات ومهمات هذه المسبلات من البناء والتعمير والاستغلال والقبض والسبط والحفظ ولضبط أمور التسجيل وتعيين العلماء والمدرسين الكرام[١٩٨] ، وكان الشيخ الشريف عبد الله يونس متولى الوقف[١٩٩] ويذكر العسيلى أن الإمام أبو حنيفة دون تلاميذه وباقى الأئمة يبيح للواقف فسخ الوقف والرجوع عنه [٢٠٠]، وإن كانت بقية العلماء ترفض هذا الإجراء حيث أراد السلطان الرجوع فى الوقفية وإعادتها إلى وقفه ولكن متولى الوقف عارض ذلك وجاء الحكم فى جانب المتولى بعدم الرجوع فى الوقف (٢٠١).

ولقد سجل العقد وشهد عليه الخوجة جمال الدين أمين المحكمة فى القدس ومتولى شئون الأحكام فى محكمة القدس وكان ذلك ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م والخوجة « يطلق على المعلم والتاجر». ولقد صدر كتاب تأكيد الوقف فى أواخر القرن التاسع الهجرى يثبت كتاب الوقف الأصلى كتب بعده بأكثر من مائتى عام أى أن الوقف كان مستمراً وكانت العادة أن القضاة يثبتون كتب الوقف الأصلية قبل إصدار حكم فى القضية (٢٠٢)، وهناك وقف للنبى لاوى بقرية سيلة الظهر من أعمال جنين وهى قرية بين بيسان ونابلس بها قبر لاوى بن يعقوب والوقف لا يوجد له كتاب وهو من الأوقاف المستثناة أوقاف وزارة الأوقاف السلطانية فى العصر العثمانى فى عهد السلطان عبد الحميد وكان يتولاه شخص يدعى ابن الشيخ حسن المدعو عبد العزيز فى عام ١٣٢١هـ/١٩٣٠م ، وهناك قرية تدعى بقرية لاوين ربما قرية حول مقام النبى لاوى على مسافة ٢٣ كليو جنوب غرب جنين وقدر عدد سكانها عام ١٩٨٠م يصل إلي ستة آلاف نسمة يعود معظمهم فى أصولهم لشرق الأردن والضريح مازال يأتيه الزوار[٢٠٣] .

وهناك وثيقة خاصة بقبر لوط بقرية كفر بريك المعروفة باسم قرية بنى نعيم قضاء الخليل مسجد بنى على غار[٢٠٤] يقال إن لوط مدفون فيه ولقد جدده السلطان الناصر فرج بن برقوق من سلاطين العصر المملوكى الثانى وأوقف عليه القرية المعروفة باسم النبى لوط ولقد تولى الناصر فرج السلطنة (٨٠١ - ٨١٥هـ/ ١٣٩٨-١٤١٢م) (٢٠٥).

والملك المعظم عيسى له آثار عديدة منها بناء قبر ومئذنة على قبر النبى يونس وكان المعظم قد استقل بدمشق بعد وفاة الملك العادل (٦١٥هـ/١٢١٨م) ، وقرية بيت حنينا كان ريع وقفها يدخل وقف سيدنا الخليل والصخرة الشريفة ، ووثيقة خاصة بوقف النبى موسى ولا يوجد اسم الواقف وفيها أسماء متولون ثلاثة من آل يونس وهم نور الله ويونس أفندى وإسحق

للصرف على السماط الخاص ويصرف من الوقف ١١١٦هـ/١٧٠٤م ، ولقد ذكرت أسماء أوقاف باسم النبى موسى فى قرى تابعة للقدس ومزارع تشملها مثل مزرعة العياض وقرية ترمس وقرية صور باهر وقرية طورزيتا . ومن الواضح أن هناك ضياعًا تتبع وقف النبى فى هذه القرى وفى لواء عجلون ذكرت قرية كفرين وقرية نمرين فى نابلس قطعة أرض تعرف بموسى فى قرية جرايا تابع لوقف نابلس وحاكورة الصبانة كانت قرية العزيرية موقوفة على حرم سيدنا الخليل والشيخ مصطفى السنهابى وكيل لمتولى الوقف (٢٠٦).

كذلك أوقف عبد الله الحسينى نقيب الأشراف عقارات فى يافا على نفسه وعلى نسله ثم على مقام النبى موسى ويشمل بيارات وأشجار متنوعة فى يافا ودكانًا والوثيقة فيها إشارة للشيخ ظاهر العمر ووصفه هو وجماعته بالعصابة لأنه دمر البيارة لوقوعها عند باب المدينة ولكن تم إعادتها بعد ذلك .

وهناك وقف بلا تاريخ وقف على قرية كل من سيدنا موسى(٢٠٧) ويونس ولوط عليهم السلام ووقف محب الدين محمد بن علاء الدين على أوقف على أولاده وبعد الانقراض على الحرمين حرم الخليل والقدس تاريخ الوقف ٩٤٢هـ/١٥٣٥م .

وقف الجمالى محمود بن على بن أحمد بن الدوندارى من عائلة الدوندارى على نفسه وأولاده وبعد الانقراض نصف على الفقراء بجامع الظاهرية والنصف على حرم النبى والحرم الخليلى ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م(٢٠٨).

وقف الأمير الدكزى على أولاده ونسله ثم من بعدهم على مصالح سماط الخليل فإن تعذر على فقراء القدس ٩٢٧هـ/١٠٢٠م.

وقف شمس الدين محمد بن الكتانى يعرف بابن عباس فى ٨٩٧هـ/١٤٩١م على مصالح الحرمين الشريفين وخليل الرحمن وأوقف عليه منازل دار علوية وسفلى فى عقبة الست فى القدس وخان يعرف بالفندق الخليلى فى خط سوق داود ودكاكين فى القدس بالإضافة إلى غرس حاكوره (٢٠٩).

نفس الأمر أوقف الحاج حسن بن عبد الله الشهير بأبى العال على نفسه ثم على أولاده الذكور مزرعة فى قرية مجدلا بغزة وحصة ووقف فى بيت لحيا ، وقرية رسم شرقى أوقفها بعد ذهاب ذريته على الحرم النبوى أو الخليل ونفس الأمر لعاشق زادة على أحد عتقائه ثم الحرم

النبوى والخليل ووقف فاطمة بنت محمد على الكمشن على أولادها وعلى محمد بن سنك(٢١٠) أوقفتها على الحرمين الشريفين وحرم سيدنا الخليل كذلك نفس الأمر بالنسبة للناصر محمد بن محمد المشهور بابن والى على عائلته ثم على الحرمين والخليل .

ووثيقة ١٠٦ موقوفة على الخليل ولا يعرف اسم الواقف وكان الشيخ مصطفى وكيلاً عن متولى الوقف محمد أغا فى جميع محاصيل وإيرادات قرية العيزرية كذلك وثيقة ١٠٧ قرية بيت لهيا الواقف جعل ريعها فى وقف الخليل والصخرة .

وهناك وقف ينسب إلى النبى سبلان فى قرية قرب صفد تعرف بحرفيش ومقامه على جبل وهناك شكوى معتمدة من مسئول المقام ضد الدروز فى حرفيش لاعتدائهم على وقفيات الأنبياء(٢١١)، وحرفيش قرية درزية تقع شمال غرب صفد أما قرية سبلان قرية صغيرة شمال صفد عدد سكانها ١٩٤٥م حوالى ٧٠ مسلمًا ولقد دمرها الصهاينة الآن وحدود الوقفية الطريق الشهير بدرب صفد وبها زيتون مع كرم العنب ، وكرم العنب تابع لمقام النبى ووقف أخر على مصالح تربة النبى يحيى وزكريا ولا يوجد اسم الواقف ، وفى الوثيقة ٦٨ وتشمل أسماء زوايا ومساجد وأوقاف مختلفة ذكرت أوقاف منفصلة عن عزير ومريم ورابعة العدوية وعيسى عليه السلام(٢١٢).

أوقاف على المؤسسات التعليمية :

قامت فى القدس حركة علمية زاهرة منذ الفترة الإسلامية الأولى مع وجود الخلافة الأموية ثم العباسية ثم الفاطمية وكان للقدس علماؤها وكانت هناك دار العلم وهى فرع من دار الحكمة فى مصر ولقد عادت تلك الحركة والنهضة العلمية للانتعاش على يد السلطان الناصر صلاح الدين الذى دخل ومعه عشرة آلاف من العلماء والفقهاء ولتدعيم تلك الحركة ، تم إنشاء العديد من المدارس على يد السلطان وأمرائه والعديد من القادرين من أهل القدس واستمرت تلك النهضة بنفس النسق فى عهد المماليك والعثمانيين وأوقفت الأوقاف على المساجد والمدارس التى تحول أغلبها لساحات علمية وأنشأت مكاتب لتعليم الصغار كذلك ظهرت حركات صوفية عدة أوقفت عليها المدارس والخنقاوات بل إن بعض المقابر الخاصة لكبار الأمراء والأثرياء تحولت إلى مراكز علمية وملحق بها مؤسسات وأوقاف وظهرت أسماء لكبار علماء وفقهاء وقضاة أوقفوا بدورهم الأوقاف على المؤسسات العلمية المختلفة .

الإجراءات والتنظيمات المتبعة بالمدارس :

عرضت بعض وثائق الوقف تفصيليًا للتنظيمات المتبعة فى إدارة المدارس وتوزيع الدخل والعمالة المطلوبة وكنموذج لها وقف مدرسة حسام الدين بن أبى محمد الحسن بن ناصر بالقدس وتعود لعام ٩٢٨هـ/١٥٢١م فيذكر عن العمالة أن يكون هناك ناظر مسئول عن الوقف وإمام المدرسة ليلقن كتاب الله وأن عليه أن يحضر بعد صلاة العصر ويحضر معه عدداً من الفقراء القاطنين بالخلاوى والأربطة والخانقاوات وعين له منصرف رطل خبز بالوزن القدسى ورطل زيت كل شهر وبالنسبة للمتصوفة الذين يحضرون أو الطلبة ذكر أنهم عدد عشرة فقراء ويصرف لكل واحد فى اليوم ربع رطل خبز وثلث درهم وعشرة أنفار من الصوفية لكل واحد منهم خبز فى اليوم نصف رطل ومنهم يعين خادم للمسجد وهو الفراش وله زيادة على تلك ثلاثون درهمًا وآخر بواب له فى الشهر ثلاثون درهمًا وثالث منهم فقيه لتعليم الأيتام له ثلاثون درهمًا وحدد عدد الأيتام بعشرة خصص لهم مكانًا فى المسجد حدده بالقبة فى الجدار القبلى وكان يصرف للأيتام لكل واحد ربع رطل خبز وفى كل شهر سبع دراهم ونصف وكان على فقيه الأيتام تلقينهم كتاب الله .

والناظر عليه ضبط مال الوقف وكتاب حسابه وله فى كل يوم نصف رطل خبز وفى الشهر ثلاثون درهمًا والسقاية (أى يحتاجون لسقاء) ثلاثون درهمًا وعليه أن يسقى بالمدرسة ويكفى من بها من الفقراء وغيرهم .

والناظر يحصل أيضًا على مائة درهم وهو شيخ المدرسة ويذكر أن على جميع العاملين بوقف المدرسة وعددهم : شيخ المدرسة – الصوفية – الشاهد – العامل – كاتب الغيبة – الأيتام – مؤدبيهم – المعيدين ، كان عليهم أن يجتمعوا يوم الجمعة من كل أسبوع بالمدرسة المذكورة ويقرؤن سورة الكهف وياسين والواقعة وتبارك ويختمون بالدعاء للواقف .

كذلك اشترط أربعة حفاظ يقرأون كتاب الله كل ليلة بعد صلاة المغرب برواق باب الناظر ويهدون الثواب للواقف وزوجاته وأخيه ويصرف لهم على القرآن فى كل شهر تسع دراهم والثلاثة الباقين ٢١ درهمًا وزاد فيها الإقامة والفراش .

وكان من عمل البواب الاستقاء بالصهريج بالمدرسة وهى المستقاة منها وإعادة تنظيفها وتنوير القناديل بباب المدرسة والمتوضئ والدركاه (٢١٣).

وحتى فى الأوقاف المحدودة القيمة نجد نفس الفئات العاملة والموقوف عليها كما فى وقف تمسنك الحسينى على قريته ومسجده ومكتبه في محلة قبيات حيث أوقف طاحون دار الرحا المعروف بالواطى والجدار الراكنة على نهر العوجا فى الرملة حيث شرط الواقف أن يكون فى تربته والمسجد والتكية ويبدو أنها جميعًا كانت مجموعة فى مكان واحد سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م، إمام ، ومؤذن وبوابًا وقيمًا - فراشًا - مُحدثًا يقرأ حديث النبى - وخمسة عشر مقرئًا يقرأون القرآن . عشرة أمام يتعلمون القرآن وكان أوقف جزء من الدخل على الحرم بمكة والمدينة المنورة وما بقى يصرف على سابق الذكر وفرش تربته وتنويرها وسائر لوازمها (٢١٤).

وأحيانًا يقوم البعض بإيقاف وقف على مدرسة قائمة بالفعل كما قام الشيخ مجد الدين عبد الملك أبى بكر الموصلى بتخصيص الثلث من وقفه على المدرسة السلامية بباب شرف الأنبياء ، ويشمل تعيين شيخ حافظ لكتاب الله على أن يقوم بالتدريس وتعليم القرآن لستة أفراد فى المدرسة ويستمر هذه لمدة سنتين ويصرف لكل فرد من الستة كل شهر سبع دراهم ونصف ويصرف لشيخهم كل شهر ١٥ درهمًا ويصرف لمحدث صحيح البخارى فى شهر رجب وشعبان ورمضان فى كل شهر عشرون درهمًا والباقى يصرف على الفقراء الموصلية . أما عن تنظيم المدارس فخير مثال المدرسة التنكزية التى أوقفها الأمير تنكز من مماليك الناصر محمد وكان المكان مكونًا من مدرسة والتى كانت تضم ثلاثة أقسام رئيسية : مدرسة ودار حديث ورباط للصوفية - المسجد - رباط النساء - الحمامان القبلى والغربى - الطهارة ، وكانت المدرسة مقسمة إلى اثنين وعشرين بيتًا (غالبًا غرفة) فى الجزء الأسفل أحد عشر بيتًا برسم الفقهاء الحنفية منهم غرفة برسم بواب المدرسة والباقى فى الجزء الأعلى إحدى عشر غرفة ، برسم الصوفية ولكل غرفة باب خاص وعلى ظهر المدرسة طبقة ذات منافع ومراقد شرقى وغربى لها طاقات مطلة إلى الجهة الشمال وشبابيك ولها مرتفق خاص(٢١٥) .

كذلك على ظهر المدرسة غرفتين من الدور العلوى طبقة بسقف حسن لها طاقات مطلة على الجهة القبلية ومنافع ومرافق ومرتفق خاص ويصعد إلى ذلك وإلى المسجد المجاور من السلم الحجرى وبها قبو وبير يجمع ماء الشتاء الذى ينزل إليه من طرق أعدت لها فى سطحه .

والمدرسة والطبقتان برسم سكن من يختار الناظر فى هذا الوقف إسكانه فيهما ، وجميع المياه القذرة الناتجة عن الاستعمال أجري لها مجرى إلى قناة تسمى قناة الوسخ ، أما المسجد والشباك الغربى فيه فهو مبنى على سور الحرم الشريف وعلى ظهر القبة إلى داخل الحرم الشريف المعروف بعمارة ابن حسن ويصعد إلى ذلك من السلم الحجر المتقدم ذكره .

أما عن شروط الواقف بالنسبة للفقهاء أن يكون من فقهاء الحنفية والمحدثين والصوفية وأن يكون حافظًا لكتاب الله عالمًا بمذهب الإمام سراج الدين أبى حنيفة النعمان ملازمًا ، يذكر الدرس بالمدرسة على جارى العادة فى نكر الدروس وأن يكون إمامًا للصلاوات الخمس بالمسجد الذى هو الإيوان القبلى من المدرسة المذكور وصلاة التراويح فى ليالى شهر رمضان فى كل سنة ممن يحضر إلى المسجد المشار إليه من كافة المسلمين وأن يستعرض عنده فى درس المدرس ويفعل مثل ذلك بعد صلاة العصر كل ذلك فى أيام ذكر الدروس بالإضافة إلى خمسة عشر فقيهًا ومنتفعًا ويرتبون ثلاث طبقات منتهون متوسطون ومبتدئون ويكن منهم خمسة أشخاص متزوجين وعلى كل واحد منهم حضور هذه المدرسة والدرس وملازمة الاشتغال بها والمبيت فيها على جارى العادة ومن مضت منهم عليه أربع سنين من حين ترتيبه بالمدرسة المذكورة ولم يكمل حفظ كتاب فى مذهب الإمام أبو حنيفة ويظهر عليه الفقه يستبدل الناظر على هذا الوقف غيره ، ويقدم الفقيه الغريب على الفقيه من أهل القدس ويقدم الأعزب على المتزوج منهم وعلى هؤلاء المذكورين أجمعين من المدرس والمعيد والفقهاء والمتفقهين الاجتماع لتذكر الدروس فى الإيوان القبلى وأن يقرأ كل واحد منهم جزءًا من ثلاثين جزءًا من كتاب فى الربعة الشريفة ويختموا قرأتهم بقراءة سورة الإخلاص والمعونتين وخاتمة الكتاب العزيز وأوائل السورة التى تذكر فيها البقرة ثم يدعو المدرس عقب ذلك لمولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبى الفتح محمد ومن شرط كل واحد من الجماعة المذكورين أن يكون من أهل الخير والدين والصلاح ، وتضبط غيبة الفقهاء ممن يعينه الناظر فى هذا الوقف لذلك ومن غاب منهم لعذر شرعى نقص من جامكيته وجرايته مدة غيبته وبالنسبة للصوفية الشيخ المرتب فى المشيخة جميعهم وخمسة عشر صوفيًا يكون واحد منهم خادمًا وآخر طباخًا وعليهم أجمعين أن يجتمعوا صبيحة كل يوم قبل طلوع الشمس فى المسجد العلوى المبنى على ظهر القبو المذكور ويقرأ كل واحد منهم ما تيسر من كتاب الله فى الربعة الشريفة (٢١٦).

ولقد جرى إحصاء لعدد العاملين فى إحدى المدارس الهامة وهى المدرسة الطازية التى أنشأها الأمير المملوكى سيف الدين طاز قرب باب السلسلة فى القدس سنة ٧٦٣هـ ودار المدرسة ويذكر العسيلى أنها لا تزال قائمة إلى اليوم ، وهى مؤلفة من طابقين ولقد استمرت إلى العصر العثمانى ولقد تم حصر ريع أوقافها وأعداد العاملين ٩٨٠هـ/١٥٢٧م ، وكان محصول غلال أوقافها عن سنة واحدة ٩٨٠هـ / ١٥٧٢م كان ١٠,٩٢٩ قطعة فضية سليمانية،

عدد العاملين في المدرسة في نفس سنة اثنى عشرة موظفًا ، كان يقيم ويتعلم بمكتب الأيام التابع للمدرسة عشرة أيتام ، وفى المدرسة ٢٤ قارئًا ، عدد الطلاب الفقهاء ١٦ طالبًا كان جاريًا فى أوقاف المدرسة جامع جوكندار وجامع القرية المنية التابعة لصفد .

ومن أشهر المدارس المدرسة الصلاحية بباب الأسباط التى أنشأها السلطان صلاح الدين وتذكر الوثيقة أنها كنيسة من زمن الروم تعرف بقبر حنة « ويقال أن فيها قبر حنة أم مريم عليها السلام وفى الغالب أنه من الأقوال الشائعة » وقفها فى عام ٥٨٨هـ / ١١٩٢م وكان يتولاها أحد مشايخ السنة الشافعية ويذكر مجير الدين الحنبلى عن المدرسة أن السلطان عين وكيل بيت المال بالقدس الشريف ثم اشترى منه كنيسة حنا وهى المدرسة الصلاحية (٢١٧)، وقد ظلت هذه المدرسة إلى العصر العثمانى فى حوزة المسلمين إلى القرن التاسع عشر الميلادى فتنازل عنها الأتراك للفرنسيين بعد حرب القرم وأعطاها الفرنسيون إلي الفرنسيسكان فاتخذوها مدرسة إكليركية ١٩١٤م وأعادها الأتراك كلية باسم الصلاحية ولما سقطت القدس في يد الإنكليز أرجعوها للفرنسيسكان .

ولقد أوقفت عليها أوقاف عديدة منها قرية سلوان وهى قرية تعود للعصر العثمانى ، وثيقة ١٠٤ من مجموعة وثائق مقدسية تشير إلى أن عشر القرية ورسومها وبادهوا « الرسوم والضرائب المتفرقة مثل رسوم التسجيل والغرامات إلخ » ، كانت جارية فى خاص أمير لواء القدس الشريف وهذه الضرائب كانت جزء من الإيرادات التى تدفع للسلطان والوالى وكان لهؤلاء أيضًا عشر مال الوقف حتى إذا كانت القرية موقوفة بكاملها كسلوان (٢١٨).

وهناك وثيقة تعود للعصر العثمانى رفعها ناظر ومفتى القدس بالمدرسة الصلاحية الشافعية على الشيخ عبد الرحيم أفندى مفتى السادة الحنفية بالديار القدسية ومتولى المدرسة الأحمدية ١٠٩٥ - ١١٠٤هـ / ١٦٨٣ - ١٦٩٢م فى خلاف على مال الوقف الجارى من قبل السلطان صلاح الدين وتسجيل جميع قرية سلوان أراضيها وما يسقيه الماء النابع بها وإن المرر من السلطة العليا ما يتحصل من جهة الوقف السابق ، ينكر أن ذلك سار إلى المدرسة الأحمدية وأن السيد عبد الرحيم يتعرض لفلاحى القرية ولا يجوز للسيد عبد الكريم أن يتعدى على ما جعله السلطان وليس له طلب على الفلاحين وعلى متولى المدرسة الصلاحية الشيخ ياسر .

كذلك فإن قرية أبو ديس كانت تدخل فى وقف صلاح الدين قاضى القدس بر محمد أفندى دفع مبلغ مقطوع للوقف مقابل حصوله على نصف المحصول .

المدرسة الأفضلية : وهى وقف الأفضل نور الدين على الحسن بن الملك صلاح الدين وتذكر الوثيقة أنها كانت تعرف قديماً بحارة المغاربة وقفها الملك الأفضل على فقهاء المالكية بالقدس ووقف أيضاً حارة المغاربة على طائفة المغاربة على اختلاف أجناسهم ذكورهم وإناثهم وكان الوقف حين سلطنته على دمشق ، وكان القدس من مضافاته ولم يوجد لها كتاب حصر الوقف لكل جهة وثبت مضمونه لدى حكام الشرع الشريف بعد وفاة الواقف .

والمدرسة المعظمية : تنسب إلى الملك المعظم عيسى ابن السلطان العادل ٦١٠هـ / ١٢١٣م(٢١٩)، وهى مقابل باب شرف الأنبياء المعروف بباب الدويدارية تاريخ وقفها فى التاسع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م ويذكر مجير الدين أنه أوقفت عليها جهات كثيرة مزارع وقرى وقد أخذ غالبها وصار فى عصره بأيدى الناس إقطاعًا وملكًا ولاتزال آثارها في العصر الحديث قائمة على الجانب الشمالى من طريق المجاهدين .

المدرسة الميمونية : فى باب الزاهرة على مقربة من باب الساهرة واقفها الأمير فارس الدين أبو سعيد ميمون بن عبد الله القصرى خازندار الملك صلاح الدين ٥٩٣هـ / ١١٩٦م أوقف بيوت فى باب الزاهرة ، وقرية بيت دجن وتاريخ تجديد الوقف ٩٩٣هـ / ١٥٨٥م ويذكر مجير الدين أنه لم يبقى لها نظام فى عصره ، ولقد اندثرت واتخذ جانب منها فاخورة وظلت إلى أواخر القرن التاسع عشر فعمرها الأتراك (١٣٣٠هـ / ١٨٩٢م) وسموها قدس شريف وسميت خطأ المأمونية نسبة إلى الخليفة العباسى المأمون وتعلم بها الكثير من أبناء بيت المقدس (٢٢٠).

وقف السلطان الملك الناصر يوسف ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م على مدرسته بالقدس الشريف أوقف قطعة أرض فى قرية عين سلوان وحمام فى باب الأسباط وأخران فى باب حطه ودكاكين فى سوق العطارين ودور وقاعات متفرقة فى القدس وخان فى باب الحطه وبستان فى باب المغاربة وأرض فى الخليل ومن الواضح أن الأملاك الموقوفة على المدرسة تنوعت وشملت عقارات منوعة مما يعكس حياة اقتصادية نشطة ارتبطت بالازدهار العلمى فمن أراض وبساتين إلى خانات وحمامات وأفران ودكاكين عطارة تدل على نشاط تجاري مما يعود على الوقف بدخول جيدة تساعد على ازدهار النشاط فيها .

المدرسة البدرية : وهى وقف بعائلة الهكارية قادة صلاح الدين مؤسسها وهو الأمير بدر الدين محمد أوقف على المدرسة البدرية فى القدس ، كذلك أوقف ابنه شرف الدين عيسى وهو

أيضًا من كبار المجاهدين ضد الصليبيين علي دار فى القدس سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م ويذكر التسجيل ٦٨ من سجلات محكمة القدس أن وقف عيسى وبدر الدين الهكارى كان يضم عدة قرى فى شمال غربى القدس والمدرسة البدرية تقع بخط مرزبان بالقرب من اللؤلؤية ومن زاوية ولى الله تعالى الشيخ محمد العربى ، وأوقفها بدر الدين على فقهاء الشافعية ٦١٠هـ واستشهد فى الغور بالقرب من نابلس ٦١٤هـ/١٢١٧م وحمل إلى تربته بالقدس وللمدرسة أوقاف فى حى الواد وبيوت فى محل باب الزاهرة (٢٢١).

واستمر الاهتمام بالمدارس فى عصر المماليك لأسباب عديدة منها شعورهم بأصولهم غير العربية ولتقريب العلماء لدعم حكمهم بالإضافة إلى اهتمام بعضهم بالحياة العلمية .

المدرسة الأباصيرية : تجاه الرباط المنصورى أنشأها الأمير علاء الدين أيدغدى ٦٦٦هـ / ١٢١٧م وهو مدفون بها (٢٢٢).

المدرسة الأشرفية : وقف السلطان الأشرف قايتباى على المدرسة وينسب بنائها إلى الأمير حسن الظاهرى ناظر الحرمين الشريفين القدس والخليل فى أيام السلطان خشقدم حيث شرع فى بناء مدرسة بجوار باب السلسلة برسم السلطان المذكور ولكن السلطان خشقدم لم يلبث أن توفى ٨٧٢هـ/١٤٦٧م ولما تولى الأشرف قايتباى الحكم (٨٧٢هـ / ١٤٦٨م - ٩٧١هـ / ١٤٩٦م) ، تقدم الأمير حسن إلى السلطان قايتباى وسأله أن تنسب إليه وعرفت باسم المدرسة الأشرفية ورتب لها شيخًا وصوفية - أوقفها السلطان قايتباى على مدرسته بالقدس ، ثم حضر الملك الأشرف قايتباى إلى القدس الشريف ٨٠٨هـ فلم تعجبه فلما كان فى سنة أربع وثمانون جهز خاصكية لهدمها وتوسيعها بما يضاف إليها من عمائر فكان الابتداء فى حجر أساس المدرسة الموجودة الآن فى رابع عشر شعبان ٧٨٥هـ وعمل على ظاهرها الرصاص المحكم بظاهر المسجد الأقصى كما ذكر مجير الدين (٢٢٣). والحجة التى أوقفها السلطان على مدرسته بالقدس محفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة تحت رقم ٨٨٧ مؤرخه فى الحادى والعشرين من شهر شوال سنة إحدى وثمانون وثمانمائة وقام بنشرها أ.د عبد اللطيف إبراهيم ، وهناك وثيقة مقدسية للوقف بتاريخ ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م ولقد أوقف السلطان عليها الكثير من القرى ، قرى بربر جولس ودمر النجد ، بيت عفا ، أخصاص عجلان «غزة» ، قرية جديدة (٢٢٤)، سكرية القاضى وقرى أخرى عديدة وعدد من المزارع وخان وحوانيت خان بظاهر غزة وطواحين وسوق التركمان ومن حجم الأوقاف التى بلغت ثلاثة وخمسين وتنوعها

يتضح أن دخل الوقف كان كبيراً مما يدل على حجم الأنشطة التعليمية الموقوفة عليه وللسلطان وقف على مدرسته وجامعه وتاريخ الوقف ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م أوقف عليه قرى وفرن خبز وقطعة أرض تعرف بأرض السكى الآن تعرف بأبو رقية (٢٢٥).

المدرسة الدويدارية : بباب شرق الأنبياء وهى التي تسمى باب المسجد باب الدويدارى ، وقد ورد فى كتاب الوقف المنسوب لواقفها أنها تعرف بدار الصالحين وهو مكان مأنوس واقفها الأمير الكبير الغازى المجاهد علم الدين أبو موسى سنجر بن عبد الله الدويدار الصالحى النجمى عمارتها ٦٩٥هـ / ١٢٩٦م وتاريخ وقفها ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م .

ومن أشهر المدارس التى أنشأها أمراء المماليك المدرسة التنكزية واقفها الأمير تنكز الناصرى نائب الشام وهى مدرسة عظيمة ليس فى المدارس مثلها كما ذكر المؤرخون انفق عليها وهى بخط باب السلسلة وهى على الأروقة الغربية بالمسجد ولواقفها مآثر فى المسجد وعمائر كثيرة منها الرخام الذى فى قبلة المسجد عند المحراب ، فى الجامع الأقصى ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م وعمل الدكة الرخام بين الصخرة والأقصى ، وكذل أنشأ سوق القطانين والحمامان الكائنان فيه والخان ، وعلى باب المدرسة تاريخها ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م وتوفى تنكز بقلعة الإسكندرية مسموماً ودفن بالإسكندرية ثم نقل إلى تربته بدمشق وقد جاوز الستين وكان نقله بدمشق ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م وفى العهد التركى صارت مدرسته محكمة شرعية سكنها رئيس المجلس الإسلامى .

المدرسة الملكية : عمرها الحاج ملك الجوكندار وكان بناؤها فى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون فى مستهل محرم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة مكتوب فى حائطها القبلى فوق الرواق الشمالى بالمسجد الأقصى أما الوقف فإنه من زوجته ملك بنت السيفى قلطق ثم الناصرى وتأريخ وقفها ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م والظاهر أن زوجها عمرها من مالها .

المدرسة الموصلية : بباب شرق الأنبياء واقفها الخواجا فخر الدين الموصلى (٢٢٦).

المدرسة الجالقية : على بعد مائتى من الحرم من الغرب أنشأها الأمير ركن الدين بيبرس الجالق الصالحى (٧٠٧هـ / ١٣٠٧م) .

المدرسة الجاولية : واقفها الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب غزة مولده ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م وكان من أهل العلم وله مصنفان وترجمته فى طبقات الشافعية توفى ٧٤٥هـ وقد

صارت المدرسة بعد ذلك سكنًا لنواب القدس وممن أفتى بها الشيخ درياسى الكردى الهكارى وكان صالحًا معتقداً وأصبحت تتبع عام ١٩٢٠م(٢٢٧) المجلس الإسلامى واتخذوها مدرسة وفى حرب ١٩٤٨م اتخذت مقرًا للكتيبة السادسة فى كتائب الجيش العربى .

المدرسة الصبيبية : واقفها الأمير علاء الدين على بن ناصر الدين محمد نائب الصبيبية ولى نيابة القدس وعمر بها المدرسة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م .

المدرسة الفارسية : واقفها الأمير فارس البكى ابن الأمير قطلو ملك بن عبد الله نائب السلطنة بالأعمال الساحلية والجبلية ونائب غزة وهو المنسوب إليه الفارسية بداخل المسجد الأقصى أوقف حصة من قرية طولكرم وتاريخها ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م ، ووقف الأمير منجك على مدرسته والفائض من مصروف المدرسة لأولاد الواقف ويعود لعام ٧٧٠هـ أوقف حمام أرض وبناء فى صفد وحوانيت تعرف بالوكالة له قاعة ، وحكر فى قرية في صفد .

والمدرسة الخاصكية : أشهر مدارس الرملة بلغت درجة من الازدهار فى القرن التاسع الهجرى .

المدرسة الجهاركسية : بجوار اليونسية من جهة الشمال وكانت كنيسة من بناء الروم تنقسم إلى نصفين الأول جعل للمدرسة الجهاركسية والثانى جعل للزاوية اليونسية والجهاركسية نسبة إلى واقفها الأمير جهاركس الخليلى أمير الظاهر برقوق توفى ٧٩١هـ / ١٣٨٨م .

وقف المدرسة الباوردية : بباب الناظر بالقرب من التشتمرية واقفتها الست الحاجة سفرى خاتون ابنة شرف الدين أبى بكر بن محمود المعروف والدها بالباوردى تاريخ وقفها فى يوم الأحد ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م (٢٢٨).

المدرسة الطازية : تقع بجوار المسجد الأقصى من ناحية الغرب أوقفها الأمير طاز ٧٦٣هـ / ١٣٦٢م ولقد أطلق مجير الدين عليها اسم مدرسة والبعض يطلق عليها التربة الطازية ولقد اشتهرت بالتعليم ولقد درس بها جماعة من الشافعية أكثرهم من آل القرقشندى بخط داود بالقرب من باب السلسلة ويسكن بها الآن آل هداية .

المدرسة الحنبلية : بناها بيدمر نائب الشام ٧٨٠هـ / ١٣٨٠م بباب الحديد (كان بيدمر متوليًا لنيابة دمشق فى سلطنة الأشرف شعبان بن حسين فى ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م وفرغ البناء

٧٨١هـ / ١٣٧٩م ، ويسكنها جماعة من آل قطب هناك العديد من الأثرياء وكبار موظفى الدولة أقاموا المدارس وأوقف الأوقاف لتنشيط العملية التعليمية ولقد ظهرت كثير من الأسماء كمدرسين لتلك المدارس .

المدرسة البلدية : شمال باب السكينة بجوار السلسلة أنشأها الأمير سيف الدين منكلى نائب حلب توفى ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م (٢٢٩).

المدرسة السلامية : بباب شرق الأنبياء تجاه المعظمية وهى بجوار المدرسة الدويدارية من جهة الشمال واقفها الخواجة مجد الدين أبو الفدا إسماعيل السلامى ولم يطلع مجير الدين على وتم وقفها سنة ٧٠هـ / ١٣٨٠م(٢٣٠) ولقد شغل منصبًا دبلوماسيًا فى العلاقات بين مصر والمملكة الأيلخانية .

المدرسة الوجيهية: بخط درج المولة عند باب الغوانمة وقف الشيخ وجيه الدين محمد بن عثمان بن أسعد ابن النجا الحنبلى ٧٠١هـ / ١٣٠١م(٢٣١) .

المدرسة الباسطية : شمال الحرم أنشأها شيخ الإسلام شمس الدين الهروى شيخ المدرسة الصلاحية عمرها القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقى ناظر الجيوش وعزيز المملكة ٨٣٤هـ / ١٤٣٠م(٢٣٢).

المدرسة المحدثية : بالقرب من الوجيهية عند قبر الغوانمة واقفها رجل من أهل العلم كان محدثًا واسمه عز الدين أبو محمد عبد العزيز العجمى الأردبيلى تاريخ وقفها ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م ويقيم الآن فى جزء منها آل الشهابى .

المدرسة الطولونية : داخل المسجد على الرواق الشمالى يصعد إليها من السلم المتوصل منه إلى منارة باب الأسباط وهى التى أنشأها شهاب الدين أحمد بن الناصرى محمد الطولونى الظاهرى فى زمن الملك الظاهر برقوق على يد مملوكه أقبغا قبل الثمانمائة وكتب لها كتاب زمن الإنشاء (٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) .

المدرسة المزهرية : بباب الحديد تجاه المدرسة الجوهرية وقفها الزينى أبو بكر بن مزهر الأنصارى ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م يسكن فيها الآن آل الشعبانى أوقف عليها فى قرية بيت ساحور الوادى التابعة للقدس .

المدرسة الزمينية : غربي الحرم فوق الإيوان الذى بباب القطانين أنشأها الخودجكى «تاجر» الشمسى محمد بن الزمردخان ٨٨٦هـ / ١٤٨١م يسكنها آل عفيفي .

المدرسة التشتمرية : بباب الناظر وقفها الأمير تشتمر السيفى من أمراء الملك الناصر حسن بن محمد قلاوون سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٧م.

والمدرسة الطشتمرية : فى طريق باب السلسلة بناها الأمير طشتمر العلائى سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م.

مدرسة أمير يلبغات : على مدرسته ومجده فى مدينة الرملة تعرف الآن بالخاصكية سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م أوقف مزرعة قاقون تبع نابلس وقرية دير شرف .

مدرسة ابن عمر فى الصالحية لواء غزة : أوقفها شمس الدين محمد وأوقف عليها قطعة أرض تعرف بالديوية والبريكية فى عسقلان ، أوقف ١٣ سهماً .

مدرسة حسام الدين الناصرى بالقدس : قام بوضع شروط خاصة بالوقف بالنسبة للمدرسين والفقراء والأيتام القاطنون بها والأعمال المرتبطة بها وعدد العاملين وتعود لسنة ٩٣٨هـ / ١٥٣١م أوقف عليها غرس .

المدرسة الفنرية : مقابل الطولونية من جهة الشرق يصعد إليها من السلم الموصل منه إلى باب الأسباط وهى من إنشاء شهاب الدين الطولونى عمرها مع مدرسته المتقدم ذكرها وجعلها للملك الظاهر برقوق فلما توفى الملك الظاهر برقوق وآل الأمر لولده الملك الناصر وقف لها قراء وأقام نظامها وجعل لها معالم تعرف ، ولما توفيت أخته خوند سارة ابنة الملك الظاهر برقوق زوجة نوروز نائب الشام فى ٨١٥هـ / ١٤١٢م دفنت بها ثم لما توفى الملك الناصر فرج لم يكن لها كتاب وقف فاشتراها بعد وفاته رجل من الروم يقال له محمد شاه بن الفنرى الرومى ووقفها ونسبت إليه وسميت الفنرية والذى باعها ولد منشأها ابن الطولونى المتقدم الذكر .

المدرسة الحسنية : أورد مجير الدين مدرستين باسم الحسنية واحدة بباب الناظر على رباط علاء الدين أوقفها الأمير حسن الكشكيلى ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطة بالقدس فى ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م والثانية على باب الأسباط ويذكر مجير الدين أنه لم يطلع لها على كتاب وقف ولم يتحقق أمرها ولكن أخبرت أنها وقف شاهين الحسينى الطواشى وأنه من دولة الملك الناصر حسن المتوفى ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م ولم يكن لها حكم المدارس فى النظام

والشعائر (٢٣٣)، وإنما صارت فترة تتخذ للسكن وهى من جملة المسجد الأقصى يؤتى ريعها لجهة وقفه ، والظاهر أن واقفها توفى قبل إبرامه وانتقلت مع الزمن لجماعة من النصارى(٢٣٤).

والمدرسة الحسنية الأخرى : بباب الناظر غرب الحرم فوق رباط علاء الدين البصير منشأها الأمير حسن الكشكيلى ناظر الجهة ونائب السلطة فى القدس ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م يسكنها الآن آل البديرى (٢٣٥).

المدرسة الغادرية : بداخل المسجد أوقفها الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بعد أن عمرتها زوجته مصر خاتون ، ولم يوجد بها كتاب وقف فكتب محضر من ماله وثبت فى عصر مجير الدين ٧٩٨هـ / ١٤٩١م وبناؤها فى سلطنة الملك الأشرف برسباى فى ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م . وفى وثيقة رقم ٥٤ سنة ١٧٨٨/١٢٠٣ الشيخ خليل المعروف بالعيزراوى تنازل عن الإشراف والنظر عن جامع بقرية بيت حتينا المعروف بجامع الشيخ إبراهيم والجامع بقرية قاعور المعروف بجامع الأحمدية الجامع بقرية حوسان جامع الشيخ محمد والجامع بقرية علار المعروف بالشيخ أحمد الحورانى وقرية عين عريك بمقام الشيخ حسن والجامع بقرية بيت نوبة المعروف بجامع الطرفينى والجامع بقرية يالو الجامع العمرى تنازل عن كل ذلك لولديه الشيخ إبراهيم والشيخ خليل .

المدرسة الملكية : بناء قوطلق تمر ثم أوقف عليها الخان وأرض بناء فى مدينة غزة المعروفة بخان الحبالين ، وجميع الحوانيت السبع الملاصق للخان المذكور من جهة الشرق والمخازن الأربع المعروفة للواقف بمدينة غزة .

المدرسة الكريمية : بباب حطة واقفها الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله بن مكناس ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية وتاريخ وقفه ٧١٨هـ / ١٣١٨م (٢٣٦).

المدرسة اللؤلؤية : « البدرى لؤلؤ غازى » زاويته ورباطه بالقدس الرباط ٧٧٥هـ / ١٣١٣م والمدرسة ٧٨١هـ / ١٣٧٩م بخط مرزبان بجوار حمام علاء الدين من جهة الشمال أوقف قرية بيت ساور (٢٣٧).

المدرسة الأسعردية : بناهر تاجر الرقيق مجد الدين عبد الغنى الأسعردى ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م أصبحت دار للكتب باسم المسجد الأقصى .

المدرسة العثمانية : بباب المتوضأ أوقفتها امرأة من كبار الروم واسمها أصفهان شاه خاتون وتدعى غانم ولها أوقاف ببلاد الروم وغيرها وعليها تاريخها ٨٤٠هـ ، ودفنت بقرية مجاورة لسور المسجد الأقصى .

ولقد استمر الأمر فى العصر العثمانى وأقيمت العديد من المدارس أقامها رجال ونساء الدولة .

المدرسة الأمينية : الكائنة بالقدس الواقعة قرب باب المسجد المشهور بباب الأنباء المعروف بمدرسة زين العرب ١٢٠٣هـ / ١٧٨٨م .

المدرسة القادرية : الإمام السيد مصطفى أفندى الصلاحى وثيقة ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م.

مدرسة الحمرا : ورد ذكرها فى عدد من الوثائق الوقفية .

المدرسة الخاصكية : بمدينة الرملة وقفية السلطان سليمان القانونى وهناك وثيقة شاملة تذكر قائمة بأسماء المدارس فى أواخر القرن السادس عشر أى فى العصر العثمانى وتشمل وظائف العاملين بها وتاريخ الوقفية وغالبًا التاريخ فى بعضها هو التاريخ الجديد لتسجيل الوقفية (٢٣٨).

والمدارس كما يلى: الفارسية – المدرسة الميمونية – المدرسة الأرغونية – المدرسة النحوية – المدرسة الطيلونية – المدرسة الدنكزية – المدرسة الكريمية – المدرسة الخاتونية – المدرسة الطواشية – المدرسة الزمينية – المدرسة السلامية – المدرسة المنجكية – مدرسة دار الحديث – المدرسة الطازية – المدرسة الملكية – المدرسة الفنرية – المدرسة الكاملية – المدرسة الفخرية – المدرسة الأفضلية – المدرسة القادرية – المدرسة الزهرية – المدرسة الجوهرية – المدرسة الحسنية – المدرسة الأمينية – المدرسة الماوردية – المدرسية المعظمية الحنفية – المدرسة الظاهرية – المدوسة الطشتمرية – المدرسة الجراحية– المدرسة اللؤلؤية – مدرسة منكلى بغا «البلدية » – المدرسة العثمانية – المدرسة القايتبائية – المدرسة الوجوهرية والمدرسة الجركسية.

ولقد وردت أسماء وظائف فى العصر العثمانى مرتبة على بعض المدارس توضح طبيعة الأعمال فى تلك المدارس .

ووجدت فى وقف المدارس الوظائف التالية :

المدرسة الفارسية : مدرس – نصف ناظر ونصف شيخ – قرئ قرآن – جابى – متولى – بواب – كاتب .

المدرسة الميمونية : ٢ مدرس – متولى – نائب ناظر – إمام مشهد – ناظر – وشيخ بلا تعيين – بواب – مؤذن – فقيه – مدرس – كاتب ووقف جابى – قارئ قرآن .

المدرسة الأرغونية : مدرس – ناظر – متولى على أشخاص .

المدرسة النحوية : المدرس بدر الدين الدويك .

المدرسة الخاتونية : متوليان بالاشتراك – نصف ناظر – مدرس – بواب – إمام قارئ بخارى .

المدرسة الكريمية : مدرس وبواب .

المدرسة السلامية : ناظر وشيخ وفراش عامل – قارئ قرآن .

المدرسة المنجكية : ناظر – عامل مدرسة – إمام مدرسة – شغال – فراش – معيد – مشد ديوان مدرسة .

جهان دار الحديث : شيخ مدرسة وقارئ حديث – بواب – سامع حديث – ناظر وشيخ قارئ جزء .

جهان المدرسة الطازية : مدرس مدرسة – ومتولى – قيم مدرسة – بواب وفراش – فقيه – شاهد ومؤذن – إمام المدرسة .

المدرسة المالكية : قارئ حديث – كاتب – قراء أجزاء من القرآن .

المدرسة الكاملية : ناظر ومتولى .

المدرسة الفنرية : مدرس مدرسة .

ولقد أفتى ودرس بهذه المدارس كبار العلماء والفقهاء وإلى جانب المدارس وجدت المساجد التى تم إيقاف الأوقاف عليها واتخذت كمراكز للتعليم فبعضها تحول إلى مراكز تعليمية ودرس به كبار فقهاء العصر .

المسجد :

من تلك المساجد : الجامع العمرى فى محلة حارة السريان بالقدس ويفصله عن دير مار مرقص للسريان طريق ضيق لا يتجاوز عرضه ثلاثة أمتار ولقد اكتشف المسجد ١٩٩١م.

مسجد أمير يلبعات الرملة - مسجد محلة سوق الخضر - غزة وهو فى وقف شرف الدين على عيسى ابن الوزير ولقد أوقف عليه دكاكين فى باب المسجد من الشمال وتاريخ الوقفية ، ٨٩٢هـ/١٤٨٦م . وقف مسجد خفاجة فى صفد فى محلة صواوين أوقف عليه قبو بيت وغراس زيتون وقطعة أرض معروفة بأرض خفاجة وأراضى فى كفر كنه وخراج أراض فى كفر كنه .

وقف مسجد أبو العزم ولايزال قائمًا أوقف نقدية ومحصول قرية لا يوجد تفاصيل عن الواقف ويعود إلى ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م.

أوقف الفارسي خليل بن الشهابى أحمد بن يوسف الحسامى على نفسه ثم خصص فى وقفية للجامع الجديد ، وعين رجل يقرأ القرآن عقب صلاة الفجر ويصرف له خمسة عشر درهمًا ، وفى كل ليلة جمعة سبعة دراهم ويصرف ثمن فاكهة تفرق على الفقراء وثمن ماء عذب فى كل شهر ثمانية دراهم يسقى على باب الجامع . وما فضل خصصه لأولاده وذريتهم وعتقائه فإذا انقرضوا يصرف على فقراء مكة والباقى يشترى به قمصان لفقراء المدينة .

مقبل الحسامى صرف عشر غرائر حنطة بكيل دمشق لمن يقرأ الحديث البخارى فى رجب وشعبان ورمضان فى كل خميس واثنين فى السنة بجامع صفد ويصرف فى كل شهر ستين درهمًا وما فضل على ذريته ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م.

أوقاف على المساجد والقبور :

وقف رمضان بن إلياس على تربته وسبيل الماء وعلى قراءة القرآن العظيم وقف فى الجامع العمرى الكبير أرض تعرف بستان الفرات وهناك أكثر من وقف أوقف على تربة الواقف وتراوح الموقوف بين قيمة محدودة وموقوفات كبيرة وقف الشيخ سليمان قمر الدين بن أحمد بن الرحى على نفسه وعلى تربته وما بقى على أولاده أوقف قرية كذلك وقف تربة سلمان قطعة أرض فى قرية عين سنة .

ووقف بدر الدين محمد أبو الهدى ابن الفوى فى ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م أرض فى عدة قرى وحوانيت فى سوق الخلواتية فى الرملة وغراس كرم .

وقف سيف الدين على الجامع المدفون به أبو هريرة صاحب رسول الله وتاريخ الوقفية ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م فى قرية يبنا تابع المجدل وجدد ٨٤٣هـ/١٤٣٩م مزرعتين بنى نعيم وخارجه وقطعة أرض فى يبنا .

وقف مسجد جبالية قطعة أرض (٢٣٩).

وقف مسجد الشيخ شهاب الدين أحمد بن عثمان ومزرعة فى خان يونس تابع غزة وحصة وقف ومزرعة قرى بيت لاهيا وقرية المنصورة ومزرعة تابع القدس ودكاكين فى سوق الشجاعية وبيوت فى محلة تركمان وحاكورة زيتون ومن الواضح من كم الأوقاف أنه به حركة علمية مزدهرة .

ولقد أوقف تمسند الحسينى على تربته ومسجده وتكية طاحون الرحا المعروف بالواطى والجدار الراكنة على نهر العوجا أوقف عليهم مؤذنًا وبوابًا وقيمًا ، فراشًا ، وأجرة لفرش التربة وتنويرها (٢٤٠)، والإنفاق على تعليم ثلاثة أيتام القرآن . كذلك وقف الأمير سيف الدين على مصالح تربته بقرية لفتا ٦٥١هـ / ١٢٥٣م .

وهناك التربة السعدية بباب السلسلة تجاه المدرسة التنكزية وباب المسجد واقفها الأمير سعد الدين مسعود ابن الأمير الاسفسهار بدر الدين سنقر بن عبد الله الجاشنكير الرومى الحاجب بالشام دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون تاريخ الوقف ٧١١هـ / ١٣١١م(٢٤١) وهذه المقابر يخصص لها مقرئين وتتحول إلى شبه حلقات علمية .

تربة الملك حسام الدين بركة خان مقابل المدرسة الطازية وانتهى من بنائها ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م بعد موته .

والتربة الكيلانية بجوار الطازية من جهة الغرب منسوبة إلى الحاج جمال الدين بهلوان بن الأمير شمس أن ابن قرشاه بن شمس الدين محمد الكيلانى اللاهجى المشهور بابن صاحب كيلان أوصى حفيده الأمير نظام الدين بأن يأخذ من ثلث حالة مائة ألف درهم فضة ويدفعها إلى ابن أخ الموصى ليبتاع مكانًا ويعمره كنزية بالقدس ويدفن به ، فى شعبان ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م ولقد عمرت ونقل إليها .

كذلك أوقف الأمير علاء الدين بن عمر نائب قلعة صيدا على مصالح تربته بالقدس وعلى أولاد ذريته غراس بستان فى أوقاف النصارى .

وقف على مصالح الجامع القبلى فى كفر كنه أوقفه علاء الدين وزين الدين أولاد أمير حج أوقفا عليه حمامًا فى قرية كفر كنه وبستان مجاور الحمام .

وهناك وقف آخر على جامع لا يحمل إلا اسم جامع قديم فى غزة أوقف عليه دكاكين فى سوق الغزل واللبان ودكاكين فى سوق العطارين والقطن وساقية فى الجمالية فى خان التبان

وقائمة طويلة تشتمل على قاعات فى أوقاف باسم عبد اللطيف والمحل وغراس كرمين ونخيل ودكاكين وقطع أرض فى غزة وحكر وأرض قاعتين وواضح من حجم الموقوف أنه كان جامع كبير وله مكانته .

وفى العصر العثمانى هناك عدد من المساجد التى أوقف عليها أوقاف وعمل بهم طائفة كبيرة من المدرسين .

المسجد الكبير على شاهد ضريح قبر على جاويش ، وجاويش كلمة تركية معناها حاجب أو حارس الباب ، وكانت فيما سبق اسم طائفة من أصحاب الدواوين عددها ٦٣ شخصًا يستخدمون فى شتى المحاكم ويسيرون فى طليعة المواكب الرسمية وكان رئيسهم جاويش وكيلاً لديوان الصدر الأعظم ، والمسجد الكبير فى جنين بناء السيدة ابنة محمد بك بن السلطان قانصوه الغورى وزوج لالا مصطفى باشا الصدر الأعظم ٩٢٢هـ / ١٥١٦م.

كذلك مسجد نور أحمدية قبر أحمد باشا والى عكا ١٢١٩هـ/١٨٠٤م والى إيالة صيدا حكمها من عكا وأحبط هجوم نابليون على عكا ١٢١٣هـ/١٧٩٨م بنى مسجد نور أحمدية على طراز مسجد استانبول ١١٩٦هـ / ١٧٨٦م وأوقف عليه بموجب كتاب وقف مؤرخ فى رجب ١٢٠٠هـ / ١٧٨٦م الغرض الإنفاق على عمارة المسجد ومشاهرات خدامه وعلى المدرسة التى تضم حرم المسجد وتحوى على ما يزيد على مائة من طلاب العلوم الدينية - أولاً ثم العلوم الدنيوية ولا تزال الصدقات جارية ويضم المسجد المكتبة الأحمدية وهى إحدى المكتبات العربية ومازال مخطوطاتها باقية إلى اليوم ، كذلك أوقف أفراد على مقابرهم (٢٤٢).

وقف الشيخ سليمان قمر الدين بن أحمد بن عبد الرحمن فى ٩٥٢هـ / ١٥٤٥م على نفسه ثم من بعده على مصالح تربته وما فضل لأبنائه .

الزوايا والخانقاوات :

هناك أوقاف على زوايا وخانقاوات ورباط الصوفية الذين تعددت فئاتهم فقد ذكرهم ناصر خسرو فى العصر الفاطمى ولكن ازدادت أعدادهم مع صلاح الدين . ونظام العمل في الخانقاوات نجد تجسيداً له فى خانقاه صلاح الدين فقد أنشأ الناصر صلاح الدين الخانقاه الصلاحية ووقفها على المشايخ الصوفية وهى معروفة بدار التبرك وقفها على الشيوخ والكهول والشباب والتابعين المتأهلين والمجردين من العرب والعجم وجعل الدار المذكورة رباطًا لهم

وسكن بها المقيمين والواردين إليها من ساير البلاد من الصوفية وشرط الواقف المذكور أن يجتمع جماعة الصوفية بهذا المكان المذكور فى صلاة العصر بأسرهم فى كل يوم يقرأون ما تيسر من القرآن العظيم فى ربعات شريفة ثم يدعون عقب ذلك للواقف والمسلمين أجمعين .

وأن يكون المرجع والأمر لشيخهم الناظر الشرعى ، وله أن يفوض النظر لمن يكون له المشيخة للابن الأكبر وإن عليه بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة بالمكان المذكور أو المسجد الأقصى الشريف ويقرؤن ربعات شريفة ويدعون للواقف وما تيسر من كلام شيخ الصوفية تاريخ الوقفية ٥٨٥هـ / ١١٨٩م .

وكانت الخانقاه قبلاً تعرف بدار البطرك والعقارات الموقوفة عليها تشمل دار البطرك وطاحون وفرن ودير وقبو كبير يعرف باسطبل البطرك ومن ضمن الموقوفات أيضًا حمام البطرك والقبور والحوانيت المجاورة وبركة البطرك وبركة ماملا ، والقناة الواصلة بين بركة ماملا . إلي بركة البطرك ، وفى خارج السور إلى الغرب ما يعرف بأرض الجورة الشمالية والجورة الجنوبية وأرض البقعة بظاهر القدس وقطعتا أرض مجاورتان للبقعة وتفصيل الأوقاف ورد فى وثائق مقدسية .

ولقد أعيد التسجيل فى ٩٤٨هـ / ١٥٤١م والأوقاف وفقًا للتسجيل الجديد تشمل قبو طاحون بحارة اليهود بيت حاكورة - حاكورة بيت حصر الرومى - حاكورة بيد النصارنى الكرجى - حاكورة مجاورة لبركة حمام الترك - دور الخراب المقامة تجاه الحمام بالإضافة إلى محراب المسجد الموجود فى الخانقاه أنشأ عليمى بن علم الدين زمن المنصور قلاوون وثيقة ١٤٣ مقدسية .

وأوقف الناصر صلاح الدين على زاوية المغاربة قرية عين كارم وقرية فى محلة باب السلسلة وتاكد وقف الخانقاه ٩٤٨هـ / ١٥٤١م أوقف عليها بيوت فى باب قبو طاحون بحارة اليهود حاكورة بيد أبو بكر الحصين حاكورة بيد خضر الرومى . وبحارة النصاري حاكورة مجاورة لبركة حمام التبرك دور الخراب تجاه الحمام ودار خراب .

زاوية الدركاه : بجوار البيمارستان الصلاحى وكانت فى زمن الإفرنج دار الاستبار وهى من هيلانه أم قسطنطين وعليها منارة تهدم بعضها وكانت قديمًا تتخذ لإقامة نواب القدس واقفها الملك المظفر شهاب الدين غازى ابن السلطان الملك عادل أبى بكر بن أيوب صاحب ميافارقين ٦١٣هـ / ١٢١٦م.

وأوقف الظاهر بيبرس البندقدارى فى أرض أرسوف بغرب البحر المالح والميت على ضريح السيد الجليل على بن عليم بن محمد بن يوسف بن يعقوب توفى ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م أوقف عليه قرية الحرم ساحل أرسوف بين قيسارية ويافا ومن الأولياء المشهورين نسبه الصحيح الثابت عليل باللام صاحب الكرامات المشهورة والمناقب الظاهر وضريح السيد على بن عليل بشاطئ البحر المالح بساحل أرسوف وعليه مشهد عظيم مأثور وفيه منارة وأهل تلك النواحى فى حفظه وتوفى ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م فى فترة الظاهر بيبرس . ولقد أوقف إينال أيضًا على قرية على بن عليم ، وفى كل سنة فى زمن الصيف تأتيه الناس من بلاد بعيدة وقريبة ويسمى الناس مقامه بالحرم ويطعم الناس من غلة وقفة (٢٤٣).

الزاوية الوفائية بباب الناظر تجاه المدرسة المنجكية وعلوها دار من معالمها بقرب دار الشيخ شهاب الدين الهائم ثم عرفت ببنى أبي الوفا لسكنهم لها ، وهى بقرب دار معاوية .

زاوية الشيخ يعقوب الوجمى : بالقرب من القلعة وكانت كنيسة من بناء الروم وقد اشتهرت فى أيام مجد الدين بزاوية شمس الدين ابن الشيخ عبد الله البغدادى أحد العدول بالقدس كانت سكنة وتلاشت .

زاوية الهنود : بظاهر باب الأسباط وهى قديمة وكانت للفقراء الوفائية ثم نزل بها طائفة الهنود فعرفت بهم وأوقف أحد الأمراء وهى السيفى منجك على شيخ الزاوية ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م الشيخ أحمد البدوى وعلى نسله من الذكور ومن بعدهم على الفقراء بالزاوية وعليهم قرامة القرآن ونظارة الوقف للأرشد من الأولاد ثم لحاكم المسلمين (٢٤٤).

وهناك من أوقف زاوية على نفسه كأبو بكر محمد بن مزهر على زاويته فى ميدان فى قبو الحصى من دور الشام وعن قرية مجدل تابع تبنين صفد .

زاوية الأزرق تنسب إلي الشيخ إبراهيم الأزرق وهى قديمة وبها قبور جماعة منهم الشيخ إسحاق بن الشيخ إبراهيم وتوفى ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م.

وقف شيخ مجد الدين عبد الملك بن أبى بكر الموصلى أوقف على أنصار قراء قرآن والوقف موقوف على سبعة أنفار شيخ حافظ للكتاب وستة أنفار يلقنهم القرآن - يصرف ١٥ درهم للشيخ بالإضافة إلى ٧,٥ درهم و ٢٠ درهمًا للمحدث يقرأ البخارى فى رجب وشعبان ورمضان ثم على الفقراء وهى ثلث الوقف والثلثان على ذرية الواقف الذكر مثل الأنثيين إلا إذا

كانت غير متزوجة والوقف أوقفه على عدة جهات ذريته ومدرسته وضعفاء البيمارستان والباقي علي مصالح الزاوية السلامية بالقدس ، أوقف قرية حيفا البطيخ بالقدس وغراس التين وأراض الصلاحية في القدس .

الزاوية الطواشية : بحارة الشريف تعرف قديمًا بحارة الأكراد وأوقفها الشيخ الصالح شمس الدين محمد بن جلال الدين عرب بني فخر الدين أحمد المجاور القدس ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م .

وقف وزاوية لولو غازي ورباطه بالقدس ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣م قرب بيت ساور تابعة للقدس.

زاوية المغاربة وهي بأعلا حارتهم وقف الشيخ عمر بن الله بن عبد النبي المغربي المصمودي عمرها وأوقفها على الفقراء سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م ويدفن بماملا عند حوش الشام (٢٤٥).

الخانقاه الباسطية : أقامها عبد الباسط بالقدس ليصرف على الأيتام وبلغ عددهم عشرة أيتام لكل منهم ١٥ درهم ولمؤدبيهم خمسون درهمًا ليتعلم الأيتام القرآن والخط العربي ويصرف لهم كسوة ثلاثون درهمًا وما يبقى على مصالح الخانقاة والسقاية وعلى فقراء المسلمين وقف الخانقاة أوقف على عشرة أيتام في قرية صور باهر تابع القدس .

زاوية البلاسي : بظاهر القدس من جهة وهي قديمة نسبتها للشيخ أحمد البلاسي وكان من الصالحين وقبره بها مشهور يقصده الزوار . كذلك ساهمت النساء في الإيقاف على الزوايا فالسيدة هي أوغول خاتون بنت محمد القازانية ٨٩٧هـ/١٤٩١م سميت زاويتها بالزاوية الخاتونية في منطقة ظهر الحمل والآن تعرف ببطن الحمل تابع القدس .

وقف جوهر القنقباي الرماحو على مصالح الخانقاة بالقدس ولم يحدد اسم الخانقاة وربما كانت باسمه وتاريخ الوقف يعود ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م وأوقف في أربع قرى قرية تقوع بالقدس وقرية بيت زيتون غزة وقرية كوفية « غزة » وقرية طول كرم في القاقون ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م.

وقف الرفاعية : وقف سيباي النائب بالشام على السيد شهاب الدين بن السيد تاج الدين الحسيني الرفاعي بمفرده أيام حياته ثم على أولاده وذريتهم ثم بعدهم على فقراء الرفاعية المقيمي بالزاوية في قرية الطابغة فإن تعذر على أولاد الواقف وذريتهم ومن يوجد من عتقاء الواقف وبعد الانقراض على الحرمين وتاريخ الوقفية ٩١٦هـ / ١٥٢٠م وسجلت ٩٣١هـ / ١٥٢٤م.

الزاوية الشيخونية : بالقرب منها عند سويقة باب حطة واقفها الأمير سيف الدين قطيشان علي بن محمد من رجال حلقة دمشق كانت بجوار بالقدس وجعل نظرها لنفسه ومن بعده لولده شيخون فسميت بالشيخونية نسبة لولد الواقف ، وقفها ٧٦١هـ / ١٣٥٩م(٢٤٦).

رباط الأمير بكز ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م على مدرسته ورباط النسا أى أن هناك نساء سلكن طريق الصوفية وأوقف عليها حمام محاكرة صغيرة عن قرية عين قبنيه ودكاكين فى جوار المدرسة وسوق القطانين ، ودكاكين ومدرسة محاكر ظهر الرباط حكرخان بالقرب من الحمام ، عن محصول قبان بجوار دار ابن أبو شريفة حمام فى القطانين كذلك فى وثيقة خاصة بالصرة الرومية والمصرية بتاريخ ١٢٠٥هـ / ١٧٥٠م أشير إلى جماعة نساء رباط قاسم .

الزاوية المهمازية : بالقرب من المعظمية من جهة الغرب منسوبة للشيخ كمال الدين المهمازى ووقع على مربع من الملك الصالح إسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون يشهد على أنها وقف على المشايخ المقيمين بها قرية بيت القيام من عمل القدس ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م وبها رجل من ذريته اسمه الشيخ خضر المهمازى (٢٤٧).

وقف السلطان أبو المعالى قلاوون على الرباط فى القدس الشريف ٦٨١هـ/١٢٨٢م ولقد أوقف على الرباط بستان زيتون فى غربى غزة المعروف ببستان وقف قرية طيبة فى نابلس قرية دير عصفور وقرية مغارة وقرية راس تابع بن صعب ، قرية عطا قرية مرقة قرية أبى نميرى ، بيت سكن مجد الدين بن دويك بيت ابن كريم وأمه نسيبة وقرى أخرى أى أنه شمل منازل وأحكار وطاحون وخان وحكر أرض وغرس ووقف آخر ضم للرباط منصورى قرب بستان الكبرى ومن مجموع القرى والأحكار يبدو أنه كان يضم أعداد كبيرة من الصوفية .

وفى وثيقة طلب رجل يسمى إبراهيم الناصر النزول فى مدرسة الرباط المنصورى ، وقدمه للقاضى وجاء الرد أنه إن لم يكن قد استكمل بالرباط المبنى لساكنه بالقدس الشريفة عدد عشرون فقيهاً فيستقر بالرباط المذكور وإن كان قد استكمل العدد وفقًا لشروط الواقف فمن توفى منهم أو توجه لسكنى بعيدة فيستقر عوضه ويعين له سكن فى الرباط المذكور ، ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م. وهناك طلب صدقة مقدم للحصول على مرتب من الرباط المنصورى وأمر القاضى بمرسوم منح الطالب صدقة مرتب من الرباط المنصورى ، ولقد عين رطل خبز فى كل يوم على الرباط المنصورى على أن يدعو للواهب وعلى أن يستقر له المرتب المذكور باسمه فى الوقف فى ذلك معروف يؤمر به امتثالاً لما رسم به .

الزاوية المحمدية : بجوار الباوردية من جهة الغرب أوقفها محمد بك زكريا الناصرى ٧٥١هـ / ١٣٥٠م(٢٤٨).

وقف محمود صوغانجى على الرباط الخاص به تاريخ الوقفية (٩٠٤هـ / ١٥٣٤م) .

الخانقاه الفخرية وهى مجاورة لجامع المغاربة(٢٤٩) فى جدار المسجد الأقصى واقفها القاضى فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله ناظر الجوش الإسلامية أصله قبطى فأسلم وكانت له أوقاف كثيرة وتوفى ٧٣٢هـ/١٣٣١م وأوقف عليها بساتين وأرض ودوراً وتم تجديد الوقفية ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م.

ورباط المدرسة التنكزية الذى ورد فى وثيقة فى أوقاف القاضى أحمد جلبى وابن نصوح حاكم لواء القدس ٩٥٢هـ/١٥٤٥م وكان يقع فى محله الأقصى المعروف بالسلسلة بالقدس وعلى مكتب تعليم الأيتام حيث أوقف دكاكين .

وقف بيرام جاويش على مصالح الرباط والمكتب الكائن بالقدس الشريف الذى أنشأه الواقف وعمره من ماله وتاريخ الوقفية رابع شهر رمضان ٩٥٣هـ/١٤٥٦م وبيرام بك مصطفى من زعماء لواء القدس ولقد أوقف على الرباط مكتبة أوقف خمسين ألف درهم عثمانى نصفها خمسة وعشرين ألف عثمانى وقف وهو مجاور للمدرسة الماوردية بالقدس وعلى مصالح المكتب خانة مكتب الأيتام .

ويصرف لمعلم الأطفال بالمكتب والبواب والذى ينظف ويكنس المكان يصرف مبالغ لكل ساكن فى حجرة الرباط خبز أو طعام أو إذا زاد الدخل يشترى به الناظر ضيعة عامرة وعقار(٢٥٠).

وكان بيرام جاويش بن مصطفى من رجالات الحكم العثمانى فى القدس فى القرن العاشر وقد تولى فيما تولاه إدارة العمارة العامرة . التكية الخاصكية وكان المتولي على أوقافها وهى وظيفة هامة ورئيسية فى القدس فى ذلك الوقت وطوال العهد العثمانى وقد سكن بيرم القدس وتوفى فيها وضريحه ظاهر اليوم عقبة التكية والرباط فى عقبة التكية أو عقبة الست فى القدس.

الزاوية الخلوتية : أوقف علاء الدين الخلوتى على الصوفية بالقدس والناظر شيخ الفقراء «الصوفية » ويعود لعام ٩٢٥هـ/١٥١٩م الدار بمحلة مشارقة بأعلا درج المولة وتعرف بدار أبى قاسم .

وبناء على شرط الواقف يؤخذ مائتى اقجه سنويًا من محصول أوقافه الموجودة فى طرابلس وأن توقف على البيت المذكور وهناك وقف عثمانى على الزاوية الخلوتية أوقفه سيد أحمد على الرومى الوقف على أربعة من القراء الخلوتية يقرأ أربعة أجزاء بالمسجد الأقصى الشريف ويهدون الثواب للواقف ولوالديه وذريته ويصرف ناظر الوقف خمسة أقسام لكل واحد من الفقراء الأربعة وللناظر قسم وحق تقرير من يلى مكانه من الطائفة الخلوتية الناظر على الخلوتية بعد سيدى أحمد الواقف الأرشد فالأرشد والموقوف غراس فى محلتين بأرض البقعة ظاهر القدس .

بالإضافة إلي وقف آخر على الشيخ على الخلوتى وهو وقف محمد جلبى أخو خاص بك على الشيخ على الخلوتى ثم على أولاده وذريته ثم بعد ذلك يكون وقفًا على الزاوية الكائنة براس درج الموله إنشاء الأمير خاص بك بالقدس الشريف يصرف ربع ذلك للفقراء الخلواتية ، الناظر الشيخ علي الخلوتي والوقف غراس عنب وتين بأرض طباله بظاهر القدس .

الزاوية الأدهمية : أوقفها منجك فى ظاهر القدس عن أوقاف فى صفد وهناك نساء أوقفن رباطات .

رباط الماوردى : بجوار التربة الأوحدية وقف منسوب لامرأتين من عتقاء الملك الصالح صاحب ماردين وشرطه أن يكون لمن يرد من ماردين وقد وقفت على حكر ثابت ٧٦٣هـ / ١٣٦١م .

وقف الشيخ مجد الدين عبد الملك بن بكر الموصلى أوقف على مصالح المدرسة السلامية . أشار لصرف ربع وقفه على مصالح الزاوية السلامية الكبرى بالقدس ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م وربما المدرسة كان ملحق بها زاوية أوقف قرية بعلين وقرية جيما البطيخ وغراس تين ومشمش بأرض الصلاحية فى القدس .

وقف لزاوية باسم الشيخ سليم وليس موضحًا كنيته فى قرية بيت لاهيا تتبع غزة مجموعها فدانين يشمل قطعة أرض وحدد أسماء عدة الأماكن مثل أرض العصلانية وأبيار .

وقف زاوية على أحد الصالحين والشيخ على بن مروان فى غزة وتشمل خمسة قطع أراض وحكورة تعرف باسم حسن مجدلاوى ويوسف مجدلاوى وبيت فى حارة الأكراد .

وهناك أكثر من فرد أوقف زاوية على تربته مثل الشيخ نبهان ولا توجد بيانات أخرى عنه أوقف زاوية على مصالح تربته فى غزة فى ٩٥٢هـ / ١٥٤٥م وأوقف عليها فى قرية زاوية تابع

غزة زاوية المرجيع فخصصه للفقراء الأحمدية المقيمين فى زاوية المرجيع بالغرب من القدس وأوقف عليهم كرم فى أرض المرجيع ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م.

مكاتب تعليم الأطفال :

وقف منجك على مكتب الأيتام فى القدس فى غزة ٧٧١هـ وكان المكتب مسئول عن عشرة أيتام من الفقراء وعلى كسوتهم وما فضل على البر والصدقة قرية وادى تابع غزة ٧٧١ وهناك مكتب التربة الطازية ٧٦٣ ، ومكتب المدرسة الجوهرية .

ووقف القاضى أحمد جلبى ابن نصوح الحاكم بلواء القدس الشريف ٩٥٢هـ على مكتب تعليم الأطفال والأيتام بالقرب من رباط المدرسة التنكزية فى محله الأقصى الشريف المعروف بالسلسلة بالقدس وأوقف عليها الدكاكين الأربعة الكائنة فى باب السلسلة بالقدس الشريف المجاورة للمدرسة التنكزية بالقدس محاكرة على الأرض أربعون عثمانيًا ٩٥٢هـ / ١١٠٥م(٢٥١).

وظيفة عن تأديب الأطفال بالمدرسة الخاصكية الكائنة بمدينة الرملة وقفية السلطان سليمان القانونى على تكية يتضمن أسماء أربع قرى مزارع وقفها السلطان سليمان القانونى ٩٢٦–٩٧٤هـ/١٥١٩–١٥٦٦م على تكية خاصكى سلطان إلحاقًا بالوقف وحررت الوقفية ٩٦٧هـ/١٥٥٩م بعد وفاة خاصكى سلطان بحوالى عام وهى قرى أو مزرعة كنيسة ومزرعة صدقية وكلها تقع فى ناحية صيدا . وهناك وثيقة ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م عن تعيين مدرس بها ومن مدرسيها فى هذا القرن الصوفى الشهير شهاب الدين أحمد بن حسين رسلان .

وطورغود زعيمًا من أرباب الإقطاعات العسكرية ومتوليًا على أوقاف العمارة ، وتكية خاصكى سلطان أوقف هو نفسه أوقافًا على القدس من ضمنها وقف على مكتب لتعليم الأطفال كما أوقف على تربته وكان فى المكتب والتربة والخانقاه كما فى بعض السجلات عدد كبير من العاملين فى أواخر القرن العاشر الهجرى منهم أربعة لإدارة الوقف وسبعة وثلاثون قارئًا للقرآن الكريم أما تربة طورغود وأوقافه وربما مكتبه أيضًا كان فى طريق الواد مقابل الهوسبيس النمساوى على يمين الزائر القادم من باب العمود .

وفى وثيقة ٦٢ أشير إلى وقف على معلم خانة بإيرام جاويش فى ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م حيث أوقف مزرعة بنى شجاع ومعه ملك بيد محمد بن زين الدين الكركى(٢٥٢).

وتلك المكاتب كانت نوعين الأول المكاتب التى يرسل الأفراد إليها أولادهم ليتعلموا مقابل أجر، والأخرى المكاتب التى أنشئت بهدف تعليم الأيتام والفقراء علاوة على صرف المبالغ النقدية كما ورد فى النصوص السابقة ووضعت اشتراطات لمعلم الأطفال أن يكون صحيح العقيدة متزوجًا وينبغى ألا يتباسط مع الأولاد وكان عليه تعليمهم القراءة والكتابة والخط وحفظ القرآن وبعض الأحاديث ولقد ذكرت فى أكثر من وثيقة صرف مبالغ لهم والاهتمام بكسوتهم وإطعامهم (٢٥٣).

وثائق الوقف تتضمن أسماء وقوائم خاصة بعلماء وشيوخ ومدرسين قاموا بالتدريس فى الزوايا والخانقوات والمكاتب ونجد من بينها أسماء علمية شهيرة تتردد عملت بالفقه والقضاء والإشراف على القضاء إلى جانب التدريس ، مما يؤكد الدور الفعال للأوقاف فى الحياة العلمية وازدهارها ولقد ساعدت الأوقاف كثيرًا من المؤسسات العلمية على النهوض برسالتها فتضمنت شروط الوقف أسس العملية التعليمية وحددت البناء وتعميره ومن يعمل به . والمسؤل عن إدارته والمسئول عن النظافة ، والسقيا ، والنفطجية ، ومتابعة حضور الطلبة ، ونفقات طعامهم وإقامتهم والمدرسين والفقهاء والصوفية ونفقاتهم بل أحيانًا تفرض ما يجب تدريسه وفى بعضها ألحق بها نفقات صيدلجى وطبيب وكان هناك مؤدبين للأولاد الصغار ومكاتب للأيتام ترعاهم ولقد استمرت تلك المنشآت عبر العصور محتفظة بكيانها تداول عليها أساتذة وأعلام وفقهاء عديدين فهناك فقهاء وعلماء ترجع أسماء بعضهم إلى العصر الأيوبى والبعض لعصر المملوكى وآخرين للفترة العثمانية (٢٥٤).

ونجد أسماء عائلات تتردد أسماء أبنائها عصرًا بعد عصر يتوارثون العلم ومن أسماء العلماء التى وردت فى الوقفيات عائلة الدميرى وعائلة الصوفى علاء الدين الخلوتى وأحفاده محمد بن عبد الله الخلوتى وصالح الخلوتى ، وأحمد الخلوتى ، ومحمد بن على الخلوتى ، والشيخ حسن بن أبى اللطف ، وأحمد بن أبى اللطف ، وشمس الدين بن عسيلة ، وموسى بن عسيلة وعائلة عليمى شهاب الدين عليمى وأولادهم وأحفادهم وعائلة الأسعردى عبد الباسط الأسعردى ومحمد أسعردى ، وعائلة جلبى ، حمزة جلبى ومحمود جلبى والشيخ بن سليمان الداودى .

وعائلة أبو السعود منها الشيخ عبد القادر بن أبى السعود وأبو الهدى أبو السعود وعائلة الدجانى ومنها الشيخ يونس بن الشيخ أحمد الدجانى والشيخ محمد بن شيخ أحمد دجانى ،

وعائلة بن غضية ومنها شمس الدين محمد بن غضية وصالح بن غضية وموسى بن غضية وعلاء الدين محمد الناصر وشمس الدين محمد بن إبراهيم الناصرى .

ومن أساتذة المدارس المشهورين فى العصر المملوكى ابن كيكليدى الشيخ علاء الدين بن خليل ومحى الدين بن جماعة والقرقشندى والشيخ يحيى بن شرف الدين قاضى الصلت وترجع أصوله للهكارية وكان يطلق على عائلته فيما بعد اسم آل الإمام وكان يسكن فى المدرسة الأمينية وأوقف مكتبته عام ١٠٧٧هـ / ١٥٩٨م على طلبة العلم وفى ٩٧٦هـ/١٥٦٨م ورد اسم الشيخ موسى بن جماعة ومحمد بن جماعة وبرهان الدين إلى جانب كبار الصوفية كشمس الدين البسطامى الذى كان يدرس فى المدرسة البسطامية ٨٧٥هـ/١٤٧٠م ، ولقد قام حسن عبد اللطيف الحسينى ١١٥٦هـ / ١٢٢٤م بإعداد تراجم لأهل القدس فى القرن الثانى عشرة الهجرى وهى تلقى الضوء على علماء القدس فى هذه الفترة ، ولقد حرص علماء القدس على اقتناء الكتب ففى وثيقة شرعية بالمحكمة خاصة بالكتب التى خلفها الشيخ شرف الديرى وكان شيخًا للمدرسة الصلاحية وناظر أوقافها ومفتى القدس خلف حوالى ١٠٨ كتابًا من أمهات الكتب فى اللغة والفقه والتفسير نفس الأمر بالنسبة للشيخ يحيى شرف الدين قاضى الصلت ومكتبته وعددها ٨٦ كتابًا والثقافة الغالبة هى الثقافة الدينية .

أوقاف مقدسية على أماكن دينية فى مصر :

هناك أوقاف تم إيقافها من قبل سلاطين المماليك وأمرائهم على مدارس ومقابر ومؤسسات تعليمية فى مصر حيث أن الدولة المملوكية كانت تسيطر على أراضى مصر والشام وكانوا يشكلون وحدة سياسية قام المماليك بإيقاف أراضى وأحكار وأغراس على منشآتهم فى مصر فأوقف السلطان الظاهر أبو سعيد جقمق على مدرسته فى بين القصرين فى مصر سنة ٧٨٨هـ / ١٣٦٨م قرية سعير تابع الخليل وقرية دراعه وقرية نمرين فى الغور .

وأوقف المؤيد شيخ على مدرسته والخانقاه الخاصة به فى مصر وتاريخ الوقفية ٨٢٣هـ / ١٤٢٨م أوقف عليها طواحين على نهر العوجا وأرض خراب عهدة رجل يسمى سيدى كنان مزهر على أن يعمرها ولقد أعيد تأكيد صورة الوقفية فى العصر العثمانى ٩٣٤هـ / ١٥٢٧م.

وأوقف السلطان إينال على خانقاه ومسجده الجامع فى مصر بتاريخ ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م وكان الوقف يشمل قرية حبيب الفخار وهى تابعة للقدس بجانب إيقافه إلى أوقاف عديدة على الصخرة وعلى تربة بن عليم فى القدس (٢٥٥).

وأوقف الملك الظاهر أبو سعيد قنصوة على تربته ومسجده فى مصر وتاريخ الوقفية ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م أوقف عدد من المزارع والقرى فى غزة والرملة والقدس ولقد تشبه عدد من الأمراء بسلاطينهم حيث أوقفوا فى القدس أوقافًا على مؤسسات دينية فى مصر .

أوقف قورقماز أمير كبير على تربته ومدرسته فى مصر قرية صرفند الكبرى التابعة للرملة(٢٥٦).

كذلك أوقف أقبغا بن عبد الله الأوحدى على تربته بالقاهرة وقراء القرآن عليها مجموعة أوقاف تشمل أسهمًا فى عدة قرى كقرية المجدل التابعة لعسقلان وقرية حمامة التابعة لغزة وقرية الشماصية تابعة للمرج وأوقف جزء من ميراثه على ذريته وبعد الانقراض على الحرمين وكان الإيقاف فى عام ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م وجدد كتاب الوقف ٩٥٠هـ / ١٤٥٣م فى العهد العثمانى دلالة على استمرار الوقفية (٢٥٧).

وهناك من أوقف على الأزهر من أثرياء الشام وهو محمد بن مقبل الرومى الذى أوقف على جهات البر والصدقة منها الثلث على خدام الحجرة الشريفة النبوية والثلث على طلبة العلم الواردين بمصر إلى الجامع الأزهر والثلث على طلبة العلم الواردين على الرواق المعروف باسمه « ابن مقبل » فى غزة وتاريخ الوقفية يرجع ٩١٦هـ / ١٩٥١م أوقف قرية بيت حانون التابعة لغزة .

وجرت الإشارة فى أحد الوثائق إلى أوقاف ، وأنها تشمل أراضى فى بيت حنينا وأن ربعها فى وقف الخليل والصخرة والربع على الحرم النبوى والنصف أوقاف المصريين .

وفى المقابل جرت الإشارة إلى الصرة المصرية مع الصرة الرومية التى تتضمن هبات لأماكن ومؤسسات فى الشام .

الخاتمة

الأوقاف والأرض فى فلسطين :

من واقع الوثائق الوقفية السابقة والتي شملت نوعيات مختلفة من الممتلكات الموقوفة أراضى ومزارع عقارات ، دكاكين ، طواحين ، مخازن ، أقبية حمامات ، أسبلة ، مزارع ، بساتين منوعة من كروم وزيتون وتين ، وهناك قرى بأكملها دخلت فى دائرة الأوقاف ، نفس الأمر بالنسبة للمنشآت الدينية والتعليمية إلى جانب ما نتج عنها من نشاط اقتصادى فما حوته من أدوات ووسائل إنتاجية كالطواحين والحمامات والأقبية والمخازن والأسواق والدكاكين ذات الأنشطة المختلفة كلها ساهمت في إنعاش الحياة الاقتصادية وارتبطت بها فئات حرفية عديدة وتجار ، وانعكس هذا على الوضع الاجتماعى فظهرت برجوازية إسلامية ارتبطت بدورها بالأرض وحرصت على استمرار وضعيتها الاجتماعية بإيقاف الأوقاف على ذريتها مع عدم التفريط فى أساس رأس المال الذى كان غالبيته أو مجموعه عين تتوارثه الأجيال كما رأينا فى العديد من الوقفيات التى استمرت عبر قرون طويلة بل أن بعضها رجع بأصوله إلى الصحابة الأوائل كعبادة بن الصامت الذى استمرت أوقافه إلى العصر العثمانى .

ولقد أدى هذا إلي ظهور عائلات مقدسية مترابطة ارتبطت مصالحها بتلك الأوقاف وتولت المناصب الإدارية والدينية بقرون طويلة واستمر بعضها إلى اليوم كأسرة الحسينى والخالدى وآل مراد .. إلخ .

فالأوقاف تمثل نوعًا من الارتباط بالأرض واندماج الفرد فى مجتمعه الذى عاش فيه قرون ويدحض المقولة اليهودية بأن التواجد العربى والإسلامى على أرض القدس طوال تاريخها كان محدداً وعلى رغم تغير الوضع الإدارى للقدس بين الدول الحاكمة . فالأيوبيين جعلوا أمرها يناط بوال هو أحد أمراء السلطان وفى بداية حكم المماليك كانت ولاية صغيرة تتبع نيابة دمشق وإن ذكرت بعض المصادر أنها كانت نيابة كسائر نيابات الشام وإن كان القلقشندى يذكر أن نائب القدس الشريف ، وهو ممن استحدثت نيابته فى الدولة الأشرفية سنة سبع وسبعين وسبعمائة دولة شعبان بن حسن وأضيف إليها نظر الحرمين والخليل والقدس .

وفى العصر العثمانى وفي سجلات القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت فلسطين مقسمة إلي سناجق ملحقة بولاية الشام وفى دفتر التحرير ٩٣٤هـ / ١٥٢٧م أى بعد التحاق فلسطين بالإدارة العثمانية بعشر سنوات ذكر أن فلسطين تتكون من ألوية ثلاث : هى لواء القدس وغزة ولواء نابلس وصفد ولواء السلط وعجلون وذلك ضمن ولاية الشام ، أما فى التحرير الذى أجرى خلال ٩٧٦-٩٨٢هـ/١٥٦٨-١٥٧٤م فنرى أن فلسطين تضم خمسة ألوية هى ألوية صفد والقدس وغزة ونابلس وعجلون وفى منتصف كامل كبه جى رقم ٦٢ نرى السلط وعجلون معًا وأن هذه الألوية تتبع ولاية الشام ودفتر يقسم فلسطين إلى خمسة ألوية مجتمعة فى آن واحد ورغم التقسيمات الإدارية وتعديل ما يدخل فى نطاقها فإن الأوقاف ظلت محتفظة بكيانها .

ومن واقع الوثائق الوقفية سواء تلك التى أعدها د. كامل جميل العسيلى استناداً لسجلات المحاكم الشرعية بالقدس ووثائق الحرم الشريف المكتشفة ١٩٧٤ - ١٩٧٦ وأوراق ومخطوطات بعض العائلات المقدسة ، وهى لا تعرض للوثيقة فقط بل هناك بعض التعليقات والإيضاح الذى يربط بعض الواقفين بأصول العائلات المقدسة الحالية مما يؤكد الاستمرارية العربية الإسلامية وهو ما فعله عارف باشا عارف أيضًا ، ولقد نشر العسيلى فى الجزء الأول ٦٠ وثيقة والثانى مائة وأربع وثيقة والثالث مائة وست وخمسون وثيقة عدد منها يتعلق بالأوقاف وكما ذكر د. العسيلى فإن الأوقاف تحتل حيزاً كبيراً من سجلات محكمة القدس الشرعية لأن القاضى كان المشرف الأعلى على كل شئونها .

مثل تعيين المتولين والنظار وغيرهم من الموظفين فى المساجد والزوايا والمدارس وكشوف إيراداتها وأنفاقها بالإضافة إلى أنها تعطى معلومات عن عدد السكان وإحصائات عن المواشى وعن الأبنية والمرافق العامة ، وعن القرى والمزارع والدساكر ، وخاصة ما كان موقوفًا على جهة من الجهات وعن حاصلاتها والعاملين فيها وأحوالها المختلفة ، كما نجد أسماء العديد من الناس الذين لهم علاقة بقضية من القضايا ، معلومات عن أسماء أصحاب الأملاك المجاورة لعقار مؤجر أو مرهون أو مباع مثلاً ومعلومات عن أوضاع بيوت السكن وما كان فيها من مرافق فما أورده الدكتور العسيلى يوضح حجم وأهمية الأوقاف .

وفى المجموعة الوثائقية الصادرة من مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول وهى التى تتناول أوقاف وأملاك المسلمين فى فلسطين فى ألوية غزة والقدس الشريف ، صفد ، نابلس وعجلون حسب الدفتر رقم ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية المدونة

فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) عقب الفتح العثمانى لفلسطين والتى حفظت بالأرشيف العثمانى فى استانبول وهى تشمل معلومات عن أوقاف المسلمين وخاصة فى عهد الأيوبيين والمماليك وبداية عهد العثمانيين والتى تستكمل وثائق د.العسيلى فى الفترة التالية ، ولقد أعد محققو الوثائق التركية جدول بيانى بعدد الوقفيات والأملاك الواردة فى الدفتر رقم ٥٢٢ وهى كالتالى :

اسم اللواء	عدد الوقفيات	عدد الأملاك	عدد مصادر الوقفيات	عدد مصادر الأملاك
لواء غزة	٥٥	٩	٢٣٠	١٠
لواء القدس	٩٠	١١	٣٤٤	١٧
لواء صفد	٦٤	٦٥	١٧٤	٧٣
لواء نابلس	٢٣	٣	١٤١	٤
لواء عجلون	١	٤	١	٤
المجموع	٢٣٣	٩٢	٨٩	١٠٨

وإن كان هذا ليس الدفتر الوحيد فهناك دفتر تحرير ٦٠٢ ويشمل ١ - ٤٢٠ الأوقاف التابعة لولاية الشام ٤٢٥ - ٤٩٥ الأملاك التابعة بها وأورد أسماء الوقفيات دون شروطها ، ودفتر تحرير الطابور رقم ٣١٢ ويحتوى على ١٣٣ صحيفة ويحتوى على أوقاف وأملاك ألوية صفد ونابلس وغزة وقضاء الرملة فقط ، ثم دفتر ٣٤٢ يحتوى على أملاك القدس فقط فى ٣٢ صحيفة منها ٩٥ وقفية و ٥٤ أملاك ويرى محققو دفتر ٥٢٢ أن حوالى ربع أراضى القدس كانت أوقافًا واعتقد من واقع مجموع الوثائق السابقة ولما نشره د. العسيلى وما لم ينشر ومن ما ورد فى كتابات المؤرخين عن الأوقاف فى القدس وما دخل فى دائرتها والذين أفاضوا فى حجم ممتلكاته أنها تتعدى الربع بكثير وربما تصل إلى النصف .

أولاً بالنسبة للأراضى الزراعية فقد ورد ذكر مزارع وغراس كروم وزيتون وتين ونخل بالإضافة إلى أنواع أخرى ولكن تلك التى تكرر ذكرها أشارت إلى بساتين - ووردت أسماء للقرى وأسماء لبعض المزارع وجرى الإشارة إلى أراضى خراب وأراضى حكر وقطع أرض.

فمن أسماء القرى التي تكرر ذكرها في الأوقاف قرى تتبع القدس كقرية بيت جالا ، بيت صفافا ، تقوع ، بيت لحم ، بنى نعيم ، بنى شجاع ، بيت ماسين ، بيت ساحور ، قبالة ، عجوّر، عنانا ، بيت تعمر ، طيبة ، بيت سقاية ، فاعور ، عين كارم ، قرية فى محلة باب السلسلة ، بيرة الكبرى ، عين قينية ، جيب الفخار ، ديار عمار ، لفتا ، كفر نعمه ، حاصل ، دير السد ، علار الفوقا ، علار السفلى ، بتير ، عين سنية ، بريكوت ، أم طوبى ، أبو مغيرة ، نجم ، عيسلوية ، حبعا بطيخ ، طورزيتا ، ريحا ، سارس ، النجمة ، ولجة .

ومن قرى غزة : داودى ، بيت الحرادين ، بربر ، كوفية ، عبدس ، بيت زيتون ، خربة بزا ، كفر نحل ، بيت دارس الكبرى ، فالوجه ، دمر النجد ويوجد قريتين شمال غزة باسم دمره والنجدة ، جميل المعاد (المعادى – قرب النصيرات) محرقة برداغا « الفرداقة » ، شراف الطيارة ، عوده ، ملاقس ، البها ، زاوية هربية ، منصورة ، العذار ، بيت قوفا ، مجدل ، يبنا ، النجوى عرار ، قرى الخليل ، بيت عنون ، نعليا « نعليه » سرطا ، سعير ، مزرعة قبلا تبع الخليل ، مزرعة مرطون .

قرى الرملة : قطرا ، ميداس (ديماس) صرفند الكبرى ، بيت سوسين ، نعلين ، سافريه ، شينيل ، سيتان ، وقرى جنجا وقانا ومزرعة فاعور ، تتبع طبرية ، وقرى جويا ومجادل فى تبنين ، قرية عطا ، «صفد».

ولقد ورد أسماء مزارع عديدة تتبع القدس كمزرعة طبلية ومزرعة بطن الجمل ، مزرعة حارة بنى سعد ، مزرعة وادى فوكين ، مزرعة حمراء ، بيت كسا ، قطعة أرض تعرف بالسلمة، قطعة أرض صراره ، قطعة أرض تعرف بمنجك ، غراس كرم فى أرض التفاح ، غراس كرم فى أرض حارة بنى زيد ، أرض جنان أديب ، بستان الجوزة ، غراس فى أرض تعرف بزقاق النصارا .

وبعض الأماكن تعكس حرفا معينة كانت داخلة فى دائرة الأوقاف ، سوق الزيت ، سوق الطباخين ، سوق القطانين ، سوق الحريرية ، سوق العطارين وهناك أسواق باب الحطة ، سوق الساروحة ، سوق الصاغة ، سوق الفخارية ، سوق داود . ولقد أشير إلى دكاكين فى هذه الأسواق ضمن الأوقاف ، وفى غزة ، سوق الغنم ، سوق الشجاعية ، سوق العطارين والقطن ، وسوق الغزل واللبان .

وفى الرملة : سوق الحلوانية ، وفى نابلس سوق العنب ، والسوق الغربى ولقد دخلت فى هذه الأسواق دكاكين وأفران وأقبية وقاعات جميعها من ممتلكات الأوقاف .

كذلك جرى الإشارة إلى الحمامات كحمام باب الأسباط وباب القطانين ، وحمام البطرك ، وحمام على بدر الدين فى خط مرزبان وحمامى تنكز بباب القطانين .

وفى صفد حمام الجديد وحمام الدوكرى وحمام قرية عين الزيتون ، حمام العنبرى ، وفى غزة الحمام القديم وحمام السويحى وفى نابلس حمام كفر كنه وحمام الملكة .

وخانات كخان وادى الطواحين ، وباب الحطة ، ورمان المنالق ، وخان الفحم ، وخان الصرف مخصص للصيارفة ، وخان الظاهر بيبرس حيث نقل له السلطان من القاهرة بباب القصر وفى غزة خان الطباعية وحكر التفاح ، والحبالين .

كذلك وردت أسماء دار الوكالة فى القدس ودار الحصر والرجا فى غزة ولقد وردت أسماء أحياء عديدة أوقفت عليها أوقاف منوعة فى القدس مثل محلة الأقصى ومحلة باب العمود ، محلة باب القطانين ، محلة باب الحطة ، محلة باب الناظر ، محلة عقبة ، حارة باب العمود ، محلة باب الظاهرة ، محلة باب السلسلة ، محلة باب الحديد ، محلة راسية ، أرض جسمانية ، خط داود ، خط وادى الطواحين .

كذلك حملت الأوقاف أسماء أحياء تخص فئات جنسية ودينية منوعة ، محلة المغاربة ، محلة المشارقة ، زاوية الهنود ، حارة الأكراد ، حارة تركمان ، حارة الإفرنج (حارة بن سعد) حارة النصارى ، حارة اليهود ، حمام البطرك .

الأوقاف تعددت وشملت أراضى وقرى وكفور وبساتين وأحياء عديدة فى القدس وما جاورها ولكن السؤال كيف وأين ذهبت هذه الأراضى وكيف زادت أعداد اليهود فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

سنجد أن الأوقاف تعرضت لأمور عدة تسببت بانحصار بعضها ويرجع لعدد من الأسباب كزيادة نفوذ القناصل الأجانب والجاليات الأجنبية فى القدس وبعضها كما حدث بالنسبة لبيمارستان صلاح الدين وخاصكى سلطان الذى تنازلت عنهم الحكومة العثمانية للجاليات الأجنبية وبعضها يرجع إلى إدارة تلك الأوقاف أو الإدارة الحاكمة خلال تلك الفترة وما تعرضت له البلاد من عدم استقرار سياسى بسبب حركة ظاهر العمر أو الاضطرابات وعدم الأمن ومشاكل العربان والسلطة المركزية الواهية وحوادث تمرد محلية ويمثل الاعتداء على الأوقاف فى الوثيقة التى أوردها العسيلى والخاصة بعبد الله أفندى الحسينى وما حدث لوقفه حينما احتل ظاهر العمر مدينة يافا وكيف اجتثت أشجار بيارته .

كذلك فإن فرض الضرائب واستنزاف أموال الأوقاف على يد الإدارة الحاكمة من بين تلك الضرائب مثل ضرائب القدومية والخاصة بقدوم والى أو بمناسبة رفع رتبة أحد الموظفين العثمانيين « تشريفية ، قفتان بهاسى » وضرائب لتغطية مصروفات صرفت فى عملية جباية الضرائب العادية « ذخيرة » وفى وثيقة تعود ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م أرسل أحمد باشا الجزار إلى مشايخ ورعايا جبل القدس وسيدنا الخليل بوجه العموم أرسل أوامره لأسعد بك طوقان بجمع الأموال الأميرية من قديم وجديد « غرش ميرى وذخاير »(٢٥٨) .

كذلك عانى التجار من الضرائب غير المشروعة وتجبى فى مجالات مختلفة فقام تجار القدس ووسطوا أحد العسكريين بقلعة القدس فى أواسط القرن العاشر الهجرى للتدخل لدى السلطات في استانبول لإلغاء الضرائب العارضة مقابل أجر يعطونه له (٢٥٩).

ولقد تقدم ناظر الحرمين بشكوى فى أواخر ١١٩١هـ / ١٧٧٧م وكانت وظيفته تشمل على الإشراف على أوقاف الحرم المقدسى والإبراهيمى بأن ضريبة الذخاير « ذخاير رسم دونمى » التى كان من المفروض أن تجبيها الأوقاف من أملاكها ، تم جبايتها من خزينة الدولة كجزء من ضرائب الميرى ، كذلك قيام بعض الأعيان المحليين بالتسلط تعسفًا وبغير حق على قرى وقف الخليل وأن هناك شخص اسمه سعودى العلمى اعتاد سلب أهالى القرى التابعة للأوقاف(٢٦٠).

وشكى أهل قرية حرفيش وخدم المقام من اعتداء الدروز على المقام وعلى أملاك الوقف وتم إجراء تحقيق(٢٦١) وكانت هناك حالة من التذمر الشاملة بين مشايخ ونواحى أطراف القدس تجاه الإدارة العثمانية الحاكمة انعكست بالسلب على الأوقاف ففى مرسوم بتاريخ ١١٢٢هـ/١٧١٠م إنذار إلى مشايخ نواحى وأطراف القدس من والى ويلزمهم بالطاعة والتزام السكينة والبعد عن الفتن ، الإنذار يتضمن تهديده وأنهم سيعاملوا من يخرج عليهم « بأشد أنواع الحقارة »(٢٦٢) نفس الأمر صدر لمشايخ قرى اللد والرملة ويهددهم أيضًا بخراب ديارهم ويعود أيضًا ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م وكان من الواضح أن وراء هذا التمرد زيادة الضرائب ومن وثيقة تعود لفترة تالية بعدها بما يقرب بثمانين عامًا(٢٦٣) صدر مرسوم إلى اللد وقراها بتخفيف الضرائب السنوية وكانت وطأة الضرائب قد دفعت بالفلاحين لهجرة الأراضى الموقوفة وخاصة أن أراضى الأوقاف تمثل جزءًا كبيرًا من دخل هذه القرى وخاصة أن المحاصيل التى كانت تجبى من الحقول أو من الأشجار كانت عادة تخصص للوقف نفسه

وليس هذا شأن الضرائب المفروضة على المواشى أو الأفراد فهذه كانت جزء من الضرائب التى تدفع للسلطان أو الوالى أو أمير اللواء أو التمارى(٢٦٤) وكان هؤلاء يأخذون العشر من أراضى الوقفية ، حتى إذا كانت القرية موقوفة بكاملها ٢٤ قيراطًا على أحد المؤسسات فإن جزءًا من إيرادها وهو الضرائب كان يخصص للموظف الذى اقطعت له بموجب نظام الإقطاع العسكرى والإيرادات والمحاصيل التى كانت تدفع كانت تشكل هى والضرائب حوالى ثلث إنتاج القرية(٢٦٥) وهذا يوضح ما تعرض له نظام الأوقاف على يد الإدارة العثمانية وفى أكثر من وثيقة من الوثائق المقدسية جـ٣ وثائق ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ توضح كيف أن قرى كسلوان الداخلة فى وقف المدرسة الصلاحية أن عشر القرية ورسوم بادهوا «أى رسوم الضرائب المتفرقة مثل رسوم التسجيل والغرامات » جارية فى خاص أمير لواء القدس ، وأن أهالى قرية لفتا الموقوفة على الصخرة الشريفة اضطروا للهرب من القرية تحت وطأة الضرائب والمغارم لتفادى الدفع ، نفس الأمر بالنسبة لقرية الولجة فاضطر زعيم القرية سنة ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م إلى تنازل عن قسم من العوائد المفروضة على سكان القرية لأجل إعمار القرية ورجوع أهلها إليها بعد أن نزحوا عنها .

وكذلك فى وثيقة أخرى من قرية عين قينيا والتى كانت وقفًا على المدرسة التنكزية كان ثلاث أرباع الوقف للقرية وأن الربع الباقى كان تيمارا ، قام التيمارية وهم جند العثمانيين المقطعين بالاعتداء على مصالح الوقف وشكى متولى الوقف أنهم يأخذون أكثر من الربع المخصص لهم.

وعامل آخر مهم وهو سعى اليهود للاستيلاء على أراضى القدس كمشكلة البراق السابقة الذكر والتى شكا فيها شيخ المغاربة فى زاوية أبو مدين الغوث من سعيهم لبناء وتبليط زقاق البراق ورفعت شكوى إلى محمد على باشا الذى أصدر أوامره لإبراهيم باشا بمنع اليهود من تبليط البراق فى القدس عملاً بنصوص الشرع « ولقد أورد النص أسد رستم من واقع وثائق المحفوظات الملكية المصرية » .

وفى وثيقة أخرى إشارة لسعى اليهود لشراء أراض فى القدس ففى خطاب إلى متسلم القدس مصطفى أغا خطاب من أمير آلاى بحرى بك وفى طيه جرنال وارد من مجلس القدس « يتضمن طلب من طائفة اليهود يستعلمون هل يرخص لهم شراء أملاك وأراضى للزراعة والقيام بالحرف والزرع والبيع والشراء وبيع الأغنام ورد المجلس بأن هذه ما سبق لها مثال

بالوجهة الشرعية وغير مساعد للمستأمنين المذكورين فى أن جميع ما يستدعونه فى أراضى تلك الديار وميرته ووقفه فالتماسهم بذلك لا يوافق حكم الشريعة ما عدا تعاطى البيع والشراء بالتجارة التى يجلبونها من بلادهم من أنواع التجارة حكم أمثالهم فى السوق بأن هذه أعمال يتعاطونها فما أحد يمنعهم » ، فاليهود الوافدين أرادوا شراء أراض الأوقاف فلم يوافق مجلس القدس ولكن أحل لهم البيع والشراء فى التجارة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م.

ولقد أصدرت الحكومة التركية فى عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م قانونًا حرمت فيه الهجرة اليهودية وشراء الأراضى ، إلا أنها عادت فعدلته بسبب تدخل شتراوس الوزير الأمريكى المفوض فى استانبول ، ومنحت اليهود حق الدخول إلى فلسطين والبقاء فيها ثلاثة أشهر بقصد العبادة ، ويرى عارف باشا أن الرشوة لعبت دورها فدخل البلاد عدد غير قليل من اليهود وبقوا فيها ، فما يكاد القرن التاسع عشر يقترب من نهايته حتى نرى لليهود فى القدس ست كنائس اثنتان منها لليهود الإشكنازيم ويسميهم المقدسيون « السكناج » وهم من روسيا وبولونيا وسائر أنحاء أوروبا الشرقية ، وثلاث للسفراديم وهم من أسبانيا والبرتغال ، وواحدة للقرائين وأربع مدارس فى « الإليانس » الزراعية ومدرسة الأيتام والمدرسة العمومية وإيفليين روتشيلد ، وهذه الأخيرة للبنات وثلاث مستشفيات هى مستشفى ولج ، ومستشفى روتشيلد ، ومستشفى مبكورخوليم وفى تلك الفترة ظهر الدور الفعال للحركة الصهيونية وتحولت لحركة سياسية ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م وأنشأت الجمعية الصهيونية ولما أعلنت الحرب العالمية ١٩١٤م طرد العثمانيون الصهاينة وأصدر جمال باشا القائد الأعلى للجيش فى فلسطين أمر بمنع رفع أى علم صهيونى وألغى جميع المؤسسات اليهودية فى فلسطين (٢٦٧).

صدور وعد بلفور ١٩١٧م أدى إلى ازدياد أعداد اليهود الذين دخلوها بأعداد كبيرة وسعوا للاستيلاء على أرضها وفى أولها حائط البراق الذى فشلوا فى عهد سيطرة محمد على على القدس أن يسمح لهم بتبليط الحارة أمامه فى حارة المغاربة فقد قام اليهود فى سنة ١٩١٧م واستناداً للاحتلال الإنجليزى للقدس بجلب الحصر والمصابيح أمام الساحة الواقعة أمام جدار البراق على غير العادة المألوفة وكانوا يقصدون ادعاء حقوقًا جديدة وأطلقوا على جدار البراق اسم حائط المبكى وأنه حائط هيكل سليمان ، واشتبك معهم المسلمون ١٩٢٢م وسقط جرحى من الطرفين مما جعل حكومة الانتداب ١٩٢٩م تسعى لإرسال لجنة دولية عرفت باسم لجنة

البراق الدولية للتحقيق فى حقوق العرب واليهود فى البراق بعد أن جمعت المستندات من كلا الطرفين عادت إلي استوكهولم لكتابة تقريرها وانتهت إلى ما يلى :

أولاً : للمسلمين وحدهم تعود ملكية الجدار لكونه يؤلف جزءًا لا يتجزأ من ساحة الحرم التى هى من أملاك وقف الملك الأفضل ابن أخى صلاح الدين الأيوبى وللمسلمين تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغربة .

ثانيًا : لليهود حرية السلوك إلي الحائط الغربى لإقامة التضرعات فى أيام السبت والأعياد الدينية الرسمية وكما يحق لهم وضع خزانة فيها الكتب للمتقبلين فى الأعياد فقط ، وترفع بعد الانتهاء من التعبد ، ولا يجوز لليهود أن يبقوا أى شىء فى المكان بعد انتهاء الصلاة كما لا يجوز لهم إلقاء الخطب مهما كان نوعها ولا النفخ فى البوق .

ثالثًا : أن الأدوات التى يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط مثل المقاعد والفرش والمصابيح والستور لا يجوز بأى حال من الأحوال أن تعطى أى حق لليهود فى الحائط .

رابعًا : ومن جهة أخرى لا يحق للمسلمين إحداث ما من شأنه أن يمنع اليهود من حق العبادة فى هذا المكان

إلا أن اليهود ضربوا بهذه القرارات عرض الحائط سنة ١٩٦٧م وكان أول أعمالهم أن أزالوا حارة المغاربة برمتها وهدموا كثيراً من عمائر ومبانى الأوقاف الإسلامية بحجة امتداد جدار المبكى من الجهة الشمالية ويقومون الآن بتوسيع الجدار حتى يبلغ طوله مائة متر بدلاً من ثلاثين

وفى عام ١٩٤٨م وبعد النكبة استولوا على أوقاف المسلمين واستكملوها فى ١٩٦٧م واغتصبوها . اغتصبوا ١٤ قرنًا من التاريخ (٢٦٨).

الحواشـــى

هوامش التمهيد :

١ - حسن ظاظا : القدس مدينة الله أم مدينة داود ... ! . الإسكندرية ، ١٩٧٠م ، ص ١٨ .

٢ - حسن ظاظا : نفس المرجع ، ص ١٩ .

٣ - حسن ظاظا : نفس المرجع ، ص ١٩ .

٤ - يهوشواع برافر : " القدس كما انعكست فى المفاهيم الدينية المسيحية واليهودية فى مستهل القرون الوسطى" من كتاب القدس دراسات فى تاريخ المدينة (تحرير أمنون كوهين ، ترجمة سلمان مصالحه . القدس ، ١٩٩٠) . ص ٩٦ .

٥ - جوايتاين «شلومو دوف» : القدس فى الفترة العربية ، كتاب القدس ، ١٠٩٩/٦٣٨ ، ص ٢١ .

٦ - جوايتاين «شلومو دوف» : القدس فى الفترة العربية ، كتاب القدس ، ١٠٩٩/٦٣٨ ، ص ٢٨ .

٧ - حواء لاتروس يافه : قدسية القدس فى الإسلام ، كتاب القدس ، ص ٤٣ .

٨ - مرشيه معوز: القدس فى الحقبة الحديثة - التغيرات السياسية والاجتماعية «القدس» ، ص ١٧٩-١٨٥ .

٩ - يهو شواع بن ارييه : القدس القديمة والجديدة فى القرن التاسع عشر (القدس) ، ص ٢٠٠-٢٠١ .

١٠- Israel Pocket Libaray Jerusalem. Israel, 1973. The book Compiled from material originally published in the Encylopaedia.

١١- أسد رستم : الأصول العربية ، بيروت ، ١٩٤٣م .

١٢- سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشـام . القاهـرة ، ١٩٩٣ ، ص ١٢٣، ١٢٤ .

١٣- عوبيد بيرى : التغيرات السياسية وأبعادها على الأوقاف فى القدس فى أواخر القرن الثامن عشر كتاب «القدس» ، ص ١٦٥ .

١٤- كامل جميل العسيلى : وثائق مقدسية تاريخية . عمان ، ١٩٨٩م ، جـ ٣ وثيقة ٩٢ ، ص ١٢٥ .

١٥- جوايتاين «شلومو» : القدس ، ص ١٢٥ .

١٦- Gil : (Moshe) : Documents of the Jewish Pious Foundation from the Cairo Geniza, Leiden, 1967.

هوامش الفصل الأول :

١٧ محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر دراسة تاريخية وثائقية . القاهرة ، ١٩٨٠، ص ١٥-١٦ .

١٨- إبراهيم البيومى غانم : الأوقاف السياسية فى مصر : دار الشروق ، ١٩٦٨م ، ص ٤٥ .

١٩- محمد عفيفى: الأوقاف والحياة الاقتصادية فـى مصـر فى العصر العثمانى ، القاهرة، ١٩٩١م ، ص ١٥-١٦ .

٢٠- محمد عفيفى : نفس المرجع ، ص ١٦ .

٢١- إبراهيم بيومى غانم : نفس المرجع ، ص ٤٧ .

٢٢- إبراهيم بيومى غانم : نفس المرجع ، ص ٥ .

٢٣- محمد محمد أمين : نفس المرجع ، ص ٣٠ .

٢٤- الماوردى : أدب القاضى، تحقيق محمد سرحان . بغداد ، ١٩٧١م ، ص ٧٢ .

٢٥- الخصاف : «أبو بكر أحمد بن عمرو الشيبانى» : كتاب أحكام الأوقـاف : القاهرة ، ص ١-٢ .

٢٦- الخصاف : نفس المصدر ، ص ٩ .

٢٧- الخصاف : نفس المصدر ، ص ٩ .

٢٨- د. كامل جميل العسيلى : وثائق مقدسية تاريخية ثلاثة أجزاء ، عمان ، ١٩٨٣م.

٢٩- منظمة المؤتمر الإسلامى ومركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية فى استانبول - أوقاف أملاك المسلمين فى فلسطين فى ألوية غزة والقدس . الشريف صفد ، نابلس، عجلون حسب الدفتر ٥٢٢ دفاتر التحرير العثمانية المدونة فى القرن العاشر الهجرى تحقيق محمد ايشرلى . محمد اود التيمى ، استانبول .

٣٠- Adler : Jewish Travellers. "Meshullum ben R. Mcnohen p. 181; Adler : Jewish Travellers. "Obadiah de Bertinoro. p. 222-228.

٣١- أوقاف أملاك المسلمين فى فلسطين المقدمة .

٣٢- وثائق مقدسية جـ ٣ ، ص ١٣٩ زعامة وتيمار هى إقطاعات عسكرية كبيرها يدعى زعامة ، وصغيرها تيمار .

٣٣- مثل وقف أبو تميم الدارى وعبادة بن الصامت .

٣٤- وثائق أوقاف أملاك المسلمين - والوثائق المقدسية أفاضت فى الحديث عن أوقاف هذه الأسرة وسترد فى أكثر من نص .

٣٥- هناك أكثر من دفتر طابور عثمانى بيانات عن الأوقاف فهناك دفتر ٥٢٢ الذى حققه مركز الأبحاث العثمانى وهناك دفتر ٢٦٢ من تصنيف كامل كيه ص دار المحفوظات رئاسه الوزراء استانبول ، وهناك دفتر ٣٤٢ ، ٣١٢ ، ٦٠٢ .

٣٦- محمد محمد أمين ، ص ٥٩ حاشية (١) كذلك انظر محمد أبو زهرة الحكر ، ص ٥٤-٥٥ .

٣٧- دفتر ٥٢٢ وثائق أملاك المسلمين المقدسة .

٣٨- حسن ظاظا : القدس ، ص ١٢ .

٣٩- حسن ظاظا : القدس ، ص ١٤ .

٤٠- السيوطى (شمس الدين) : اتحاف الإخصا ، ص ٢٠١ .

٤١- حسن ظاظا - القدس ، ص ١٩ .

٤٢- السيوطى : اتحاف الاخصا ، ص ١٩٤ .

٤٣- السيوطى : اتحاف الاخصا ، ص ٢٠٢ .

٤٤- السيوطى : اتحاف الاخصا ، ص ٢٠٣ .

٤٥- السيوطى : اتحاف الاخصا ، ص ٢٠٥ .

٤٦- حسن ظاظا : نفس المرجع ، ص ٣٤ .

٤٧- ابن بطوطة «أبو عبد الله اللواتى»: رحلة ابن بطوطة، بيروت ، ١٩٩٢م، ص ٥٥ ، ص ٨٥ .

٤٨- Adler : Obadiah de Bertinoro p. 222-228.

٤٩-محمد عزب دسوقى : القبائل العربية فى بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموى ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص ١٠٦ .

٥٠- محمد عزب دسوقى : نفس المرجع ، ص ١٠٧

٥١- محمد عزب دسوقى : نفس المرجع ، ص ١٠٧

٥٢- محمد عزب دسوقى : نفس المرجع ، ص ١١١

٥٣- محمد عزب دسوقى : نفس المرجع ، ص ١١٦

٥٤- الواقدى : فتوح الشام ، جـ ٤ ، ص ٧ .

٥٥- محمد عزب دسوقى : نفس المرجع ، ص ١١٧

٥٦- على السيد : القدس فى العصر المملوكى . القاهرة ، ١٩٨٦، ص ٧٥ .

٥٧- البلاذرى : فتوح البلدان ، جـ ١ ، ص ٢١ .

٥٨- محمد عزب دسوقى : نفس المرجع ، ص ١٩٩

٥٩- Abba Eban : Heritage Civilztion and the Jews; Stillman, N: The Jews of Arab Lands. U.S.A. 1979. p. 23.

٦٠- يشير جوايتين فى دراسة فى تاريخ مدينة السابق الذكر أنه ورد فى المشنا لا تسلم أورشليم إلا إلى ملك يسمى عظيماً .

٦١- ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ٧٨-٧٩ .

٦٢- ابن هشام : السيرة ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ .

٦٣- أبو يوسف : الخراج ، ص ١٣٢ .

٦٤- السيوطى : اتحفا الأخصا ، ص ٢٢٧ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ١٢٠-١٢١ .

٦٥- المقريزى : السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤١ .

٦٦- السيوطى : اتحفا الأخصا ، ص ٣٢ .

٦٧- السيوطى : اتحفا الأخصا ، ص ٣٢ .

٦٨- السيوطى : اتحفا الأخصا ، ص ٣٦ .

٦٩- ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٦٨ .

٧٠- ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٦٣ .

٧١- ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٦٧ .

٧٢- ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٦٨ .

٧٣- ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٧١ .

٧٤- ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٨٠ .

٧٥- ناصر خسرو : ذكر أن هذا المقام سمى مقام النبى حيث صعد النبى على درجات إلى الدكة ليلة المعراج ودخل إلى قبة الصخرة .

٧٦- ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٦٧ .

٧٧- ابن جبير : رحلة ابن جبير ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ٢٥٠ .

٧٨- ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٢٥٠ .

٧٩- ابن جبير : نفس المصدر ، ص ٢٥٠-٢٥١ .

٨٠- ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٨ .

هوامش الفصل الثانى :

٨١- ورد اسم المغاربة فى أكثر من وثيقة من وثائق مقدسية أو دفتر ٥٢٢ وثائق عثمانية، ق ٢٠٠، ص ٧٨.

٨٢- وثائق مقدسية ، جـ ٢ ، ص ٢٩ .

٨٣- دفتر ٥٢٢ ، وثيقة عم - ٢ ص ٩٤ .

٨٤- مجير الدين : نفس المصدر ، ص ٤٨ .

٨٥- وثائق مقدسية ، جـ ٣ ، وثيقة ٧٧ ، ص ١٠١ .

٨٦- مجير الدين : نفس المصدر ، ص ٨١ .

٨٧- وثائق مقدسية ، جـ ١ ، ص ٢٩٧ .

٨٨- وثائق مقدسية ، جـ ٣ ، وثيقة ١٠٨ ، ص ١٤٦ .

٨٩- مجير الدين ، نفس المصدر ، ص ٣٧ .

٩٠- دفتر ٥٢٢ وثيقة رقم ٤١ ، ص ٨١ .

٩١- دفتر ٥٢٢ وثيقة رقم ٥٦ ، ص ٨٣ .

٩٢- دفتر ٥٢٢ رقم ٣٨ ، ص ٨١ .

٩٣- دفتر ٥٢٢ ق ٤١ ، ص ٣٦ .

٩٤- وثائق مقدسية ، جـ ٢ وثيقة ٣٠١ ، ص ٣٧ .

٩٥- وثائق مقدسية ، جـ ٢ وثيقة ٢٩٨ ، ص ١٤٩ .

٩٦- دفتر ٥٢٢ نم -١- ، ص ٩٣ .

٩٧- دفتر ٥٢٢ ق - ٣٩ ، ص ٣٦ .

٩٨- وثائق مقدسية ، جـ ٣ ، وثيقة ٤٦ ، ص ٦٥ .

٩٩- وثائق مقدسية ، جـ ٢ ، ص ٩٢ وثيقة تضم إقرارين .

١٠٠- وثائق مقدسية ، رقم ٧٩ ، ص ١٠٢ .

١٠١- على السيد : القدس ، ص ٢٩ .

١٠٢- بنيامين أسطيلى : رحلة بنيامين ٥٦١-٥٩٦هـ/١١٦٥-١١٧٣م ترجمة عزرا حداد (بغداد) ، عن يهود القدس والشام انظر صفحات ١١٥-١١٩ .

١٠٣- زبيدة عطا : اليهود فى العالم العربى ١٥٠-١٥١ .

١٠٤- ADler : "Isaec Chelo" p. 133.

١٠٥- فيليب فارج، المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى ؛ فيليب ؛ تاريخ يوسف كرباج ، ص ١١٣ .

١٠٦- وثائق تركية ، ق ٢٧ ، ص ٣٢ .

١٠٧- وثائق مقدسية ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦ .

١٠٨- وثائق مقدسية ، جـ ٣ ، وثيقة ١١٩-١٦١ .

١٠٩- دفتر تحرير ٥٢٢ نم -٢- ص ٩٣ .

١١٠- دفتر تحرير ٥٢٢ نم - ٣ ، ص ٩٣ .

١١١- وثائق مقدسية جـ ٣ ، ص ١٥٤-١٥٥ تتعلق بالجزية .

١١٢- وثائق مقدسية مرسوم الأشرف شعبان بن حسين ، جـ ١ ، ص ١٨٣ .

١١٣- وثائق مقدسية ، جـ ١ مرسوم السلطان فقدم ، ص ١٨٩ .

١١٤- وثائق مقدسية جـ ٣ ، وثيقة ١٢٥ ، ص ١٧٠ .

١١٥- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ١٢٥ ، ص ١٧٠-١٧١ .

١١٦- وثائق مقدسية جـ ٣ ، ص ٤٣ .

١١٧- وثائق مقدسية جـ ٢ ، ص ٦٦ .

١١٨- وثائق مقدسية جـ ٢ ، ص ٢٨٤ .

١١٩- عارف باشا العارف : ص ٢٤٣ .

١٢٠- عارف باشا العارف : ص ٢٥٢ .

١٢١- وثائق مقدسية جـ ١ ، ص ٦٩-٧١ للأرمن السريان دير فى القدس واقع بين حارتى الأرمن واليهود وبه مكتبة بها مجموعة من الوثائق يرجع تاريخها بين سنة ٨٢٥هـ/١٣٠٦هـ.

١٢٢- على السيد ، نفس المرجع ، ص ٩٥ .

١٢٣- عارف باشا العارف : ص ٢٤٦ .

١٢٤- وثائق مقدسية جـ ١ ، ص ٥٩ فى دير وثائقهم المخلص .

١٢٥- وثائق مقدسية جـ ٣ ، ص ١٥٦ .

١٢٦- عارف باشا العارف : ص ٢٥٦ .

١٢٧- وثائق مقدسية ٧٥ ، ٧٦ جـ ٣ ، ص ٩٨-٩٩-١٠٠ .

١٢٨- وثائق مقدسية جـ ٣ ، ص ١١٩- ١٦٠-١٦١ .

١٢٩- وثائق مقدسية جـ ، ص ١١٩-١٦٤ .

١٣٠- وثائق مقدسية وثيقة ١١٦ ، ص ١٥٦ .

١٣١- وثائق مقدسية وثيقة ١١٧ ، ص ١٥٨ .

١٣٢- وثائق مقدسية وثيقة ١٢٠ ، ص ١٦٦ .

١٣٣- وثائق مقدسيةجـ ٣ وثاق ١٢١-١٢٢ ، ص ١٦٧-١٦٨ .

١٣٤- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ١٢٣ ، ص ١٦٨-١٦٩ .

١٣٥- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ١٢٤ ، ص ١٦٩ .

١٣٦- دفتر طابور ٥٢٢ المقدمة ، ص ع .

١٣٧- عارف باشا العارف ، ص ٧٩ .

١٣٨- مجير الدين، الأنس الجليل جـ ٢ ، ص ٤٨٩-٤٩٢ .

١٣٩- دفتر طابور ٥٢٢ وثيقة ٤٨٧ ، ص ٧٠ .

١٤٠- وثائق مقدسية جـ ٣ وثائق ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ص ٣٣-٣٧ .

١٤١- عارف باشا العارف ، ص ٢١٩ .

١٤٢- انظر أوقاف المظفر عيسى على المدرسة المعظمية ق -٧٩ ، ص ٤٩ .

١٤٣- عارف باشا العارف ، ص ٨٢-٨٥ .

١٤٤- عارف باشا العارف ، ص ٨٢-٨٥ .

١٤٥- دفتر ٥٢٢ وثيقة غ - ٥ ، ٦ .

١٤٦- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة -٨-٩-١٠ ، ص ١٣٣ .

١٤٧- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ١٤٩ ، ص ١٩٣ .

١٤٨- وثائق مقدسية جـ ٣ و وثيقة ١٥٢ ، ص ١٩٦ .

١٤٩- دفتر ٥٢٢ وثيقة غ - ٤٧ ، ص ١٥ .

١٥٠- دفتر ٥٢٢ وثيقة ق ٧٨ ، ص ٤٩ .

١٥١- وثائق مقدسية جـ ٣ ، وثيقة ٥٠ ، ص ٧٣ .

١٥٢- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة حول أوقاف القدس ، سنة ٩٧٧ ، رقم ٢٥٦ ، ص ٢٠١ .

١٥٣- عارف باشا العارف ، ص ٥٣ .

١٥٤- دفتر ٥٢٢ وثيقة ع ٤١ ، ص ١٤ .

١٥٥- دفتر ٥٢٢ وثيقة ع ٥-٦ ، ص ٤

١٥٦- دفتر ٥٢٢ غ ٨ ، ص ٤ .

١٥٧- دفتر ٥٢٢ وثيقة ص -٢٢ ، ص ٣٣ .

١٥٨- وثائق مقدسية . سجل ٦٨ ، ص ٢٦١ .

١٥٩- وثائق مقدسية جـ ٣ ، الوثيقة ٣٩ ، ص ٥٤-٥٥ .

١٦٠-دفتر ٥٢٢ ، وثيقة ص -١١ ، ص ٢٥٩ .

١٦١- دفتر ٥٢٢ وثيقة ع ١٢ ، ص ٥ .

١٦٢- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٧٣ ، ٧٥ ، ص ٩٦-٩٧ .

١٦٣- وثائق مقدسية جـ ١ ص ٢٣٥ و وثيقة بتاريخ ٧٤٧ .

١٦٤- وثائق مقدسية جـ ١ ، ص ٢٥٨ ، إقرار م ٧٠٨ .

١٦٥- وثاق مقدسية جـ ١ ، ص ٢٠٥ إقرار قبض .

١٦٦- وثائق مقدسية جـ ١ ، ص ١١٥-١١٦ .

١٦٧- دفتر ٥٢٢ وثيقة ق ١٩ ، ص ٢٧ .

١٦٨- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٦٠ حاشية ٨٣ .

١٦٩- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٢٣ ، ص ٣٧ .

١٧٠- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ١٤٩ ، ص ١٩٣ .

١٧١- عارف باشا العارف ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

١٧٢- علي السيد : نفس المرجع ، ص ١٢٢ .

١٧٣- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة رقم ٤٧-٤٨-٤٩ .

١٧٤- وثائق مقدسية جـ ٣ ، ص ٢٢ ، حاشية ١ .

١٧٥- وثائق مقدسية جـ ٣ ، ص ١٨٦ .

١٧٦- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٦٥ ، ص ٨٩ .

١٧٧- وثائق مقدسية جـ ٣ ، ٦٧-٦٨ ، ص ٩٠-٩١ .

١٧٨- وثائق مقدسية جـ ١ ، ١٠٥-١٠٧ .

١٧٩- دفتر ٥٢٢ وثيقة ٦٩ ق ، ص ٤٦ .

١٨٠- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٨٥ ، ص ١١٢ .

هوامش الفصل الثالث :

١٨١- دفتر ٥٢٢ وثيقة ت ١٨٠ ، ص ٩١ .

١٨٢- دفتر ٥٢٢ وثيقة ن - ٤ ، ص ٨٧ .

١٨٣- دفتر ٥٢٢ وثيقة ص -٣٧ ، ص ٦٧ .

١٨٤- دفتر ٥٢٢ وثيقة ص -٦ ، ص ٧٢ .

١٨٥- دفتر ٥٢٢ ن - ٤٥٢ ، ص ٨٥ ، ٨٧ .

١٨٦- دفتر ٥٢٢ ص - ٢٦ ، ص ٦٤ .

١٨٧- دفتر ٥٢٢ ، ص ٣٠-٣١-٣٤ ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

١٨٨- دفتر ٥٢٢ ، ص ٤٠ ، ص ٥٨ .

١٨٩- دفتر ٥٢٢ ، ص ١٦ ، ص ٦١ .

١٩٠- دفتر ٥٢٢ وثيقة ن - ٢٠ ، ص ٩٢ .

١٩١- دفتر ٥٢٢ ، ص -٧ ، ص ٥٨ .

١٩٢- وثائق مقدسية وثيقة ٩١ ، ص ١٢٣-١٢٤ .

١٩٣- عارف باشا العارف ، ص ١٠٤ .

١٩٤- دفتر ٥٢٢ ق ٥٥ ، ص ٤٢ .

١٩٥- دفتر ٥٢٢ ق ٥٤ ، ص ٤٢ .

١٩٦- دفتر ٥٢٢ ق ٣٩ ، ص ٣٦ .

١٩٧- انظر ما كتبه أسد رستم الأصول العربية حيث أورد تفعيل الموضوع .

١٩٨- ناصر خسرو . سفر نامة ، ص ٨٦ .

١٩٩- ADler : Op. Cit. p. 114.

٢٠٠- بيبرس المنصوري: مختار الأخبار ، حققه عبد الحميد صالح . القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص ٢٢ .

٢٠١- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٨٩ ، ص ١١٩-١٢١ .

٢٠٢- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٨٩ ، ص ١١٩-١٢١ .

٢٠٣- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٨٩ ، ص ١١٩-١٢١ .

٢٠٤- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٩٩ ، ص ١٣٤ .

٢٠٥- السيوطي : اتحاف الأخصا ، ص ٨٤ .

٢٠٦- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٩٥ ، ص ١٣٠ .

٢٠٧- دفتر ٥٢٢ وثيقة ٢٩ ، ص ٣٢ .

٢٠٨- دفتر ٥٢٢ وثيقة ص - ٢١ ، ص ٦٣ .

٢٠٩- دفتر ٥٢٢ وثيقة ق -٨١ ، ص ٤٩ .

٢١٠- دفتر ٥٢٢ وثيقة ق -٥٤ ، ص ٤٢ .

٢١١- وثائق مقدسية جـ ١٣٥ وقف النبي سبلان .

٢١٢- وثائق مقدسية جـ ٣ سجل ٦٨ ، ص ٢٠٣-٢٥٠ .

٢١٣- دفتر ٥٢٢ وثيقة ق -٢٤ ، ص ٢٩ .

٢١٤- دفتر ٥٢٢ وثيقة ع -٥٥ ، ص ١٩ .

٢١٥- دفتر ٥٢٢ وثيقة ق ٣٠ ، ص ٣٣ .

٢١٦- وثائق مقدسية جـ ٢ ، ص ٢١٥-٢١٧ .

٢١٧- مجير الدين : نفس المصدر ، ص ٤٩ .

٢١٨- وثائق مقدسية جـ ٣ ، وثيقة ع - ١ ، ص ١٣٩ .

٢١٩- مجير الدين : نفس المصدر ، ص ٤٩ .

٢٢٠- عارف باشا العارف : ص ٨١ .

٢٢١- عارف باشا العارف : ص ٨٤ .

٢٢٢- عارف باشا العارف : ص ٨٨ .

٢٢٣- مجير الدين : ص ٣٥ .

٢٢٤- عبد اللطيف إبراهيم حجة وقف قايتباى .

٢٢٥- دفتر ٥٢٢ : وثيقة ق -٥١ ، ع -٤٤ جـ ٣٩ ، ص ١٤ .

٢٢٦- عارف باشا العارف : ص ٩٧ .

٢٢٧- عارف باشا العارف : ص ٩٠ .

٢٢٨- مجير الدين : نفس المصدر ، ص ٤٣ .

٢٢٩- عارف باشا العارف : ص ٩٤ .

٢٣٠- عارف باشا العارف : ص ٩١ .

٢٣١- مجير الدين : نفس المصدر ، ص ٤٢ .

٢٣٢- عارف باشا العارف : ص ٩٦ .

٢٣٣- مجير الدين : نفس المصدر ، ص ٤٢ .

٢٣٤- عارف باشا العارف : ص ٢٣٤ .

٢٣٥- عارف باشا العارف : ص ٢٣٥ .

٢٣٦- مجير الدين : ص ٣٩ .

٢٣٧- دفتر ٢٢٥ وثيقة ق ٣٨ ، ص ٣٦ .

٢٣٨- وثائق مقدسية جـ ٣ . سجل ٦٨ .

٢٣٩- دفتر ٥٢٢ : غ -٤٠ ، ص ١٢ .

٢٤٠- دفتر ٥٢٢ . غ ٥٥ - ص ١٧ .

٢٤١- مجير الدين : نفس المصدر ، ص ٤٤ .

٢٤٢- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ١٥٣ ، ص ١٩٧ .

٢٤٣- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ١٤٨ ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

٢٤٤- وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٧٧ ، ص ١٠١ ، مجير الدين : ص ٤٨ .

٢٤٥- أوقف أوقافًا على الزاوية التى أوقفها فى الأصل السلطان صلاح الدين دفتر ٥٢٢ ق ٢٠ ، ص ٢٨ ومجير الدين : ص ٤٥ .

٢٤٦- الزاوية الشيونية .

٢٤٧- مجير الدين : نفس المصدر ، ص ٤١ .

٢٤٨- مجير الدين : نفس المصدر ، ص ٤٣ .

٢٤٩– مجير الدين ، نفس المصدر ، ص ٣٤ .

٢٥٠– وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٩٠ ، ص ١٢٢ .

٢٥١– وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٦١ ، ص ٨٣ .

٢٥٢– وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ٦٢ ، ص ٨٤ .

٢٥٣– على السيد : نفس المرجع ١٥٨ .

٢٥٤– وثائق مقدسية جـ ٣ سجل رقم ٦٨ ويحوى قائمة بالأوقاف والعاملين بها .

٢٥٥– دفتر ٥٢٢ وقيقة ق –٥٣ ، ص ٤١

٢٥٦– دفتر ٥٢٢ وقيقة ع –٣١ ، ص ١١

٢٥٧– دفتر ٥٢٢ وقيقة ع –٣٠ ، ص ١٠

٢٥٨– وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ١٥–١٦ ، ص ٣٠ ، ٣١ .

٢٥٩– وثائق مقدسية وثيقة ٣٠ ، ص ٤٧ .

٢٦٠– عوديد بيرى : «القدس» ، ص ١٦٧ .

٢٦١– وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ١٠٠ ، ص ١٣٦ .

٢٦٢– وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ١١١ ، ص ١٥٠ .

٢٦٣– وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ١١٢ ، ص ١٥١–١٥١ .

٢٦٤– وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ١١٣ ، ص ١٥٢ .

٢٦٥– وثائق مقدسية جـ ٣ ، ص ١٣٩ .

٢٦٦– وثائق مقدسية جـ ٣ وثيقة ١١٠ ، ص ١٤١ .

٢٦٧– عارف العارف : ص ٢٣٦ .

٢٦٨– ملاحق إتحاف الإخصا ، ص ٢٣٢ .

المصادر والمراجع العربية والمعربة

المراجع العربية :

- إبراهيم البيومى عامر : الأوقاف السياسية فى مصر . القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٦٨م .
- أسد رستم : الأصول العربية لتاريخ سوريا فى عهد محمد على باشا . بيروت ،١٩٤٣م .
- الاصطخرى (أبى إسحاق إبراهيم) : مسالك الممالك . بيروت ، ليدن ، ١٩٢٧م .
- ابن بطوطة (أبى عبد الله محمد بن عبد الله) : رحلة ابن بطوطة . بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٢م .
- يهو شواع بن أربية : القدس القديمة والجديدة فى القرن التاسع عشر . بحث ضمن أبحاث كتاب «القدس دراسات فى تاريخ المدينة تحرير أمنون كوهين ، ترجمة سليمان مصالحة» . القدس ، ١٩٩٠م .
- يهوشواع برافر : القدس كما انعكست فى المفاهيم الدينية المسيحية واليهودية فى مستهل القرون الوسطى . بحث ضمن كتاب : «القدس دراسات فى تاريخ المدينة ، تحرير أمنون كوهين ، ترجمة سليمان مصالحة». القدس ، ١٩٩٠م .
- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن ت ٨٧٤هـ) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق إبراهيم على طرخان ، مراجعة محمد مصطفى زيادة . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٢م ، ١٦ جـ .
- ابن جبير (محمد ت ٥٩٩هـ) : رحلة ابن جبير فى مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية عصر الحروب الصليبية ، تحقيق حسين نصار . القاهرة ، مكتبة مصر، ١٩٩٢م .
- جوايتاين (شلومو) : القدس فى الفترة العربية ٦٣٨-١٠٩٩هـ بحث ضمن كتاب : «القدس دراسات فى تاريخ المدينة تحرير أمنون كوهين ، ترجمة سليمان مصالحة» . القدس ، ١٩٩٠م .
- حواء لاتسروس يافه : قدسية القدس فى الإسلام . بحث ضمن كتاب : «القدس دراسات فى تاريخ المدينة تحرير أمنون كوهين ، ترجمة سليمان مصالحة» . القدس ، ١٩٩٠م .

- حسن ظاظا : القدس مدينة الله أم مدينة داود . الإسكندرية ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٠م .
- ابن خرداذبة (أبى القاسم عبيد الله (ت ٣٠٠هـ)) : المسالك والممالك . القاهرة ، الثقافة الدينية ، د. ت. .
- زبيدة محمد عطا : اليهود فى العالم العربى . القاهرة ، عين للدراسات، ٢٠٠٣/٢٠٠٤م ، ٢ جـ .
- سعيد عبد الفتاح عاشور : الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام . ط جديدة مزيدة . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٣م .
- السيوطى (شمس الدين إلى عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن على بن عبد الخالق المنهاجى) : إتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى ؛ تحقيق أحمد رمضان أحمد . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب / مركز تحقيق التراث ، ١٩٨٤م ، ٢ جـ.
- عارف باشا العارف المقدس : تاريخ القدس . ط ٣ . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٩م .
- على السيد على : القدس فى العصر المملوكى . القاهرة ، دار الفكر للدراسات ، ١٩٨٦م .
- عوديد بيرى : التغيرات السياسية وأبعادها على الأوقاف فى القدس فى أواخر القرن الثامن عشر . بحث ضمن أبحاث : «القدس دراسات فى تاريخ المدينة ؛ تحرير أمنون كوهين ؛ ترجمة سليمان مصالحة» . القدس، ١٩٩٠م .
- القلقشندى (أبى العباس أحمد بن عبد الله) : صبح الأعش فى صناعة الإنشا . القاهرة، المطبعة الأميرية ، ١٩١٣م . ١٤ جـ .
- كامل جميل العسيلى : وثائق مقدسية تاريخية . عمان ؛ جامعة اليرموك ، ١٩٨٣م . ٣ جـ.
- الماوردى : أدب القاضى ؛ تحقيق محمد سرحان . بغداد ، ١٩٧١م .
- مجير الدين (أبو اليمن القاضى مجير الدين (ت ٩٢٧هـ)) : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل . القاهرة ، المطبعة الوهبية بمصر ، ١٢٨٣هـ.
- محمد عزب دسوقى : القبائل العربية فى بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموى . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٨م .
- محمد عفيفى عبد الخالق : الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى . القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩١م ، (سلسلة تاريخ المصريين -٤٤) .

- محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ؛ دراسة تاريخية وثائقية . القاهرة ، ١٩٨٠م .
- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ)) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور . القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٧٢م ٤ جـ ١٢ق .
- منظمة المؤتمر الإسلامى / ومركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية فى استانبول : أوقاف وأملاك المسلمين فى فلسطين فى ألوية غزة والقدس الشريف، صفد ، نابلس عجلون ، حسب الدفتر ٥٢٢ ، ودفاتر التحرير العثمانية .
- موشيه معوز : القدس فى الحقبة الحديثة ؛ التغييرات السياسية والاجتماعية. القدس ، ١٩٩٠م .
- ناصر خسرو : سفرنامة ؛ ترجمة يحيى الخشاب ، تصدير عبد الوهاب عزام . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م (الألف كتاب الثانى -١٢٢) .
- ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرؤوف ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ٤ جـ .
- الواقدى (محمد بن عمر بن واقد) : فتوح الشام ، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد . إسكندرية ، د.ت. ٢جـ .
- أبى يوسف (يعقوب بن إبراهيم) : كتاب الخراج ، نشر محب الدين الخطيب . القاهرة ، ١٣٠٢م .

المراجع الأجنبية :

- **AbbA Eban** : Heritage Civilization and The Jews. New York.
- **Adler** : Jewish Travellers. New York. 1996.
- **Israel Pocket** : Library Jeurusalem. Israel 1973. The Book Complied From material Originally. Published in the Encyclopaedia.
- **Frank (Daniel)** : The Jews of Medieval Islam, Community, Society, and Indentity. Leiden, E.J. Brill, 1955.
- **G. (Moshy)** : Documents of The Jewish Pious Foundation From Cairo Geniza, Leicen, 1967.

- **Stillman (Norman)** : The Jews of Arab Lands; A History and Source book. The Jewish Publication Society of America, 1979.

(ملحق) مصطلحات وردت في النص :

- أقجة : أحد العملات الفضية المستعملة فى الدولة العثمانية منذ نشأتها وحتى أواخر عهدها مع تحول فى عيارها ووزنها من فترة إلى أخرى .
- سهم : يختلف السهم عن القيراط ، حيث أنه يعبر عن جزء من كل دون تحديد عدد الأجزاء التى يقسم إليها الكل كما فى القيراط ، وإن كان يقسم إلى أربعة وعشرين سهمًا.
- قيراط : يقصد به فى النصوص الخاصة بالأوقاف قسم من أربعة وعشرين قسمًا تمثل وحدة كاملة ويتم الإشارة إليها من أملاك الوقفيات لتخصيص الجهات ، إذ خصص جزء من الدخل إلى جهة والجزء الأخير إلى جهة أخرى ، ودخل وإيراد كل مصدر من مصادر الوقف كان يقسم إلى أربعة وعشرين قسمًا يسمى كل منها قيراطًا، وكان القيراط يقسم إلى أربعة وعشرين قسمًا(١) .
- الكيس : كان كيس الأقجة فى منتصف القرن (١٠هـ/١٦م) ، ٢٠ ألف أقجه ، ثم ارتفع إلى ٤٠ ألف أقجه فى القرن (١١هـ/١٧م) .
- محصول قبان : كان البارد باش رئيس الموظفين الذين يتولون الإشراف على توزيع البضائع على التجار وعلى وزنها بالقبان .

مصطلحات خاصة بالأرض :

١ - أرض السلطان : خاص شاه ، أو خاص بادشاه : ويكون محصولها للسلطان .

٢ - خاص حاكم الولاية : الوالى أو خاص ميرميران .

٣ - أرض حاكم السنجق : أو أمير اللواء .

٤ - أراضى الإقطاعات العسكرية : وهى قسمان كبيرهما يدعى زعامت وصغيرهما يدعى تيمار .

٥ - حاشية : دفتر ٥٢٢ .

---

(١) حاشية فى دفتر طابور ٥٢٢ .

الفهرس

رقم الإيداع ٧٣٦٥ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولى L.S.B.N. 977 - 322 - 213 -6

مطبعة صحوة

٧ شارع اسماعيل رمضان - الكوم الأخضر- فيصل
تليفون وفاكس / ٣٨٧١٦٩٣ - ٠١٠١٠٠٩٦٧٨